

تشيد المراجعات

و

تفيد المكابرات

تأليف

آية الله السيد على الحسينى الميلانى

الجزء الثانى

مركز الحقائق الاسلامىة

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

سورة الدهر

قال السيّد طاب ثراه:

هل أتى (هد أتى) بمدح سواهم *** لا ومولى بذكرهم حلاها

فقال في الهامش:

«إشارة إلى نزول سورة الدهر فيهم وفي أعدائهم، ومن أراد الوقوف على جليّة الأمر في كلّ من (آية المباهلة) و(آية المودّة) و(سورة الدهر) فعليه بكلمتنا الغراء^(١)، فإنّها الشفاء من كلّ داء، وبها ردّ جماح الأعداء، وزجر غراب الجهلاء. والحمد لله^(٢)».

أقول:

أما «آية المودّة» و«آية المباهلة»، فقد تقدّم الكلام عنهما تفصيلاً في الكتاب، والحمد لله... والكلام الآن في «سورة الدهر»، وقد بنينا على الاقتصار بقدر الضرورة، لئلا يطول بنا المقام، ويضيق المجال، إلا إذا اقتضى الحال، والله المستعان في المبدأ والمآل... والآيات المقصود بها الاستدلال في هذه السورة هي قوله تعالى: (إنّ الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً * عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً * يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شرّه مستطيراً * ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً * إمّا نطمعكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً...) إلى قوله تعالى: (إنّ هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكوراً)^(٣).

(١) الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء. ومن تأليفه المطبوعة.

(٢) المراجعات: ٢٦.

(٣) سورة الدهر ٧٦: ٥ - ٢٢.

فقد نزلت هذه الآيات في أهل بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أعني: علياً وفاطمة والحسن والحسين، عليهم الصلاة والسلام... وذلك:

إنَّ الحسن والحسين مرضا، فعادهما رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فنذر عليّ عليه السلام صوم ثلاثة أيّام، وكذا فاطمة الطاهرة، وخادمتهم فضة، لئن برتاً؛ فبرئ الحسن والحسين عليهما السلام وليس عندهم قليل ولا كثير، فاستقرض أمير المؤمنين ثلاثة أصوع من شعير، وطحنت فاطمة منها صاعاً، فخبزته خمسة أقراص، لكل واحد قرصاً، وصلى عليّ صلاة المغرب، فلما أتى المنزل ووضع الطعام بين يديه للإفطار، أتاهم مسكين وسألهم، فأعطاه كلٌّ منهم قوته، ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا شيئاً. ثم صاموا اليوم الثاني، فخبزت فاطمة صاعاً آخر، فلما قدّم بين أيديهم للإفطار أتاهم يتيم وسألهم القوت، فأعطاه كل واحد منهم قوته.

فلما كان اليوم الثالث من صومهم، وقدّم الطعام للإفطار، أتاهم أسير وسألهم القوت، فأعطاه كل واحد منهم قوته. ولم يذوقوا في الأيام الثلاثة سوى الماء.

فراهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في اليوم الرابع، وهم يرتعشون من الجوع، وفاطمة قد التصق بطنها بظهرها من شدة الجوع وغارت عيناها فقال:
وا غوثاه يا الله، أهل بيت محمد يموتون جوعاً.
فهبط جبرئيل فقال: خذ ما هناك تعالى به في أهل بيتك.
فقال: وما آخذ يا جبرئيل؟
فأقرأه: (هل أتى).

أقول:

هذا هو الخبر في شأن نزول السورة في أهل البيت، كما ذكر بعض علمائنا، والقدر المهم في وجه الاستدلال هو نزول الآيات في حقهم بسبب إطعامهم ما كان عندهم من الطعام ثلاثة أيّام المسكين واليتيم والأسير، وبقاؤهم بلا طعام وهم صيام. وقد اتفق الفريقان على نزول السورة في أهل البيت عليهم السلام: فأصل الخبر موجود في كتب كلا الفريقين في التفسير والحديث والتراجم والمناقب، وإن اختلفت ألفاظ الخبر في بعضها عن البعض الآخر.

فَقِيلَ:

«معلوم أنّ سورة الدهر مكّيّة بالاتّفاق، وعليّ لم يدخل بفاطمة إلّا بعد غزوة بدر، وولد له الحسن في الثانية من الهجرة، والحسين في السنة الرابعة من الهجرة، بعد نزول سورة الدهر بسنين كثيرة، فقول من يقول: إنّها نزلت فيهم، من الكذب الذي لا يخفى على من له علم بنزول القرآن وأحوال آل البيت، رضي الله عنهم.

وقال القرطبي في تفسيره ١٩ : ١٨٢ في صدد آية: (ويطعمون الطعام على حبه): والصحيح أنّها نزلت في جميع الأبرار، ومن فعل فعلاً حسناً، فهي عامّة».

قال: «وقد ذكر النقّاش والثعلبي والقشيري وغير واحد من المفسّرين، في قصّة عليّ وفاطمة وجاريتهما حديثاً لا يصحّ ولا يثبت.

قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: ١٨٠ رواه الثعلبي من رواية القاسم بن بهرام، عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عبّاس.

ومن رواية الكلبي عن ابن عبّاس في قوله تعالى: (يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شرّه مستطيراً* ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً) وزاد في أثناؤه شعراً لعليّ وفاطمة رضي الله عنهما».

ثمّ قال: «قال الحكيم الترمذي: هذا حديث مزوّق مفتعل، لا يروج إلّا على أحمق جاهل.

ورواه ابن الجوزي في الموضوعات من طريق أبي عبد الله السمرقندي، عن محمّد بن كثير، عن الأصبح بن نباتة... فذكره بشعره وزيادة ألفاظ.

ثمّ قال: وهذا لا نشكّ في وضعه»^(٤).

أقول:

ويتلخّص هذا الكلام في كلمتين:

الأولى: إنّ سورة الدهر مكّيّة، نزلت قبل أن يتزوّج أمير المؤمنين من الزهراء في المدينة، وقبل ولادة الحسنين، بسنين كثيرة.

والثانية: إنّ هذا الحديث مفتعل عند الحكيم الترمذي، وموضوع عند ابن الجوزي.

والعمدة هي الكلمة الأولى... .

والأصل في هذا الكلام، هو ابن تيمية الملقّب عند أتباعه بـ«شيخ الإسلام».

(٤) الكشاف ٦ : ٢٧٩.

وتحقيق الكلام في نزول السورة المباركة، في فصلين:

الفصل الأول: في سند الحديث ورواته من أهل السُّنة.

والفصل الثاني: في دلالاته; وسنتكلم فيه على الإشكاليين المذكورين بالتفصيل، مع الاكتفاء بالإشارة

إلى غيرهما ممّا قيل.

* * *

الفصل الأوّل

سند الحديث ورواته

لقد ورد حديث نزول السورة المباركة في كثير من كتب أهل السُنّة المعتمدة، في مختلف العلوم، من التفسير والحديث والمناقب وتراجم الصحابة... .

من رواته من الصحابة والتابعين:

فمن رواته من الصحابة والتابعين، كما في كتب أهل السُنّة:

أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام.

وعبد الله بن العباس.

وزيد بن أرقم.

وسعيد بن جبير.

والأصبغ بن نباتة.

وقنبر مولى أمير المؤمنين.

والحسن.

ومجاهد.

وعطاء.

وأبو صالح.

وقتادة.

والضحّاك.

هذا، والخبر مشهور برواية ابن عباس، رواه عنه: سعيد بن جبير، ومجاهد، والضحّاك، وأبو صالح، وعطاء... وهؤلاء أئمّة المفسّرين عند القوم.

من رواته من أئمّة التفسير والحديث:

ومن رواته من أكابر العلماء الأعلام في مختلف القرون، نكتفي بذكر جماعة، وهم:

- ١ - الحسين بن الحكم الحبري الكوفي، المتوفى سنة ٢٨٦، رواه في تفسيره.
- ٢ - أبو جعفر الطبري، المتوفى سنة ٣١٠، على ما في كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب.
- ٣ - ابن عبدربه القرطبي المالكي، المتوفى سنة ٣٢٨، في كتاب العقد حيث ورد الحديث في احتجاج المأمون، وسنذكره.
- ٤ - سليمان بن أحمد الطبراني، المتوفى سنة ٣٦٠، كما في طريق الحافظ أبي نعيم والحافظ الحسكاني.
- ٥ - أبو عبيد الله المرزباني، المتوفى سنة ٣٨٤، كما في طريق الحافظ الحسكاني.
- ٦ - أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المتوفى سنة ٤٠٥، كما في طريق الحافظ الحسكاني، وفي كفاية الطالب: رواه في مناقب فاطمة.
- ٧ - عبد الغني بن سعيد، المتوفى سنة ٤٠٩ - والمترجم له في أغلب المصادر كما في هامش سير أعلام النبلاء ١٧ : ٢٦٨ وقال الذهبي: «وقد كان لعبد الغني جنازة عظيمة تحدت بها الناس، ونوديَ أمامها: هذا نافي الكذب عن رسول الله» - وقد رواه الحافظ الحسكاني، عن أبي نعيم، عنه... .
- ٨ - أبو بكر ابن مردويه الأصفهاني، المتوفى سنة ٤١٠، رواه في تفسيره كما في غير واحد من الكتب كالدر المنثور.
- ٩ - أبو نعيم الأصفهاني، المتوفى سنة ٤٣٠، رواه في ما نزل في علي، وعنه غير واحد كالحافظ الحسكاني.
- ١٠ - أبو إسحاق الثعلبي، المتوفى سنة ٤٢٧، رواه في تفسيره الكبير.
- ١١ - أبو محمد الحسن بن علي الجوهري، المتوفى سنة ٤٥٤، رواه عنه الحافظ الحسكاني.
- ١٢ - عبيد الله بن عبد الله الحافظ المعروف بالحاكم الحسكاني، المتوفى سنة ٤٧٠، رواه في كتابه شواهد التنزيل لقواعد التفضيل.
- ١٣ - الفقيه المحدث ابن المغازلي الشافعي الواسطي، المتوفى سنة ٤٨٣، رواه في كتابه مناقب علي بن أبي طالب.
- ١٤ - علي بن أحمد الواحدي، المتوفى سنة ٤٨١، رواه في تفسيره.
- ١٥ - أبو عبد الله الحميدي الحافظ، المتوفى سنة ٤٨٨، رواه في فوائده كما في كفاية الطالب.
- ١٦ - الحسين بن مسعود البغوي، المتوفى سنة ٥١٦، رواه في تفسيره.
- ١٧ - جار الله محمود بن عمر الزمخشري، المتوفى سنة ٦٣٨، رواه في تفسيره الكشاف.
- ١٨ - أبو الفضل محمد بن ناصر السلامي البغدادي، المتوفى سنة ٥٥٠، رواه عنه ابن الجوزي.

- ١٩ - الموقّق بن أحمد الخطيب الخوارزمي المكيّ، المتوفّي سنة ٥٦٨، رواه في مناقب أمير المؤمنين.
- ٢٠ - أبو موسى المديني، المتوفّي سنة ٥٨١، رواه في الذيل كما في أسد الغابة وغيره.
- ٢١ - الفخر الرازي، المتوفّي سنة ٦٠٦، رواه في تفسيره الكبير.
- ٢٢ - عزّالدين ابن الأثير المتوفّي سنة ٦٣٠، رواه في أسد الغابة، بترجمة فضّة.
- ٢٣ - أبو عمرو ابن الصلاح، المتوفّي سنة ٦٤٣، رواه، كما في كفاية الطالب.
- ٢٤ - الشيخ محمّد بن طلحة الشافعي، المتوفّي سنة ٦٥٢، رواه في كتابه مطالب السؤل.
- ٢٥ - سبط ابن الجوزي، المتوفّي سنة ٦٥٤، رواه في كتابه تذكرة الخواص.
- ٢٦ - أبو عبدالله الكنجي الشافعي، المقتول سنة ٦٥٨، رواه في كفاية الطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب.

- ٢٧ - نظام الدين الأعرج النيسابوري، من أعلام العلماء في القرن السابع، في تفسيره المعروف.
- ٢٨ - القاضي البيضاوي، المتوفّي سنة ٦٨٥، في تفسيره الشهير.
- ٢٩ - محبّ الدين الطبري المكيّ الشافعي، المتوفّي سنة ٦٩٤، رواه في

الرياض النضرة.

- ٣٠ - حافظ الدين النسفي، المتوفّي سنة ٧٠١ أو ٧١٠، في تفسيره.
- ٣١ - أبو إسحاق الحمويّ - شيخ الحافظ الذهبي - المتوفّي سنة ٧٢٢، رواه في كتابه فرائد

السمطين.

- ٣٢ - علاء الدين الخازن، المتوفّي سنة ٧٤١، في تفسيره.
- ٣٣ - القاضي عضد الدين الإيجي، المتوفّي سنة ٧٥٦، في كتاب المواقف في علم الكلام.
- ٣٤ - ابن حجر العسقلاني، الحافظ، المتوفّي سنة ٨٥٢، في الإصابة، بترجمة فضّة.
- ٣٥ - جلال الدين السيوطي، المتوفّي سنة ٩١١، في تفسيره الدرّ المنثور.
- ٣٦ - أبو السعود العمادي، المتوفّي سنة ٩٨٢، في تفسيره المعروف.
- ٣٧ - عبد الملك العصامي، المتوفّي سنة ١١١١، في سمط النجوم العوالي.
- ٣٨ - القاضي الشوكاني، المتوفّي سنة ١١٧٣، في تفسيره فتح القدير.
- ٣٩ - شهاب الدين الألوسي، المتوفّي سنة ١٢٧٠، في تفسيره الكبير روح المعاني.

ومن نصوص الحديث بالأسانيد:

* أمّا الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام، فهي عند الحافظ القاضي الحسكاني^(٥) حيث قال:
«أخبرنا أحمد بن الوليد بن أحمد - بقراءتي عليه من أصله - قال: أخبرني أبو العباس الواعظ،
حدّثنا أبو عبدالله محمد بن الفضل النحوي - ببغداد، في جانب الرصافة، إملاءً سنة ٣٣١ - حدّثنا
الحسن بن عليّ بن زكريّا البصري، حدّثنا الهيثم بن عبدالله الرمّاني، قال: حدّثني عليّ ابن موسى الرضا،
حدّثني أبي موسى، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد، عن أبيه عليّ، عن أبيه الحسين، عن أبيه
عليّ بن أبي طالب، قال:

لمّا مرض الحسن والحسين عادهما رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال لي: يا أبا الحسن! لو
نذرت على ولديك لله نذراً أرجوا أن ينفعهما الله به، فقلت: عليّ لله نذر لئن برئ حبيبي من مرضهما
لأصومنّ ثلاثة أيّام، فقالت فاطمة: وعليّ لله نذر لئن برئ ولداي من مرضهما لأصومنّ ثلاثة أيّام، وقالت
جاريتهم فضة: وعليّ لله نذر لئن برئ سيّداي من مرضهما لأصومنّ ثلاثة أيّام...» وذكر حديث إطعامهم
المسكين واليتيم والأسير، قال:

«فلمّا كان يوم الرابع، عمد عليّ - والحسن والحسين يرعشان كما يرعش الفرخ - وفاطمة وفضة
معهم، فلم يقدروا على المشي من الضعف، فأتوا رسول الله، فقال: إلهي هؤلاء أهل بيتي يموتون جوعاً،
فارحمهم يا ربّ واغفر لهم، هؤلاء أهل بيتي فاحفظهم ولا تنسهم.
فهبط جبرئيل وقال: يا محمد! إنّ الله يقرأ عليك السلام ويقول: قد استجبت دعاءك فيهم،
وشكرت لهم، ورضيت عنهم، واقرأ (إنّ الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً - إلى قوله - إنّ هذا كان لكم جزاءً وكان
سعيكم مشكوراً)»^(٦).

* وأمّا الرواية عن زيد بن أرقم، فهي عند الحافظ القاضي الحسكاني أيضاً، رواها بسنده:
«عن زيد بن أرقم، قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يشدّ على بطنه الحجر من
الغرت، فظلّ يوماً صامماً ليس عنده شيء، فأقّى بيت فاطمة، والحسن والحسين متكئاً، فقال رسول الله صلّى
الله عليه وآله وسلّم: يا فاطمة! أطعمي ابني.
فقالت: ما في البيت إلّا بركة رسول الله.
فالقاهما رسول الله بريقه حتّى شبعنا وناما.
وافطر فينا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ثلاثة أقراص من شعير، فلمّا أفطر وضعناها بين
يديه، فجاء سائل فقال: أطعموني ممّا رزقكم الله.

(٥) وسترجم له في ذيل قوله تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعاً).

(٦) شواهد التنزيل ٢ : ٢٩٩ / ١٠٤٢.

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: يَا عَلِيُّ! قُمْ فَأَعْطِهِ.

قال: فَأَخَذْتُ قِرْصًا فَأَعْطَيْتَهُ.

ثُمَّ جَاءَ ثَانٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: قُمْ يَا عَلِيُّ! فَأَعْطِهِ; فَقَمْتُ فَأَعْطَيْتَهُ.

فَجَاءَ ثَالِثٌ، فَقَالَ: قُمْ يَا عَلِيُّ! فَأَعْطِهِ; فَأَعْطَيْتَهُ.

وَبَاتَ رَسُولُ اللَّهِ طَاوِيًا وَبِتْنَا طَاوِينَ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا أَصْبَحْنَا مَجْهُودِينَ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: (وَيُطْعَمُونَ

الطَّعَامَ عَلَى حَبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا).

ثُمَّ إِنَّ الْحَدِيثَ بِطَوْلِهِ اخْتَصَرْتَهُ فِي مَوَاضِعَ»^(٧).

* أَمَّا الرَّوَايَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، فَهِيَ الْمَشْهُورَةُ كَمَا ذَكَرْنَا مِنْ قَبْلِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

* مَا رَوَاهُ الْحَبْرِيُّ: «حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ حُسَيْنٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَبَّانُ، عَنِ الْكَلْبِيِّ، عَنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ

ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَبِّهِ...)؛ نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَطْعَمَ عَشَاهُ وَأَفْطَرَ عَلَى الْقِرَاحِ»^(٨).

* وَالْوَالِحِدِيُّ: «قَالَ عَطَاءٌ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَذَلِكَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - آجَرَ نَفْسَهُ

يَسْقِي نَخْلًا بِشِيءٍ مِنْ شَعِيرٍ لَيْلَةً، حَتَّى أَصْبَحَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ وَقَبِضَ الشَّعِيرَ طَحَنَ ثَلَاثَةَ، فَجَعَلُوا مِنْهُ شَيْئًا لِيَأْكُلُوهُ يُقَالُ لَهُ الْحَرِيرَةُ، فَلَمَّا تَمَّ إِضَاجُهُ أَتَى مَسْكِينَ، فَأَخْرَجُوا إِلَيْهِ الطَّعَامَ، ثُمَّ عَمِلَ الثَّلَاثَ الثَّانِي، فَلَمَّا تَمَّ إِضَاجُهُ أَتَى يَتِيمًا فَسَأَلَ فَأَطْعَمُوهُ، ثُمَّ عَمِلَ الثَّلَاثَ الْبَاقِي، فَلَمَّا تَمَّ إِضَاجُهُ أَتَى أَسِيرًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَسَأَلَ فَأَطْعَمُوهُ، وَطَوُّوا يَوْمَهُمْ ذَلِكَ.

وَهَذَا قَوْلُ الْحَسَنِ وَقِتَادَةَ»^(٩).

* وَابْنُ مَرْدُوَيْهِ: «حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَالِمٍ، حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي طَالِبِ النِّيسَابُورِيِّ،

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ النُّعْمَانَ بْنِ شَبْلٍ، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي رَوْقٍ الْهَمْدَانِيُّ، عَنِ أَبِيهِ، عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ...» فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ نَزُولُ الْآيَةِ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ^(١٠).

* وَأَبُو نَعِيمٍ: «أَخْبَرَنَا سَلِيمَانُ بْنُ أَحْمَدَ الطُّبْرَانِيُّ، أَخْبَرَنَا بَكْرُ بْنُ سَهْلٍ الدِّمِيَّاطِيُّ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْغَنِيِّ بْنُ

سَعِيدٍ، عَنِ مُوسَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنِ ابْنِ جَرِيحٍ، عَنِ عَطَاءٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَبِّهِ) قَالَ: وَذَلِكَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ آجَرَ نَفْسَهُ لِيَسْقِي نَخْلًا بِشِيءٍ مِنْ شَعِيرٍ لَيْلَةً، حَتَّى أَصْبَحَ،

(٧) شواهد التنزيل ٢ : ٣٠٩ / ١٠٦١.

(٨) تفسير الحبري: ٣٢٦.

(٩) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٤ : ٤٠١.

(١٠) ورواه الخطيب الخوارزمي بسنده إلى ابن مردويه في المناقب: ٢٧١ / ٢٥٢.

فلما أصبح وقبض الشعير طحن ثلثه، فجعلوا منه شيئاً ليأكلوه يقال له الحريرة، فلما تمَّ إنضاجه أتى مسكين فأخرجوا إليه الطعام، ثمَّ عملا الثلث الثاني، فلما تمَّ إنضاجه أتى أسير من المشركين، فسأل فأطعموه. وطووا يومهم ذلك»^(١١).

* **والحاكم الحسكاني...** رواه بأسانيد كثيرة^(١٢) ... ذكرنا واحداً منها.

ومنها: قوله: «حدَّثني محمد بن أحمد بن عليّ الهمداني، حدَّثنا جعفر بن محمد العلوي، حدَّثنا محمد، عن محمد بن عبد الله بن عبد الله، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، في قوله تعالى: (ويطعمون الطعام على حبه) قال: نزلت في عليّ وفاطمة، أصبحا وعندهم ثلاثة أرغفة، فأطعموا مسكيناً ویتيماً وأسيراً، فباتوا جوعاً، فنزلت فيهم هذه الآية»^(١٣).

ومنها: الحديث بسند آخر، سنذكره فيما بعد إن شاء الله.

* **والبغوي:** «أنبأنا أحمد بن إبراهيم الخوارزمي، أنبأنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم

الثعلبي، أنبأنا عبد الله بن حامد...» إلى آخره كما سنذكره في الكلام حول أسانيد الثعلبي.

* **وسبط ابن الجوزي:** «أنبأنا أبو المجد محمد بن أبي المكارم القزويني - بدمشق سنة ٦٢٢ - قال:

أنبأنا أبو منصور محمد بن أسعد بن محمد العطار، أنبأنا الحسين بن مسعود البغوي...»^(١٤) إلى آخره كما تقدّم.

* **وابن المغازلي الواسطي:** «أخبرنا أبو طاهر محمد بن عليّ بن محمد البيّح، أخبرنا أبو عبد الله

أحمد بن محمد بن عبد الله بن خالد الكاتب، حدَّثنا أحمد بن جعفر بن محمد بن سلم الختلي، حدَّثني عمر بن أحمد، قال: قرأت على أمي فاطمة بنت محمد بن شعيب بن أبي مدين الزيات، قالت: سمعت أباك أحمد بن روح يقول: حدَّثني موسى بن بهلول، حدَّثنا محمد بن مروان، عن ليث بن أبي سليم، عن طاووس في هذه الآية (ويطعمون الطعام...): نزلت في عليّ بن أبي طالب، وذلك أنّهم صاموا وفاطمة وخادمتهم، فلما كان عند الإفطار - وكانت عندهم ثلاثة أرغفة - قال: فجلسوا ليأكلوا، فأتاهم سائل فقال: أطعموني فإني مسكين، فقام عليّ فأعطاه رغيفه، ثمَّ جاء سائل فقال: أطعموا اليتيم، فأعطته فاطمة الرغيف، ثمَّ جاء سائل فقال: أطعموا الأسير، فقامت الخادمة فأعطته الرغيف.

وباتوا ليلتهم طاووس، فشكر الله لهم، فأنزل فيهم هذه الآيات»^(١٥).

(١١) رواه الحاكم الحسكاني عن أبي نعيم، في شواهد التنزيل ٢: ٣٠٧ / ١٠٥٦.

(١٢) شواهد التنزيل ٢: ٢٩٩ - ٣١٤.

(١٣) شواهد التنزيل ٢: ٣٠٥ / ١٠٥٣.

(١٤) تذكرة الخواص: ٢٨١.

(١٥) مناقب عليّ بن أبي طالب: ٢٧٢ - ٢٧٤.

* **والحموي،** رواه بأسانيد له عن عبدالله بن عبدالوهاب الخوارزمي، بسنده عن القاسم بن بهرام، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس... بطوله، المشتمل على الأشعار...^(١٦).

* **وأبو عبدالله الكنجي،** رواه بإسناده الآتي ذكره، عن الأصبخ، باللفظ المشتمل على الأشعار كذلك^(١٧).

* **وستأتي في غضون البحث أسانيد أخرى.**

من كلمات العلماء حول الحديث:

ثم إن غير واحد من العلماء يصرّحون بشهرة هذا الخبر، وينسبون روايته إلى عموم المفسرين:
* **قال القرطبي:** «وقال أهل التفسير: نزلت في عليّ وفاطمة - رضي الله عنهما - وجارية لهما اسمها فضة»^(١٨).

* **وقال سبط ابن الجوزي:** «قال علماء التأويل: فيهم نزل...»^(١٩).

* **وقال الآلوسي:** «والخبر مشهور»^(٢٠).

* **بل لم يذكر بعضهم قولاً غيره، كالنسفي،** قال - بعد الآيات، حتّى: (ولقاهم نضرةً وسروراً * وجزاهم بما صبروا)^(٢١) - : «نزلت في عليّ وفاطمة وفضة جارية لهما، لما مرض الحسن والحسين رضي الله عنهما نذروا صوم ثلاثة أيام، فاستقرض عليّ رضي الله عنه من يهودي ثلاثة أصوع من الشعير، فطحنت فاطمة رضي الله عنها كل يوم صاعاً وخبزت، فأثروا بذلك ثلاثة عشايا على أنفسهم مسكيناً ویتيماً وأسيراً، ولم يذوقوا إلا الماء في وقت الإفطار»^(٢٢).

الحديث في الأشعار:

ثم إن بعض العلماء والشعراء نظموا هذه المنقبة العظيمة والفضيلة الكريمة في أشعارهم، فمن ذلك:

* **الشعر الذي ذكره السيّد رحمه الله.**

(١٦) فرائد السمطين ٢ : ٥٣ - ٥٦.

(١٧) كفاية الطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب: ٣٤٥ - ٣٤٩.

(١٨) الجامع لأحكام القرآن ١٩ : ١٣٠.

(١٩) تذكرة الخواص: ٢٨١.

(٢٠) روح المعاني ٢٩ : ١٥٧.

(٢١) سورة الدهر ٧٦ : ١١ - ١٢.

(٢٢) تفسير النسفي ٢ : ٧٥٨.

* وقول السيّد الحميري:

ومن أنزل الرحمن فيهم (هد أت) *** لما تحدّوا للنذور وفاءامن خمسة جبريل سادسهم وقد ***
مدّ النبيّ على الجميع عباء

من ذا بخاتمته تصدّق راعياً *** فأثابه ذو العرش عنه ولاء^(٢٣)

* وقول ابن الجوزي، قال سبطه: سمعت جدّي ينشد في مجالس وعظه ببغداد في سنة ٥٩٦ بيتين
ذكرهما في كتاب تبصرة المبتدي وهما:

أهوى عليّاً وإيماني محبّته *** كم مشرك دمه من سيفه وكفأإن كنت ويحك لم تسمع فضائله ***
فاسمع مناقبه من (هد أت) وكفى^(٢٤)

* وقول ابن طلحة الفقيه الشافعي:

هم العروة الوثقى لمعتصم بها *** مناقبهم جاءت بوحى وإنزال المناقب في الشورى وسورة (هد أت)
*** وفي سورة الأحزاب يعرفها التالي

وهم أهل بيت المصطفى فودادهم *** على الناس مفروض بحكم وإسجال^(٢٥)

* وقول آخر:

إلى مَ إلى مَ وحتى متى *** أعاتب في حبّ هذا الفتوهل زوّجت غيره فاطمة *** وفي غيره هل
أتى (هد أت)^(٢٦)

فوائد في الحديث وكلمات العلماء:

وهنا فوائد لا بأس بالتعرّض لها:

الأولى:

(٢٣) ديوان السيد الحميري: ١٢.

(٢٤) تذكرة الخواص: ٢٨٤.

(٢٥) مطالب السؤل: ٥٠ - ٥١.

(٢٦) راجع هامش شعر الشافعي: ٩٣. وفي المتن هكذا:

أنا عبید لفتى *** انزل فيه هل أتى

إلى متى اكنمه؟ *** إلى متى؟ إلى متى؟

روى ابن عبدربه القرطبي المالكي - المتوفى سنة ٣٢٨ - خبراً طويلاً في احتجاج المأمون العباسي على أربعين فقيهاً في مسألة المفاضلة، وكان من جملة ما احتج به المأمون عليهم نزول سورة (هل أتى) في أمير المؤمنين عليه السلام، وذلك أنه قال لمن كان يخاطبه منهم - وهو الراوي للخبر - :

«يا إسحاق! هل تقرأ القرآن؟!

قلت: نعم.

قال: إقرأ عليّ (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً).

فقرأت منها حتى بلغت: (يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً) إلى قوله: (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً

ويتيمماً وأسيراً).

قال: على رسلك، في من أنزلت هذه الآيات؟

قالت: في عليّ.

قال: فهل بلغك أنّ عليّاً حين أطعم المسكين واليتيم والأسير قال: إنّما نطعمكم لوجه الله؟! وهل

سمعت الله وصف في كتابه أحداً بمثل ما وصف به عليّاً؟

قلت: لا.

قال: صدقت، لأنّ الله جلّ ثناؤه عرف سيرته.

يا إسحاق! ألسنت تشهد أنّ العشرة في الجنة؟!!

قلت: بلى يا أمير المؤمنين.

قال: أرايت لو أنّ رجلاً قال: والله ما أدري هذا الحديث صحيح أم لا؟ ولا أدري إن كان رسول الله

قاله أم لم يقله؟ أكان عندك كافراً؟!

قلت: أعود بالله.

قال: أرايت لو أنّه قال: ما أدري هذه السورة من كتاب الله أم لا؟ كان كافراً؟

قلت: نعم.

قال: يا إسحاق! أرى بينهما فرقاً»^(٢٧).

الثانية:

(٢٧) العقد الفريد ٥ : ٩٦.

أثبت غير واحد من أكابر الحفّاظ - بالاستناد إلى هذا الحديث - وجود «فضّة» خادمة أهل البيت، فذكروها في كتبهم في «الصحابة» كما سيأتي.

الثالثة:

قال سبط ابن الجوزي - بعد رواية الحديث - :

«فإن قيل: فقد أخرج هذا الحديث جدّك في (الموضوعات) وقال: أخبرنا به ابن ناصر... .

ثمّ قال جدّك: قد نزه الله ذينك الفصيحين عن هذا الشعر الركيك، ونزّههما عن منع الطفلين عن أكل الطعام. وفي إسناده الأصبغ بن نباتة متروك الحديث.

والجواب: أمّا قوله: (قد نزه الله ذينك الفصيحين عن هذا الشعر الركيك) فهذا على عادة العرب في الرجز كقول القائل: والله لولا الله ما اهتدينا، ونحو ذلك، وقد تمثّل به النبي صلى الله عليه وآله وسلّم.

وأما قوله عن الأصبغ بن نباتة، فنحن ما روينا عن الأصبغ، ولا له ذكر في إسناده حديثنا، وإمّا أخذوا على الأصبغ زيادة زادوها في الحديث، وهي أنّ رسول الله قال في آخره: اللهم أنزل على آل محمّد كما أنزلت على مريم بنت عمران. فإذا جفنة تفور مملوءةً ثريداً مكّلةً بالجواهر. وذكر ألفاظاً من هذا الجنس.

والعجب من قول جدّي وإنكاره، وقد قال في كتاب (المنتخب): يا علماء الشرع! أعلمتم لِمَ آثرا وتركنا الطفلين عليهما أثر الجوع؟! أتراهما خفي عليهما سرّ: ابدأ بمن تعول؟! ما ذاك إلا لأنّهما علما قوّة صبر الطفلين، وأنّهما غصنان من شجرة أضل عند ربّي، وبعضُ جملة: فاطمة بضعة منّي. وفرخ البطّ سابع»^(٢٨).

الرابعة:

ذكر غير واحد من العلماء: أنّ السؤال كانوا ملائكةً من عند ربّ العالمين، أراد بذلك امتحان أهل البيت^(٢٩).

وبهذا وسابقه أيضاً تسقط شبهة بعض النواصب بأنّ الإنفاق وتجويع النفس إلى هذا الحدّ غير جائز. كما سيأتي.

(٢٨) تذكرة الخواص: ٢٨٣ - ٢٨٤.

(٢٩) غرائب القرآن: ٦ : ٤١٢، كفاية الطالب: ٣٤٨ عن الحافظ أبي عمرو ابن الصلاح وغيره.

الخامسة:

قال غير واحد: إن الله تعالى ذكر في هذه السورة جميع ما يتعلّق بنعيم الجنّة ولذاتها إلاّ الحور، وما ذلك إلاّ غيراً على الزهراء عليها السلام، واحتراماً لها^(٣٠).

من أسانيد الحديث المعتبرة:

ثمّ إنّ جملةً من أسانيد الحديث صحيحة معتبرة، على ضوء كلمات علماء الجرح والتعديل المعتمدين عند القوم... من ذلك:

الحديث في تفسير الحبري، الذي رواه الحافظ الحسكاني عن طريقه حيث قال:

«أخبرنا أبو محمّد الحسين بن عليّ بن محمّد الجوهرى - قراءةً عليه ببغداد من أصله - حدّثنا أبو عبيدالله محمّد بن عمران بن موسى بن عبيد المرزباني - قراءةً عليه في شعبان سنة احدى والثلاثين - حدّثنا أبو الحسن عليّ بن محمّد بن عبيدالله الحافظ - قراءةً عليه في قطيعة جعفر - قال: حدّثني الحسين بن الحكم الحبري، حدّثنا حسن بن حسين، حدّثنا جَبّان بن عليّ، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس . . .»^(٣١).

فأمّا الحسكاني فستأتى ترجمته.

وأما أبو محمّد الجوهرى، المتوفّى سنة ٤٥٤:

فقد قال الخطيب: «كتبنا عنه وكان ثقة أميناً كثير السماع»^(٣٢).

وقال ابن الجوزي: «كان ثقة أميناً»^(٣٣).

وقال ابن الأثير: «بغدادى، ثقة، مكثّر»^(٣٤).

وأما المرزباني، المتوفّى سنة ٣٨٤:

فقد ذكر الخطيب: ليس حاله عندهم الكذب، وأكثر ما عيب عليه مذهبه، وتدليسه للإجازة^(٣٥).

وقال العتيقي: «كان معتزلياً ثقة»^(٣٦).

وأما أبو الحسن عليّ بن محمّد المذكور، المتوفّى سنة ٣٣٠:

(٣٠) تذكرة الخواص: ٢٨٤، روح المعاني ٢٩ : ١٥٨.

(٣١) تفسير الحبري: ٣٢٦، شواهد التنزيل ٢ : ٣٠٨ / ١٠٥٧.

(٣٢) تاريخ بغداد ٧ : ٣٩٣.

(٣٣) المنتظم ١٦ : ٧٧.

(٣٤) اللباب في تهذيب الأنساب ١ : ٣١٣.

(٣٥) تاريخ بغداد ٣ : ١٣٦.

(٣٦) سير أعلام النبلاء ١٦ : ٤٤٨.

فقد ترجمه الخطيب كذلك وقال: «روى عنه الدارقطني ومن بعده، وحدَّثنا عنه أبو الحسين بن المتيم، وكان ثقة أميناً، حافظاً عارفاً.

أخبرني عبيدالله بن أبي الفتح، عن طلحة بن محمد بن جعفر، قال: مات أبو الحسن علي بن محمد بن عبيدالحافظ الثقة، في سؤال سنة ٣٣٠ وكان عنده بيت علم»^(٣٧).

و«قطيعة جعفر» محلّة من محلات بغداد كان يسكنها.

وأما الحبري، المتوفى سنة ٢٨٦: فهو ثقة عند الحاكم والذهبي، بل حكما بالصحة على شرط الشيخين لما هو في سنده^(٣٨).

وأما حسن بن حسين: فهو العربي الكوفي، وهو أيضاً من رجال المستدرک حيث روى عنه وحكم بصحة الحديث، ووافقه الذهبي في تلخيصه^(٣٩)... وتكلّم بعضهم فيه لأجل تشييعه غير مسموع.

وأما حبان بن علي، المتوفى سنة ١٧١: فمن رجال ابن ماجه.

وقال ابن خراش: «قال يحيى بن معين: حبان بن علي ومندل بن علي صدوقان».

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة، عن سليمان بن أبي شيخ، عن حجر ابن عبدالجبار بن وائل بن حجر: «ما رأيت فقيهاً بالكوفة أفضل من حبان ابن علي».

وقال عبدالله بن أحمد، عن أبيه: «حبان أصح حديثاً من مندل».

وقال الخطيب: «كان صالحاً ديناً».

وقال العجلي: «صدوق».

وذكره ابن حبان في الثقات.

وقال الذهبي - بعد كلام من ضعفه - : «قلت: لكنّه لم يترك»^(٤٠).

وأما الكلبي، فهو محمد بن السائب، المتوفى سنة ١٤٦: وهذا الرجل - وإن تكلّم فيه بعضهم - من رجال أبي داود والترمذي وابن ماجه.

وقال ابن حجر، عن ابن عدي: «حدّث عنه ثقات من الناس ورضوه في التفسير».

فيظهر من مجموع كلماتهم أنّ الطعن عليه يختصّ بأحاديثه في غير التفسير، أمّا في التفسير فمريض عندهم، وقد روى عنه أكابر الأئمة، كسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وعبدالله بن المبارك، وابن

(٣٧) تاريخ بغداد ١٢ : ٧٣ - ٧٤.

(٣٨) المستدرک على الصحيحين وتلخيصه ١ : ١٣ و ٥٠٧، ٣ : ١٣٨ و ١٥١ و ٢١١.

(٣٩) المستدرک على الصحيحين وتلخيصه ٣ : ٢١١.

(٤٠) تهذيب الكمال ٥ : ٣٣٩، تاريخ بغداد ٨ : ٢٥٥، ميزان الاعتدال ١ : ٤٤٩.

جريج، وشعبة، ومحمد بن إسحاق، وغيرهم^(٤١)، وفيهم من لا يروي إلا عن ثقة، كشعبة بن الحجاج، كما ذكروا بتراجمه.

وأما أبو صالح: فهو باذام مولى أم هانئ بنت أبي طالب عليه السلام، وهو من رجال أربعة من الكتب الستة، ووثقه غير واحد من الأئمة.

وعن يحيى القطان: لم أرَ أحداً من أصحابنا ترك أبا صالح مولى أم هانئ^(٤٢).

وهذا القدر يكفي للاحتجاج بحديثه.

وتكلم فيه بعضهم لأجل التدليس.

أقول:

وهكذا يمكن تصحيح غيره من الأسانيد... ولكننا لضيق المجال نرجئ ذلك إلى وقت آخر، فنكتفي بما ذكرناه، وتصحيح السند الذي طعن فيه ابن الجوزي. وبالله التوفيق.

* * *

(٤١) تهذيب الكمال ٢٥ : ٢٤٦، تهذيب التهذيب ٩ : ١٥٩، طبقات المفسرين ٢ : ١٤٩.

(٤٢) تهذيب الكمال ٤ : ٧.

الفصل الثاني

الدلالة

قال العلامة الحلي طاب ثراه في نزول سورة الدهر ودلالاتها على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام: «وهي تدلّ على فضائل جمّة لم يسبق إليها أحد ولا يلحقه أحد، فيكون أفضل من غيره، فيكون هو الإمام»^(٤٣).

فقال ابن تيميّة في الجواب:

«إنّ هذا الحديث من الكذب الموضوع باتّفاق أهل المعرفة بالحديث، الذي هم أئمّة هذا الشأن وحكامه، وقول هؤلاء هو المنقول في هذا الباب، ولهذا لم يُروَ هذا الحديث في شيء من الكتب التي يرجع إليها في النقل، لا في الصحاح ولا في المسانيد ولا في الجوامع ولا السنن، ولا رواه المصنّفون في الفضائل وإن كانوا قد يتسامحون في رواية أحاديث ضعيفة... .
إنّ الدلائل على كذب هذا كثيرة، منها: إنّ عليّاً إمّا تزوّج فاطمة بالمدينة... وسورة (هل أتت) مكّيّة باتّفاق أهل التفسير والنقل، لم يقل أحد منهم إنّها مدنيّة»^(٤٤).

أقول:

قد أشرنا إلى أنّ الأصل في الاعتراضين السابقين هو: ابن تيميّة، كما أشرنا إلى أنّ العمدة هو الاعتراض الأوّل منهما، وذلك، لأنّ كون السورة مكّيّة من أهمّ الأدلّة على دعوى كذب الحديث... كما في هذا الكلام... .

هل سورة الدهر مكّيّة؟

يقول ابن تيميّة: «مكّيّة باتّفاق أهل التفسير والنقل، لم يقل أحد منهم إنّها مدنيّة».
لكن في تفسير البغوي: «مدنيّة، وآياتها إحدى وثلاثون»^(٤٥).

(٤٣) منهاج الكرامة: ١٦٠.

(٤٤) منهاج السنّة ٧: ١٧٧ - ١٧٩.

(٤٥) معالم التنزيل ٥: ٤٩٥.

وكذا في غيره من التفاسير، كالآلوسي، قال: «قال مجاهد وقتادة مدنيّة كلّها.
وقال الحسن وعكرمة والكلبي: مدنيّة إلا آية واحدة فمكيّة وهي (ولا تطع منهم أثماً أو كفوراً)^(٤٦).
وقيل: مدنيّة إلا من قوله تعالى: (فاصبر لحكم ربك...)»^(٤٧) «^(٤٨).
بل كونها «مدنيّة» هو قول الجمهور، كما قال الإمام القاضي الشوكاني^(٤٩) ... ونسبه إلى الجمهور أيضاً
القرطبي في تفسيره^(٥٠) والإمام ابن عادل، فيما نقله عنه
الآلوسي وقال: «وعليه الشيعة»^(٥١).

أقول:

فكيف يقال: «هي مكيّة باتّفاق أهل التفسير والنقل»؟! و«لم يقل أحد منهم إنّها مدنيّة»؟!
ولا بأس بالتنبؤ به بشأن «البغوي» بين المفسرين القائلين بكون سورة الدهر مدنيّة لا مكيّة، وذلك
لأنّ ابن تيميّة يعتمد على تفسيره في منهاج السنّة، وينصّ على أنّ البغوي لم يذكر فيه شيئاً من الأحاديث
الموضوعة - بزعمه - التي يرويها الثعلبي^(٥٢).
وتلخّص: أنّ سورة الدهر مدنيّة، وليست بمكيّة.
فسقط عمدة دليلهم على ردّ الحديث.

النظر في كلام ابن حجر في تخريج الكشّاف:

فلنعد إلى الكلام حول السند:

قال الحافظ ابن حجر: «أخرجه الثعلبي من رواية القاسم بن بهرام، عن ليث بن أبي سليم، عن
مجاهد، عن ابن عباس.

ومن رواية الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس».

أقول: وهذه أسانيد الثعلبي في تفسيره:

(٤٦) سورة الدهر ٧٦ : ٢٤.

(٤٧) سورة الدهر ٧٦ : ٢٤.

(٤٨) روح المعاني ٢٩ : ١٥٠.

(٤٩) فتح القدير ٥ : ٣٤٣.

(٥٠) الجامع لأحكام القرآن ١٩ : ١١٨.

(٥١) روح المعاني ٢٩ : ١٥٠.

(٥٢) منهاج السنّة ٧ : ١٢.

«نزلت في علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين - رضي الله عنهم - وكانت القصة فيه ما أخبرنا به الشيخ أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد بن علي الشيباني العدل - قراءةً عليه في صفر سنة ٣٨٧ - قال: أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن بن الشرقي، قال: حدثنا محبوب بن حميد البصري، قال: حدثنا أبو محمد عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب الخوارزمي - ابن عم الأحنف^(٥٣) - في سنة ٢٥٨، - وسأله عن هذا الحديث روح بن عباد - قال: حدثنا القاسم بن بهرام، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنه.

وأخبرنا عبدالله بن حامد، أخبرنا أبو محمد أحمد بن عبدالله المزني، حدثنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن سهيل، عن علي بن مهران الباهلي - بالبصرة - حدثنا أبو مسعود عبدالرحمن بن فهد بن هلال، حدثني وفي مناقب الخوارزمي هكذا: القاسم بن يحيى عن أبي علي القيري عن محمد بن السائب، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنه.

قال أبو الحسن بن مهران: وحدثني محمد بن زكريا البصري، حدثني شعيب بن واقد المزني، حدثنا القاسم بن بهرام، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنه...»^(٥٤).

أقول:

وأخرجه الحافظ أبو موسى المديني بسندين له عن: «عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب الخوارزمي، بإسناده المذكور، عن القاسم، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس...». ورواه الحافظ ابن الأثير، عن أبي موسى...^(٥٥). ورواه الحافظ سبط ابن الجوزي، من طريق الحافظ البغوي، عن الثعلبي، عن عبدالله بن حامد، بالسند المتقدم، عن ابن عباس...^(٥٦).

أقول:

والحافظ ابن حجر لم يتكلم على هذه الأسانيد بشيء، غير أنه أورد عن الحكيم الترمذي قوله: «ومن الأحاديث التي تنكرها القلوب...»^(٥٧).

(٥٣) كذا، وفي أسد الغابة: «ابن عم الأحنف».

(٥٤) الكشف والبيان في تفسير القرآن ١٠ : ٩٨ - ٩٩.

(٥٥) أسد الغابة ٦ : ٢٣٦.

(٥٦) تذكرة الخواص: ٢٨١.

(٥٧) الكشاف ٦ : ٢٧٩.

وأنت ترى: أن ليس في هذا الكلام دليلٌ علمي يصغى إليه ويعبأ به، أمّا أنّ قلب الرجل ينكر هذا الحديث، فماذا نفعل بقلب طبع الله عليه^(٥٨)!!
ثمّ من هو الحكيم الترمذي؟! وما قيمة آرائه وأحكامه؟!

موجز ترجمة الحكيم الترمذي:

هو: محمّد بن عليّ بن الحسن، المعروف بالحكيم الترمذي، المحدث الصوفي، ذكره أبو نعيم في (الحلية)، والسلمي في طبقات الصوفية وكذا غيرهما في الكتب المؤلفة في تراجم الصوفية، وقد ذكروا أنّ علماء «ترمذ» نفوه من «ترمذ»، وأخرجوه منها، وشهدوا عليه بالكفر.
ومن هنا أورده الحافظ ابن حجر في لسان الميزان، قال: «وذكره القاضي كمال الدين ابن العديم صاحب تاريخ حلب في جزء له سمّاه الملحة في الردّ على أبي طلحة، قال فيه: وهذا الحكيم الترمذي لم يكن من أهل الحديث، ولا رواية له، ولا أعلم له تطرقة ولا صناعة، وإمّا كان فيه الكلام على إشارات الصوفية والطرائق، ودعوى الكشف عن الأمور الغامضة والحقائق، حتّى خرج في ذلك عن قاعدة الفقهاء، واستحقّ الطعن عليه بذلك والإزراء، وطعن عليه أمّة الفقهاء والصوفية، وأخرجوه بذلك عن السيرة المرضية، وقالوا: إنّه أدخل في علم الشريعة ما فارق به الجماعة، وملاً كتبه الفطية بالأحاديث الموضوعة، وحشأها بالأخبار التي ليست بمروية ولا مسموعة، وعلّل فيها جميع الأمور الشرعية التي لا يعقل معناها، بعلل ما أضعفها وما أوهأها».
قال ابن حجر: «قلت: ولعمري لقد بالغ ابن العديم في ذلك، ولولا أنّ كلامه يتضمّن النقل عن الأئمة أنّهم طعنوا فيه لما ذكرته»^(٥٩).

قلت:

وما نحن فيه من هذا القبيل، فقد تكلم في هذا الحديث الشريف على إشارات الصوفية ودعوى الكشف عن الأمور الغامضة والحقائق، حيث ادّعى أنّه من الأحاديث التي تنكرها القلوب!!

(٥٨) لا نريد الخروج عن البحث والاستطراد بذكر بعض الموارد التي عجزوا فيها عن الجواب الصحيح، وفقدوا المقاييس العلمية المعتمدة لردّ فضائل أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام، والتجوؤوا إلى الاستدلال بإنكار القلب، ويا له من دليل مقبول!!
(٥٩) لسان الميزان ٥ : ٣٠٨ - ٣٠٩.

النظر في كلام ابن الجوزي في الموضوعات:

ثم قال ابن حجر:

«ورواه ابن الجوزي في الموضوعات... ثم قال: وهذا لا نشك في وضعه».

أقول:

قال ابن الجوزي في الموضوعات: «أنبأنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا أبو عبدالله محمد بن أبي نصر الحميدي، قال: أنبأنا أبو علي الحسن ابن عبدالرحمن البيهقي، قال: أنبأنا أبو القاسم عبيدالله بن محمد السقطي، قال: أنبأنا عثمان بن أحمد الدقاق، أنبأنا عبدالله بن ثابت، حدثنا أبي عن الهذيل بن حبيب، عن أبي عبدالله السمرقندي، عن محمد بن كثير الكوفي، عن الأصغ بن نباتة، قال: مرض الحسن والحسين...».

ثم قال ابن الجوزي:

«وهذا حديث لا يشك في وضعه، ولو لم يدل على ذلك إلا الأشعار الركيكة والأفعال التي يتنزه عنها أولئك السادة».

قال يحيى بن معين: أصبغ بن نباتة لا يساوي شيئاً، وقال أحمد بن حنبل: حرقنا حديث محمد بن كثير، وأما أبو عبدالله السمرقندي فلا يوثق به^(٦٠).

أقول:

ورواه الحافظ أبو عبدالله الكنجي بإسناده من طريق الحافظ الحميدي كذلك، فقال: «أخبرنا أبو طالب عبداللطيف بن محمد القبيطي البغدادي بها، أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبدالباقي بن سليمان، أخبرنا الحافظ محمد بن أبي نصر الحميدي، أخبرنا أبو علي الحسن بن عبدالرحمن المعروف بالشافعي بمكة، أخبرنا...».

ثم قال الحافظ الكنجي: «هكذا رواه الحافظ أبو عبدالله الحميدي في فوائده، وما رويناها إلا من هذا الوجه، ورواه الحاكم أبو عبدالله في مناقب فاطمة عليها السلام، ورواه ابن جرير الطبري أطول من هذا، في سبب نزول (هدأ) ولم يحضرنى في وقت الإملاء نسخته»^(٦١).

فرواة الحديث بهذا السند حقاظ ومحدثون كبار، وأما أبو عبدالله الحميدي فمن أشهرهم:

(٦٠) الموضوعات ١ : ٣٩٠ - ٣٩٢.

(٦١) كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب: ٣٤٥ - ٣٤٨.

ترجمة أبي عبدالله الحميدي:

له تراجم حسنة ومبسوطة في كثير من الكتب التي يرجع إليها في معرفة الشخصيات الكبار والحوادث المهمة، أمثال:

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم - لابن الجوزي - ١٧ : ٢٩، معجم الأدباء - لياقوت الحموي - ١٨ : ٢٨٢، تذكرة الحفاظ - للذهبي - ٤ : ١٢١٨، الوافي بالوفيات - للصفدي - ٤ : ٣١٧، مرآة الجنان - لليافعي - ٣ : ١١٣، النجوم الزاهرة - لابن تغري بردى - ٥ : ١٥٦، تتمّة المختصر في أخبار البشر - لابن الوردي - ٢ : ٩، الكامل في التاريخ - لابن الأثير - ١٠ : ٢٥٤.

وكذا في غير هذه الكتب، ولم نجد في شيء منها طعنًا على الرجل أو غمزًا في علمه وثقته وورعه عندهم... .

ونكتفي هنا بذكر موجز ترجمته في سير أعلام النبلاء:

«الحميدي: الإمام القدوة، الأثري، المتقن، الحافظ، شيخ المحدثين، أبو عبدالله بن أبي نصر الأندلسي، استوطن بغداد، وكان من بقايا أصحاب الحديث علماء وعملاً وعقدًا وانقيادًا، رحمة الله عليه. قال أبو نصر بن ماکولا: لم أرَ مثل صديقنا أبي عبدالله الحميدي في نزاهته وعفته وورعه وتشاغله بالعلم، صنّف تاريخ الأندلس.

وقال يحيى بن إبراهيم السلماسي، قال أبي لم ترَ عيناى مثل الحميدي، في فضله ونبله وجزارة علمه وحرصه على نشر العلم، وكان ورعاً تقيّاً، إماماً في الحديث وعلله ورواته، متحققاً بعلم التحقيق والأصول على مذهب أصحاب الحديث بموافقة الكتاب والسنة... .

قال السلفي: سألت أبا عامر العبدري عن الحميدي فقال: لا يرى مثله قط، وعن مثله لا يسأل، جمع بين الفقه والحديث والأدب، ورأى علماء الأندلس، وكان حافظاً. توفي سنة ٤٨٨»^(٦٢).

ثم إنَّ الكلام على ما ذكره ابن الجوزي من وجوه:

أولاً: إنَّ دليل على كذب الحديث هو اشتماله على الأشعار والأفعال، وهذا باطل، لأنَّ الاستدلال إثمًا هو بأصل الحديث وسبب نزول السورة المباركة.

(٦٢) سير أعلام النبلاء ١٩ : ١٢٠ - ١٢٧.

وثانياً: إن هذه الأشعار والأفعال إنما جاءت في الخبر باللفظ الذي أورده، وليست في جميع ألفاظه، فالتدريج بها لتكذيب الخبر باطل من أصله.

وثالثاً: نقل الخبر بأحد ألفاظه وأسانيده، والطعن في ثبوت أصل الخبر بسبب التكلم في أحد أسانيده، ليس من شأن العلماء المنصفين الأتقياء، لكن هذا من ابن الجوزي كثير!
ورابعاً: لقد توقّف العلماء المحققون عن قبول آراء ابن الجوزي في **الموضوعات** وتعقبوا كثيراً منها وخطّوه فيها، حتّى قالوا بعدم جواز التعويل عليه في هذا الباب.

كلمات في ابن الجوزي والموضوعات:

فكان من المناسب أن نورد هنا شيئاً ممّا قالوه فيه، وفي كتابه **الموضوعات**:
قال ابن الأثير وابن الوردي والدياربركري، بترجمته: «كان كثير الوقعة في الناس، لا سيّما في العلماء المخالفين لمذهبه»^(٦٣).

وقال الذهبي: «قرأت بخط الموقاني أن ابن الجوزي شرب البلاذر، فسقطت لحيته فكانت قصيرة جداً، وكان يخضبها بالسواد، وكان كثير الغلط في ما يصنّفه، فإنّه كان يفرغ من الكتاب ولا يعتبره.

قلت: نعم، له وهم كثير في توأليفه، يدخل عليه الداخل من العجلة والتحويل إلى مصنّف آخر، ومن أنّ جلّ علمه من كتب صحف ما مارس فيها أرباب العلم كما ينبغي»^(٦٤).

وقال السيوطي والداوودي بترجمته: «قال الذهبي في التاريخ الكبير: لا يوصف ابن الجوزي بالحفظ عندنا باعتبار الصنعة، بل باعتبار كثرة اطلاعه وجمعه»^(٦٥).

وسياقي قول ابن حجر الحافظ «ابن الجوزي حاطب ليل لا ينتقد ما يحدث به».

وأما كتابه **الموضوعات** فقد تكلم فيه كبار علماء الحديث: كالنووي، وابن الصلاح، وابن جماعة، والزين العراقي، وابن كثير، وابن حجر، والسخاوي، والسيوطي... .

قال ابن كثير: «وقد صنّف الشيخ أبو الفرج بن الجوزي كتاباً حافلاً في الموضوعات، غير أنّه أدخل فيه ما ليس منه، وخرج عنه ما كان يلزمه ذكره، فسقط عليه ولم يهتد إليه»^(٦٦).

(٦٣) راجع حوادث سنة ٥٩٧ من الكامل في التاريخ والخميس.

(٦٤) تذكر الحفظ ٤ : ١٣٤٢ - ١٣٤٨ رقم ١٠٩٨.

(٦٥) طبقات الحفظ: ٤٨٠، طبقات المفسرين: ٢٨٠.

(٦٦) الباعث الحثيث: ٧٥.

وقال ابن حجر بعد إثبات حديث سدّ الأبواب إلاّ باب عليّ، وأنّ ابن الجوزي أدرجه في الموضوعات: «أخطأ في ذلك خطأً شنيعاً».

قال: «لأنّ (فوق كلّ ذي علم عليم)^(٦٧)، وطريق الورع في مثل هذا أن لا يحكم على الحديث بالبطلان، بل يتوقّف فيه إلى أن يظهر لغيره ما لم يظهر له...»^(٦٨).

وقال السخاوي: «رَبِّمَا أدرج فيها الحسن والصحيح ممّا هو في أحد الصحيحين فضلاً عن غيرهما، وهو مع إصابته في أكثر ما عنده توسّع منكر ينشأ عنه غاية الضرر، من ظنّ ما ليس بموضوع - بل هو صحيح - موضوعاً ممّا قد يقلّده فيه العارف تحسیناً للظنّ به حيث لم يبحث فضلاً عن غيره، ولذا انتقد العلماء صنيعة إجمالاً، والموقع له في استناده في غالبه لضعف راويه الذي رمي بالكذب مثلاً، غافلاً عن مجيئه من وجه آخر»^(٦٩).

وخامساً: إنّه على فرض التنزّل، فإنّ طعنه في الحديث في (موضوعاته) معارض بأنّه نقله في (تبصرته) ولم يتعقّبه^(٧٠).

وسادساً: إنّه لا وجه للمتكلم في «محمد بن كثير الكوفي» و«الأصبغ ابن نباتة» إلاّ «التشيع»، وقد تقرّر أنّ «التشيع» بل «الرفض» غير مضرّ عندهم، وبه نصّ الحافظ ابن حجر العسقلاني^(٧١).

ترجمة الأصبغ بن نباتة:

فأمّا «الأصبغ بن نباتة» فهو من أشهر التابعين، وقد تقرّر عندهم عدالة التابعين كالصحابة، عملاً بما يروونه عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم من قوله: «خير القرون قرنيّ ثمّ الذين يلونهم»^(٧٢). وقال الحاكم: «النوع الرابع عشر من هذا العلم: معرفة التابعين، وهذا نوع يشتمل على علوم كثيرة، فإنّهم على طبقات في الترتيب، ومهما غفل الإنسان عن هذا العلم لم يفرّق بين الصحابة والتابعين، ثمّ لم يفرّق أيضاً بين التابعين وأتباع التابعين، قال الله عزّ وجلّ (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعدّ لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم)^(٧٣)».

(٦٧) سورة يوسف ١٢ : ٧٦.

(٦٨) القول المسدّد في الذبّ عن المسند: ٢٧.

(٦٩) فتح المغيبيّ - شرح ألفية الحديث - ١ : ٢٧٦.

(٧٠) روح المعاني ٢٩ : ١٥٨.

(٧١) مقدّمة فتح الباري: ٣٩٨ و ٤١٠.

(٧٢) جامع الأصول ٨ : ٥٤٧ - ٥٤٨.

(٧٣) سورة التوبة ٩ : ١٠٠.

وقد ذكرهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلّم... فخير الناس قرناً - بعد الصحابة - من شافه أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلّم، وحفظ عنهم الدين والسُنن، وهم قد شهدوا الوحي والتنزيل...»^(٧٤).

ثم إنّه من رجال ابن ماجه، وروى عنه جماعة من الأكابر، ووثقه بعض الأعلام كالعجلي^(٧٥)... وتكلم فيه غير واحد، وكلّ كلماتهم تعود إلى كونه من شيعة عليّ عليه السلام وروايته لفضائله، كقول ابن حبان: «فتن بحبّ عليّ بن أبي طالب، فأق بالطمّات في الروايات فاستحقّ من أجلها الترك»، وقول ابن عدي: «لم أُخرَج له هاهنا شيئاً، لأنّ عامد ما يرويه عن عليّ لا يتابعه أحد عليه»^(٧٦). فهذا هو السبب في ترك بعض القوم حديثه.

ثم تأمل في كلام ابن عديّ بعد ذلك: «وإذا حدّث عن الأصبح ثقة فهو عندي لا بأس بروايته، وإمّا أتى الإنكار من جهة من روى عنه، لأنّ الراوي عنه لعلّه يكون ضعيفاً؛ لتعرف الاضطراب منه ومن أمثاله عندما يريدون ردّ حديث رجل بلا دليل وسبب سوى التشييع!!»

ترجمة محمّد بن كثير:

وأما «محمّد بن كثير الكوفي» فكذلك.

فابن حنبل يقول: «حرّفنا حديثه».

ويحيى بن معين - وهو الذي نقل كلامه ابن الجوزي في القدرح في الأصبح - يقول: «هو شيعي لم يكن به بأس، سمعت أنا منه»^(٧٧).

فالرجل ثقة، لكن تشييعه يبرّر لأحمد - كما قالوا - لأنّ يخرق حديثه! ولا بدّ وأن يترك حديثه وهو يروي عن الأعمش، عن عديّ بن ثابت، عن زرّ، عن عبدالله بن مسعود، عن عليّ: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وسلّم: «من لم يقل عليّ خير الناس فقد كفر»^(٧٨).

مكابرات أخرى:

(٧٤) معرفة علوم الحديث: ٤١ - ٤٢.

(٧٥) تهذيب الكمال ٣: ٣١٠ - ٣١١.

(٧٦) تهذيب الكمال ٣: ٣١٠، تهذيب التهذيب ١: ٣١٦.

(٧٧) الجرح والتعديل ٨: ٦٨، تاريخ بغداد ٣: ١٩٢، وغيرهما.

(٧٨) تاريخ بغداد ٣: ١٩٢.

فظهر أنّ ما ذكره إن هو إلا مكابرات عن قبول الحق، لأنّ السورة كما تقدّم مدنيّة لا مكّيّة، ولأنّ الاستدلال إنّما هو بأصل الخبر لا بالأشعار الواردة في أحد ألفاظه... لو سلّمنا ورود الإشكال فيها.

* وكان ابن تيمية يعلم بأنّ ما ذكره لا يكفي لردّ الحديث، فيضطرّ إلى أن يكذب؛ فينفي وجود خادمة لأهل البيت اسمها «فضة» ليكون دليلاً على كذب أصل الخبر!

إنّه يقول: «إنّ عليّاً وفاطمة لم يكن لهما جارية اسمها فضة، بل ولا لأحد من أقارب النبيّ صلى الله عليه وآله [وآله] وسلّم، ولا نعرف أنّه كان بالمدينة جارية اسمها فضة، ولا ذكر ذلك أحد من أهل العلم، الذين ذكروا أحوالهم دقّها وجلّها، ولكن فضة هذه بمنزلة ابن عقب الذي يقال: إنّه كان معلّم الحسن والحسين، وإنّه أُعطي تفاحه كان فيها علم الحوادث المستقبلية، ونحو ذلك من الأكاذيب التي تروج على الجهّال... وهكذا هذه الجارية فضة...»^(٧٩).

أقول:

انظر إصراره على التكذيب بقلة حياء... وهو الكاذب!!

وإليك عبارة الحافظ ابن الأثير: «فضة النوبيّة، جارية فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله [وآله] وسلّم: أخبرنا أبو موسى كتابه...» فأورد الحديث بإسناد عن ابن عباس^(٨٠).

وعبارة الحافظ ابن حجر العسقلاني: «فضة النوبيّة، جارية فاطمة الزهراء... أخرج أبو موسى في الذيل، والثعلبي في تفسير سورة (هد أق)، من طريق عبدالله بن عبدالوهاب الخوارزمي ابن عمّ الأحنف...» قال: «وذكر ابن صخر في فوائده وابن بشكوال في كتاب المستغيثين من طريقه، بسند له من طريق الحسين بن العلاء، عن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ، عن أبيه، عن عليّ: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم أخدم فاطمة ابنته جارية اسمها فضة النوبيّة، وكانت شاطرة الخدمة، فعلمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم دعاء تدعو به...»^(٨١).

هذا، وكانّ بعض أتباع ابن تيمية يقصرون عنه في الصلابة، فلا يقلّدونه في كلّ شيء، خوفاً من الفضيحة!!

(٧٩) منهاج السنّة ٧ : ١٨٢ - ١٨٣.

(٨٠) أسد الغابة في معرفة الصحابة ٦ : ٢٣٦.

(٨١) الإصابة في معرفة الصحابة ٨ : ١٦٧.

* ومكابرة أُخرى، تجدها عند ابن روزبهان الخنجي - وهو الآخر صاحب الردّ على العلامة الحليّ

في كتابه نهج الحقّ - .

إنّه يقول: «ذكر بعض المفسّرين في شأن نزول السورة ما ذكره، ولكن أنكر على هذه الرواية كثير من المحدثين وأهل التفسير، وتكلّموا في أنّه هل يجوز أن يبالغ الإنسان في الصدقة إلى هذا الحدّ، ويجوّع نفسه وأهله، حتّى يشرف على الهلاك؟ وقد قال الله تعالى: (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو) (٨٢) والعفو ما كان فاضلاً من نفقة العيال، وقال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: خير الصدقة ما يكون صنواً عفواً» (٨٣).

أقول:

فهو لا يدّعي كون السورة مكّيّة، ولا يدّعي كون الحديث موضوعاً... وإمّا يشكّك فيه من هذه الناحية، ولو كان هناك مجالٌ لأن يقال مثل هذا في مقابلة استدلال الإماميّة لقالة المتأخّرون والمعاصرون، الذين لا يوجد عندهم إلاّ الاجترار والتكرار!!

وهذا التشكيك واضح الاندفاع نقضاً وحلاً، ويكفي للجواب عنه ما تقدّم في الفوائد.

وتلخّص: أنّ الحقّ مع السيّد رحمه الله، والحمد لله.

* * *

(٨٢) سورة البقرة ٢ : ٢١٩.

(٨٣) إبطال الباطل. راجع: إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل ٣ : ١٧٠.

آية الاعتصام بحبل الله

قوله تعالى: (واعتصموا بحبل الله)

قال السيّد رحمه الله:

«أليسوا حبل الله الذي قال: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا)^(٨٤) .

فقال في الهامش:

«أخرج الإمام الثعلبي في معنى هذه الآية، من تفسيره الكبير، بالإسناد إلى أبان بن تغلب، عن الإمام جعفر الصادق، قال: نحن حبل الله الذي قال: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا)... .
وعدها ابن حجر في الآيات النازلة فيهم، فهي الآية الخامسة من آياتهم التي أوردتها في الفصل الأول من الباب ١١ من (صواعقه) ونقل في تفسيرها عن الثعلبي ما سمعته من قول الإمام جعفر الصادق.

وقال الإمام الشافعي - كما في رشفة الصادي، للإمام أبي بكر بن شهاب الدين - :
ولما رأيت الناس قد ذهب بهم *** مذاهبهم في أبحر الغي والجهلركبت على اسم الله في سفن النجا *** وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل
وأمسكت حبل الله وهو ولاؤهم *** كما قد أمرنا بالتمسك بالحبل^(٨٥)»

ف قيل:

«لم يرد عن من يُحتجُّ به في التفسير أنّ (حبل الله) في الآية هم (أهل البيت) بل ورد أنّ حبل الله هو القرآن الكريم.

(٨٤) سورة آل عمران ٣: ١٠٣.

(٨٥) المراجعات: ٢٦ - ٢٧.

قال أبو جعفر الطبري: حدّثنا سعيد بن يحيى الأموي، حدّثنا أسباط ابن محمّد، عن عبدالمملك بن سليمان العزرمي، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلّم: كتاب الله هو جبل الله الممدود من السماء إلى الأرض^(٨٦).

وهذا التفسير لجبل الله من جنس تفسيرهم: الإمام المبين: عليّ بن أبي طالب، والشجرة الملعونة: بنو أمية، واللؤلؤ والمرجان، الحسن والحسين... وأمثال هذه الترهات التي لا يقول بها من يحترم نفسه، فضلاً عن أن يفهم كلام الله.

وليس مجرد ذكر الثعلبي لهذا المعنى في تفسيره يجعله صحيحاً، ولا نقل ابن حجر الهيتمي له في كتابه يزكّيه، ولا مجرد كون الإمام جعفر الصادق قد قال هذا القول يجعله حُجَّةً، فإنّ أئمة المفسرين لهم ستّة أقوال في (جبل الله).

الأول: إنّه كتاب الله، رواه شقيق، عن ابن مسعود بإسناد صحيح، وبه قال قتادة والضحاك

والسدّي

والثاني: إنّه الجماعة، رواه الشعبي عن ابن مسعود.

والثالث: إنّه دين الله، قاله ابن عباس، وابن زيد، ومقاتل، وابن قتيبة، وقال ابن زيد: هو الإسلام.

والرابع: إنّه عهد الله، قاله مجاهد، وعطاء، وقاتل - في رواية - وأبو عبيد.

والخامس: إنّه الإخلاص، قاله أبو العالية.

والسادس: إنّه أمر الله وطاعته، قاله مقاتل بن حيان.

ابن الجوزي في تفسيره ١ : ٤٣٢.

فأنت ترى أنّه ليس من بين هذه الأقوال المعتمدة ما يشبه هذا القول المروي عن جعفر الصادق، والذي لا يؤيده نقل صادق ولا عقل حاذق.

أما الأبيات المنسوبة للإمام الشافعي، فليست في ما هو مطبوع من شعره، كما أنّ من له خبرة بالشعر، وبديباجة شعر الشافعي، يجزم بأنّ هذا الشعر منحول عليه، وخاصّة البيت الثاني.

أما الدليل الأظهر على النحل، فهو أنّه لا يمكن للشافعي أن يقول: وأمست جبل الله... .

فإنّ الفصحاء، بل البسطاء في علم العربية، يعرفون أنّ الفعل «أمست» يتعدّى بالباء لا بنفسه،

فهل يجوز هذا الغلط على مثل الشافعي إمام الفصحاء، ومن كان كلامه حُجَّةً في اللغة؟!

قال عبدالمملك بن هشام صاحب المغازي، إمام أهل مصر في عصره في اللغة والنحو: الشافعي،

حُجَّة في اللغة، وكان إذا شك في شيء من اللغة بعث إلى الشافعي فسأله عنه.

(٨٦) جامع البيان ٤ : ٢١.

وقال أبو عبيد: كان الشافعي ممّن تؤخذ عنه اللغة.

وقال أيّوب بن سويد: خذوا عن الشافعي اللغة.

وقال أبو عثمان المازني: الشافعي عندنا حجة في النحو.

وقال الأصمعي: صححت أشعار الهذليين على شاب من قريش بمكة يقال له: محمّد بن إدريس.

وقال محمّد بن عبد الله بن عبد الحكم: سمعت الشافعي يقول: أروي لثلاثمائة شاعر مجنون.

وقال الزبير بن بكار: أخذت شعر هذيل ووقائعها وأيامها عن عمي مصعب وقال: أخذتها من

الشافعي حفظاً.

تهذيب الأسماء واللغات ١ : ٤٩.

فهل ترى من هذه منزلته في اللغة - وهو مع هذا شاعر مطبوع - يقول مثل هذا الشعر الركيك؟!

وانظر آخر المراجعة ٦».

هل يطعن مسلم في الإمام الصادق عليه السلام؟!

أقول:

وأني مسلم يجرؤ على التعبير عن الإمام الصادق عليه السلام بمثل هذه التعابير؟!

سبحان الله!!

إنّه عندما ينقل السيّد عن وفيات الأعيان بقاء مالك بن أنس جنيناً في بطن أمّه ثلاث سنين، يقول هذا

المتقول: «فلا ندري ماذا يريد بذلك؟! هل يريد الغمز

بالإمام مالك؟! أم يريد التهويل والإزراء على أهل السنّة بروايتهم ذلك؟!».

وعندما يعترض أحد علماء الأزهر - وهو الشيخ محمّد الغزالي - على الحافظ ابن حجر العسقلاني

قبوله حديث الغرائق الباطل قائلاً: «فهل وعى ذلك من قبل حديث الغرائق وقال: إنّ تظاهر الروايات

يجعل له أصلاً ما، والقائل محدث كبير؟!»; يقول متقول آخر: «لمز الأستاذ بعض علماء الإسلام الأفاضل

الذين بذلوا حياتهم خدمة للإسلام والمسلمين أمثال الحافظ العلامة ابن حجر العسقلاني... .

هذا المحدث الكبير الذي لمزه الأستاذ بعدم الوعي لم يسمّه لنا هنا، ولكن سمّاه لنا في كتاب آخر

بأنّه: ابن حجر.

سبحان الله! حافظ علامة عالم ربّاني رحمه الله تعتبر كتبه من أعظم الكنوز في المعارف الإسلامية، يلّمزه الأستاذ - هداه الله - بقوله: فهل وعى؟ هذه الكلمة التي قد تقال في بعض المتعلّمين، أمّا جبال العلم أمثال ابن حجر رحمه الله فلا أتصوّر أن الأستاذ يوافقني على لمزهم بهذا^(٨٧).

فإذا كان ما ذكره السيّد «غمزاً» وما قاله الشيخ «لمزاً»... فهل يقول من يؤمن بالله واليوم الآخر، عن الإمام الصادق عليه السلام بأنّه لا يُحتجّ به في التفسير؟! وأنّه ليس من أئمة المفسّرين؟! وأنّ قوله غير معتبر؟! وأنّ تفسيره ترّهات لا يقول بها من يحترم نفسه...؟! ولا يؤيّدُه نقل صادق ولا عقل حاذق...؟! فإذا ما قارنت بين هذا الكلام - وهو في الإمام الصادق عليه السلام، الذي قال فيه مالك بن أنس: اختلفت إليه زماناً، فما كنت أراه إلّا على ثلاث خصال، إمّا مصلاً وإمّا صائماً وإمّا يقرأ القرآن وما رأيته يحدث إلّا على طهارة. إلى هنا في تهذيب التهذيب وبقية كلامه لم ترد فيه، وما رأيت عين ولا سمعت أذن ولا حطّر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمّد الصادق علماً وعبادةً وورعاً^(٨٨) - وبين انزعاجهم من أن يقال في أحد علمائهم كلمة «ما وعى» مثلاً... عرفت أنّهم يناصرون العدا لأهل البيت عليهم السلام ويحاولون التكتّم على ذلك، ولكن (قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر)^(٨٩) (قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله)^(٩٠) (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله)^(٩١).

مطابقة تفسير الإمام للكتاب والسنة:

ثمّ إنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام - الذين أرجع الله ورسوله الأئمة إليهم، وورد التمسك بهم والأخذ عنهم في الكتاب والسنة - لا يقولون شيئاً يخالف القرآن والسنة النبوية الثابتة، بل إنّ جميع ما جاء عنهم بسند صحيح له شاهدٌ فيهما، وهذا ما صرّحوا به في الروايات المنقولة عنهم، كقول الإمام الصادق عليه السلام: «إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، وإلّا فالذي جاءكم به أولى به»^(٩٢).

(٨٧) كتب حدّرها منها العلماء ١ / ٢٢١ - ٢٢٢، وهو كتابٌ نشرته الفرقة السلفية، حدّرت فيه الناس من قراءة مئات الكتب المؤلّفة من قبل علماء الشيعة والسنة في الردّ والطعن على ابن تيمية وابن عبد الوهاب وأمثالهما، فكان كتاب الشيخ الغزالي واحداً منها لأنّه لمز فيه ابن حجر العسقلاني في القضية التي ذكرها، وابن عبد الوهاب في قضية أخرى مثلها!!

(٨٨) تهذيب التهذيب ٢ : ٨٨.

(٨٩) سورة آل عمران ٣ : ١١٨.

(٩٠) سورة آل عمران ٣ : ١١٨.

(٩١) سورة البقرة ٢ : ٢٨٤.

(٩٢) وسائل الشيعة ٢٧ : ١١٠ / ١١.

مضافاً إلى أنهم يروون عن أمير المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «قال الله جلّ جلاله: ما آمن بي من فسر برأيه كلامي»^(٩٣).

أقول:

ومن هذا القبيل تفسير «حبل الله» في الآية المباركة بـ«أهل البيت» وذلك لأنّ هذا التفسير له شواهد في السُنّة النبوية المباركة، ومنها حديث الثقلين المتواتر بين الفريقين، ومن رواياته ما ذكره هذا المتقول - أوّل ما ذكر - عن الطبري بسنده، عن عبدالمملك، عن عطية، عن أبي سعيد^(٩٤)، وجعله قول من يحتجّ به، وقد أخرج الحديث بهذا الإسناد أحمد في المسند حيث قال: «ثنا ابن نمير، ثنا عبدالمملك بن أبي سليمان، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله [وآله] وسلّم: إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا بعدي: الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا وإنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»^(٩٥).

فالرسول صلى الله عليه وآله وسلّم قد ترك في الأمة «ثقلين» وأمر بالأخذ بهما من بعده، وجعل الأخذ بهما أماناً من الضلال وسبباً للهدى والفلاح، ثمّ عبّر عن أحدهما بكونه أكبر من الآخر، وأكّد على «أنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض».

فكان كلاهما - القرآن والعترة أهل البيت معاً - السبب الموجب للمنع من الضلال، لأنّ قوله: (واعتصموا) أي: «امتنعوا»، و«الحبل» هو «السبب»، وهذا ما نصّ عليه المفسرون واللغويون.

قال أبو جعفر الطبري: «وأما قوله: (ومن يعتصم بالله فقد هُدي إلى صراط مستقيم)^(٩٦) فإنّه يعني: ومن يتعلّق بأسباب الله ويتمسك بدينه وطاعته فقد هُدي... وأصل العصم: المنع، فكلّ مانع شيئاً فهو عاصمه، والممتنع به معتصم به... ولذلك قيل للحبل: عصام، وللسبب الذي يتسبّب به الرجل إلى حاجته: عصام... يقال: منه اعتصمت بحبل من فلان، واعتصمت حبلأً منه واعتصمت به واعتصمته، وأفصح اللغتين: إدخال الباء كما قال عزّ وجلّ: (واعتصموا بحبل الله جميعاً) وقد جاء اعتصمته كما قال الشاعر...»^(٩٧).

(٩٣) وسائل الشيعة ٢٧ : ٤٥ / ٢٢.

(٩٤) يظهر منه قبول «عطية بن سعد العوفي» وفيه ردّ على زميله الدكتور عليّ أحمد السالوس، الذي حاول في رسالته في «حديث الثقلين» إسقاط روايات عطية، وقد أجبنا عنه في كتابنا «حديث الثقلين: تواتره - فقهه» في ردّه بما لا مزيد عليه.

(٩٥) مسند أحمد ٣ : ٤٦٣ / ١١٦٧.

(٩٦) سورة آل عمران ٣ : ١٠١.

(٩٧) جامع البيان ٤ : ١٨ - ١٩.

وقال بتفسير الآية (واعتصموا بحبل الله جميعاً): «يعني بذلك جَلّ ثناؤه: وتعلّقوا بأَسبابِ الله جميعاً، يريد بذلك تعالَى ذِكْرُه: وتمسّكوا... وأمّا الحبل فإنّه السبب الذي يوصل به إلى البغية والحاجة...»^(٩٨).
فظهر أنّ «العترَةَ أهل البيت» مثل «القرآن» في أنّهم «حبل» وأنّ من تمسّك بهم فقد اعتصم من الضلال، ولذا نرى حديث الثقلين في بعض ألفاظه: «ما إن اعتصمتم بهما» وهو ما أخرجه ابن أبي شيبة: «إني تركت فيكم ما لن تضلّوا بعدي إن اعتصمتم به: كتاب الله، وعترتي»^(٩٩).

وفي بعضها الآخر: «ما إن تمسّكتم» وهذا هو اللفظ المشهور.

وفي بعض ثالث: «إن اتّبعتموهما»^(١٠٠).

كما نرى الحديث بلفظ «إني تارك فيكم خليفتين» كما هو عند أحمد^(١٠١)، ولفظ جمع فيه بين «الثقلين» و«الخليفتين» كما هو عند ابن أبي عاصم^(١٠٢).

ومن هنا، فقد أورد بعض المفسّرين حديث الثقلين أو أشار إليه بتفسير الآية المباركة، أعني:

(واعتصموا بحبل الله)^(١٠٣) كما أوردوه بتفسير قوله تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى)^(١٠٤).

وقال الشراح المحقّقون بشرح حديث الثقلين: «إنّ ذلك يفهم وجود من يكون أهلاً للتمسّك به من أهل البيت والعترَةَ الطاهرة، في كلّ زمان وجدوا فيه إلى قيام الساعة، حتّى يتوجّه الحثّ المذكور إلى التمسّك به، كما إنّ الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض، فإذا ذهبوا ذهب أهل الأرض»^(١٠٦).

هذا كلّهُ بالإضافة إلى ورود الحديث الشريف بلفظ «حبلين»:

قال الطبرسي رحمه الله بتفسير الآية المباركة، في الأقوال في معنى «حبل الله»: «ثالثها: ما رواه

أبان بن تغلب، عن جعفر بن محمّد عليه السلام، قال: نحن حبل الله الذي قال: (واعتصموا بحبل الله جميعاً)».

(٩٨) جامع البيان ٤ : ٢١.

(٩٩) كذا في نقل بعض المحدّثين عن المصنّف لابن أبي شيبة، عن جابر، عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم، لكنّه في المطبوع برقم (١٠١٢٦) محرّف بإسقاط كلمة «وعترتي» وكذلك حرّف فيه الحديث عن زيد بن أرقم، الذي أخرجه مسلم وغيره، وعن عطية، عن أبي سعيد الخدري، الذي أخرجه أحمد وغيره، فراجع (١٠١٢٧) و(١٠١٣٠) في الجزء العاشر من المصنّف، فحيا الله الأمانة على الحديث النبويّ!!

(١٠٠) المستدرک على الصحيحين ٣ : ١١٠.

(١٠١) مسند أحمد ٥ : ١٨٩ - ١٩٠ / ٢١١٤٥.

(١٠٢) كتاب السنّة: ٦٢٨ - ٦٣١.

(١٠٣) جواهر العقدين ٢ : ٩٦.

(١٠٤) سورة الشورى ٤٢ : ٢٣.

(١٠٥) الدرّ المنثور ٧ : ٣٤٩، السراج المنير ٣ : ٥٣٨، وغيرهما.

(١٠٦) جواهر العقدين ١ : ٩٤، فيض القدير شرح الجامع الصغير ٣ : ١٥، شرح المواهب اللدنيّة ٧ : ٨، الصواعق المحرقة: ٢٣٢، مرقاة

المفاتيح ٥ / ٥٩٤ و ٦٠١.

قال: «والأولى حمله على الجميع، والذي يؤيده ما رواه أبو سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: أيها الناس! إنني قد تركت فيكم حبلين أحذتم بهما لن تضلوا بعدي، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»^(١٠٧).

وتلخص: أن الآية المباركة تأمر بالاعتصام، أي بالتمسك والتعلق «بحبل الله» أي: بالسبب الذي يوصل إلى رضاه، الموجب للنجاة والدخول في الجنة، وينجي من غضبه الموجب للدخول في النار... وهذا «السبب» هو «الكتاب والعترة الطاهرة»، و«دين الله» وهو «الإسلام» لا يتحقق إلا باتباعهما، وذلك «عهد الله» وفي ذلك «أمر الله وطاعته» وبذلك يحصل «الإخلاص» لله عز وجل، وتتم «الجماعة» التي يد الله معها، كما في الحديث.

رجوع المعاني كلها إلى معنى واحد:

فالمعاني الستة التي ذكرها ابن الجوزي كلها ترجع إلى أصل واحد ومعنى فارد، ولا تمنع شيئاً من ذلك، وإن لم يكن قائلوها عندنا «أئمة المفسرين»... لكن

من طبيعة حال ابن الجوزي أن لا يذكر قول أئمة أهل البيت الطاهرين، الذين هم أدرى بما في البيت، إلا أن ابن الجوزي غير مقبول حتى عند أبناء طائفته كما تقدم، ونكتفي هنا بكلمتين بالمناسبة:

يقول الذهبي بترجمة أبان بن يزيد العطار: «قد أورده العلامة أبو الفرج في الضعفاء، ولم يذكر فيه أقوال من وثقه، وهذا من عيوب كتابه؛ يسرد الجرح ويسكت عن التوثيق»^(١٠٨).

ويقول ابن حجر العسقلاني، بترجمة ثمامة بن الأشرس البصري، بعد قصة ذكرها: «دلّت هذه القصة على أن ابن الجوزي حاطب ليل لا ينقد ما يحدث به»^(١٠٩).

فعلى ضوء هاتين الكلمتين نقول: إن ابن الجوزي - بغض النظر عن انحرافه عن أهل البيت - ذكر الأقوال في تفسيره ولم يذكر قول الإمام من أهل البيت، وهذا من عيوب كتابه، كما إنّه سردها ولم ينتقدها، فهو أيضاً حاطب ليل.

إلا أنا - وبالنظر إلى حديث الثقلين المتواتر بين الفريقين - أرجعناها إلى حقيقة واحدة، ولم نطرح شيئاً من هذه الأقوال.

(١٠٧) مجمع البيان ١ : ٤٨٢.

(١٠٨) ميزان الاعتدال ١ : ١٦.

(١٠٩) لسان الميزان ٢ : ٨٣.

أما الثعلبي... فلم يكن كابن الجوزي، فقد أورد في تفسيره بعض الأحاديث عن أئمة أهل البيت بأسانيد المتصلة بهم، بتفسير طائفة من الآيات... ومنها هذه الآية الشريفة.

فقد روى حديث الثقلين عن عبد الملك، عن عطية، عن أبي سعيد - وهو السند الذي اعتمده بعض المفترين - حيث قال: «حدثنا الحسن بن محمد بن

حبيب المفسر، قال: وجدت في كتاب جدِّي بخطه: نا أحمد بن الأحجم القاضي المرندي، نا الفضل بن موسى السيناني، نا عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: يا أيها الناس! إني قد تركت فيكم خليفتين إن أخذتم بهما لن تضلوا بعدي، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض».

وروى الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام، حيث قال: «أخبرني عبد الله بن محمد بن عبد الله، نا محمد بن عثمان، نا محمد بن الحسين بن صالح، نا علي بن العباس المقانعي، نا جعفر بن محمد، قال: نحن حبل الله الذي قال: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)»^(١١٠).

وقد أورد هذا الحديث عن الثعلبي جماعة من علماء القوم، مرتضين له، كالحافظ السمهودي^(١١١)، والشيخ محمد الصبان^(١١٢)، والشيخ القندوزي البلخي^(١١٣)، وغيرهم، بل أرسله الأول منهم في موضع آخر إرسال المسلم^(١١٤)... فليس الذي أورده عن الثعلبي هو ابن حجر المكي وحده.

موجز ترجمة الثعلبي:

ثم إن الثعلبي - وهو أبو إسحاق أحمد بن محمد، المتوفى سنة ٤٢٧ - إمام كبير من أئمة التفسير واللغة، وتفسيره من أشهر التفاسير عندهم:

قال الذهبي: «الثعلبي، الإمام الحافظ العلامة، شيخ التفسير، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، كان أحد أوعية العلم، له كتاب التفسير الكبير وكتاب العرائس في قصص الأنبياء.

قال السمعاني: يقال له: الثعلبي والثعالبي، وهو لقب له لا نسب.

حدث عن... وكان صادقاً موثقاً، بصيراً بالعربية، طويل الباع في الوعظ.

(١١٠) الكشف والبيان ٣: ١٦٣.

(١١١) جواهر العقدين ١: ٩٦.

(١١٢) إسعاف الراغبين: ١١٨.

(١١٣) ينابيع المودة ١: ٣٥٦ / ١٠.

(١١٤) جواهر العقدين ٢: ١٢٧.

حدّث عنه: أبو الحسن الواحدي، وجماعة.

قال عبدالغافر بن إسماعيل: قال الأستاذ أبو القاسم القشيري: رأيت ربّ العزّة في المنام وهو يخاطبني وأخاطبه، فكان في أثناء ذلك أن قال الربّ جلّ اسمه: أقبل الرجل الصالح، فالتفتُ فإذا أحمد الثعلبي مقبل.

توفي الثعلبي في المحرم سنة ٤٢٧»^(١١٥).

فهذا كلّ ما ذكره الذهبي، وليس فيه إلا التوثيق والتعظيم والثناء الجميل.

وقال ابن خلكان: «المفسر المشهور، كان أوحّد زمانه في علم التفسير وصنّف التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير... وذكره عبدالغافر ابن إسماعيل الفارسي في كتاب سياق تاريخ نيسابور وأثنى عليه وقال: هو صحيح النقل موثوق به...»^(١١٦).

وقال السبكي: «كان أوحّد زمانه في علم القرآن، وله كتاب العرائس في قصص الأنبياء عليهم السلام»^(١١٧).

وقال الأسنوي: «ذكره ابن الصلاح والنووي من الفقهاء الشافعية، وكان إماماً في اللغة والنحو»^(١١٨).

وقال الداوودي: «كان أوحّد أهل زمانه في علم القرآن، حافظاً للغة، بارعاً في العربية، واعظاً، موثقاً»^(١١٩).

وراجع أيضاً: الوافي بالوفيات ٧ : ٣٠٧، مرآة الجنان ٣ : ٣٦، بغية الوعاة: ١ : ٣٥٦، المختصر في أخبار البشر ٢ : ١٦٠، العبر ٢ : ٢٥٥، وغيرها، لتجد كلمات القوم في مدح الرجل وتوثيقه وتعظيمه. نعم، تكلم فيه ابن تيميّة ومن على شاكلته، لما أشرنا إليه من النقل والرواية عن أمّة أهل البيت عليهم السلام.

وتلخّص: أن الثعلبي مفسر كبير، فقيه شافعي، لغوي نحوي، وموثوقٌ عندهم ومقبولٌ لديهم، ومن هنا جاز لنا الاعتماد عليه والاحتجاج بنقله، من باب الإلزام، وكذلك فعّل السيّد طاب ثراه.

رواية أبي نعيم:

(١١٥) سير أعلام النبلاء - ١٧ : ٤٣٥ - ٤٣٧.

(١١٦) وفيات الأعيان ١ : ٧٩ - ٨٠.

(١١٧) طبقات الشافعية - للسبكي - ٤ : ٥٨.

(١١٨) طبقات الشافعية - للأسنوي - ١ : ١٥٩.

(١١٩) طبقات المفسرين ١ : ٦٦.

هذا، وليس الثعلبي - من أكابر أهل السنة - منفرداً برواية تفسير الإمام الصادق عليه السلام، للآية المباركة... فقد ذكر أبو نعيم الحافظ ما نصّه:
«حدّثنا محمّد بن عمر بن سالم، قال: حدّثنا أحمد بن زياد بن عجلان، قال: حدّثنا جعفر بن عليّ بن نجيج، قال: حدّثنا حسن بن حسين العري، قال: حدّثنا أبو حفص الصائغ، قال: سمعت جعفر بن محمّد يقول في قوله عزّ وجلّ:
(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا) قال: نحن حبل الله»^(١٢٠).

موجز ترجمة أبي نعيم:

وأبو نعيم الحافظ - وهو أحمد بن عبدالله الأصفهاني، المتوفّي سنة ٤٣٠ - من أئمة الحفّاظ الأعلام، قالوا: «كان في وقته مرحولاً إليه، لم يكن في أفق من الآفاق أحد أحفظ منه ولا أسند منه» ولذا لقبوه بـ«تاج المحدثين» ووثقوه وأثنوا عليه الثناء الجميل البالغ.
فراجع إن شئت: تذكرة الحفّاظ ٣: ١٠٩٢، وفيّات الأعيان ١: ٩١، الوافي بالوفيات ٧: ٨١، مرآة الجنان ٣: ٤١، طبقات الشافعية - للسبكي - ٤: ١٨، النجوم الزاهرة ٥: ٣٠، شذرات الذهب ٣: ٢٤٥ المختصر في أخبار البشر ٢: ١٦٢، البداية والنهاية ١٢: ٤٥، وغيرها.

رواية الحاكم الحسكاني:

وقال الحاكم الحسكاني: «قوله جلّ ذكره: (واعتصموا بحبل الله جميعاً): حدّثني أبو الحسن محمّد بن القاسم الفارسي، قال: حدّثنا أبو جعفر محمّد بن عليّ، قال: حدّثني حمزة بن محمّد العلوي، قال: أخبرنا عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن عليّ بن معبد، عن الحسين بن خالد، عن عليّ بن موسى الرضا، عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: من أحبّ أن يركب سفينة النجاة، ويستمسك بالعروة الوثقى، ويعتصم بحبل الله المتين، فليوالِ عليّاً وليأتّم بالهداة من ولده.
أخبرنا محمّد بن عبدالله الصوفي، قال: أخبرنا محمّد بن أحمد بن محمّد، قال: حدّثنا عبدالعزيز بن يحيى بن أحمد الجلودي، قال: حدّثني محمّد بن سهل، قال: حدّثنا عبدالعزيز بن عمرو، قال: حدّثنا الحسن بن الحسين الفريعي، عن أبان بن تغلب، عن جعفر بن محمّد، قال: نحن حبل الله الذي قال الله: (واعتصموا بحبل الله جميعاً)...» .

(١٢٠) نفحات الأزهار ٢: ٢٥٣ عن «ما نزل من القرآن في عليّ» لأبي نعيم - مخطوط.

وأخبرناه عن أبي بكر محمد بن الحسين بن صالح السبيعي في تفسيره، قال: حدّثنا عليّ بن العباس الملقاني، قال: حدّثنا جعفر بن محمد بن حسين، قال: حدّثنا حسن بن حسين، قال: حدّثنا يحيى بن عليّ. به سواء... .

وبه حدّثنا حسن بن حسين، قال: حدّثنا أبو حفص الصائغ، عن جعفر بن محمد في قوله: (واعصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا) قال: نحن حبل الله.

حدّثنا الحاكم أبو عبدالله الحافظ جملةً، قال: حدّثني عبدالعزيز بن نصر الأيوبي، قال: حدّثنا سليمان بن أحمد الحصري، قال: حدّثنا أبو عمارة البغدادي، قال: حدّثنا عمر بن خليفة أخو هودّة، قال: حدّثنا عبدالرحمن ابن أبي بكر المليكي، قال: حدّثنا محمد بن شهاب الزهري، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم: قال لي جبرئيل: قال الله تعالى: ولاية عليّ بن أبي طالب حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي»^(١٢١).

موجز ترجمة الحاكم الحسكاني:

والحسكاني - وهو أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله النيسابوري الحنفي، المتوفى بعد سنة ٤٧٠ - حافظ متقن ثقة، وتوجد ترجمته في كثير من المصادر المعتبرة، مثل المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور: ٢٩٦، تذكرة الحفاظ ٣ : ١٢٠٠، الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٢ : ٤٩٦، سير أعلام النبلاء ١٨ : ٢٦٨، وغيرها.

قال في (السير): «الحسكاني الإمام المحدث البارع القاضي أبو القاسم... الحنفي، الحاكم، ويعرف أيضاً بابن الحداء... حدّث عن... وصنّف وجمع وعني بهذا الشأن، لازمه الحافظ عبدالغافر بن إسماعيل وأكثر عنه، وأورده في تاريخه...».

وقال في المنتخب من تاريخ نيسابور - لعبد الغافر - : «الحافظ المتقن... سمع الكثير عالياً، وانتخب على الشيوخ، وجمع الأبواب والكتب والطرف».

وقال في (التذكرة): «الحافظ، شيخ متقن، ذو عناية تامّة بعلم الحديث». وهكذا في الكتب الأخرى.

تفسير سعيد بن جبير عن ابن عباس:

(١٢١) شواهد التنزيل ١ : ١٣٠ - ١٣١.

وأيضاً: ليس الإمام الصادق عليه السلام هو وحده الذي فسّر الآية المباركة بما عرفت، وإن كان وحده حجّة كافية كما بيّنا، فقد روي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أيضاً... .

فقد قال الشيخ القندوزي الحنفي: «أخرج صاحب كتاب المناقب عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كنّا عند النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلّم، إذ جاء أعرابي فقال: يا رسول الله! سمعتك تقول (واعتصموا بحبل الله) فما حبل الله الذي نعتصم به؟ ف ضرب النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلّم يده في يد عليّ وقال: تمسّكوا بهذا، هو حبل الله المتين»^(١٣٣).

أقول:

ولا يخفى ما في جملة «هو حبل الله المتين» من الدلالة الواضحة على عصمة أمير المؤمنين عليه السلام، وعلى أنّه «حبل الله» كما أنّ «القرآن» حبل الله... ويشهد بذلك الحديث الصحيح: «عليّ مع القرآن، والقرآن مع عليّ لا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض»^(١٣٣).

ويشهد بصحّة هذه الرواية عدم ذكر قول لسعيد بن جبير، في تفسير ابن الجوزي، في الأقوال المنقولة عنه، مع أنّ سعيداً من أئمة التفسير، بلا كلام.

أمّا ابن عباس، فهو من أعلم بني هاشم بالقرآن بعد أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام وقال ابن تيميّة: فابن عباس كان من كبار أهل البيت وأعلمهم بتفسير القرآن^(١٣٤).

ولو وجدنا متسعاً من الوقت لتتبّعنا الكتب لنجد سند هذه الرواية وتصحيحه، بل للعثور على رواة آخرين، لتفسير الآية المباركة بأهل البيت الطاهرين أو سيّدهم أمير المؤمنين، ولكن لا حاجة، فيما ذكرناه غنى وكفاية، لمن طلب الحقّ والهداية.

تفسير العزّ الرسعني:

وممّا يشهد بصحّة الرواية المذكورة أيضاً: تفسير العزّ الرسعني «الحبل» في الآية المباركة بـ«عليّ وأهل بيته» فقد حُكي عنه أنّه قال في الآية المباركة (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا): «حبل الله: عليّ وأهل بيته»^(١٣٥).

(١٣٣) ينابيع المودّة ١: ٣٥٦ / ١١.

(١٣٤) المستدرک على الصحيحين ٣: ١٢٤؛ وبلفظ: «لن يتفرّقاً (يفترقا)، صحّحه الحاكم وأقرّه الذهبي، جامع الأحاديث - للسيوطي - ٦: ١٩٨ ح ١٤٣١٩، مجمع الزوائد ٩: ١٣٤، فيض القدير ٤: ٣٥٦ ح ٥٥٩٤، كنز العمال ١١: ٦٠٣ ح ٣٢٩١٢، وله مصادر كثيرة.

(١٣٤) منهاج السنّة: ٤: ٢٦.

(١٣٥) كشف الغمّة في معرفة الأئمّة ١: ٣١١.

والعزّ الرسعني - وهو عبدالرزاق بن رزق الله الحنبلي، المتوفى سنة ٦٦١ - فقيه، متكلم، محدث، مفسر... له كتاب: رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز في ثمان مجلدات.
توجد ترجمته في: تذكرة الحفاظ ٤ : ١٤٥٢، طبقات المفسرين - للسيوطي - : ٥٥، شذرات الذهب ٥ : ٣٠٥، وغيرها.

قال الذهبي: «الرسعني، الإمام المحدث الرخال، الحافظ المفسر، عالم الجزيرة، عز الدين أبو محمد عبدالرزاق بن رزق الله... عني بهذا العلم، وجمع، وصنف تفسيراً حسناً، رأيت، يروي فيه بأسانيد، وصنف كتاب مقتل الشهيد الحسين عليه السلام، وكان إماماً متقناً ذا فنون وأدب... ولي مشيخة دار الحديث بالموصل، وكان من أوعية العلم والخير، توفي في سنة ٦٦١».

«حبل الله» وشعر الشافعي:

ثم إن إمام الشافعية ضمن هذا الحديث ونحوه في شعر له، فقال في أبيات:
وأمسكت حبل الله وهو ولاؤهم *** كما قد أمرنا بالتمسك بالحبlood ذكر هذا الشعر منسوباً إليه في غير واحد من كتب أتباعه الشافعية
وغيرهم، ككتاب رشفة الصادي: ١٥، وكتاب ذخيرة المآل في عد مناقب الآل - للعجيلي - المخطوط، وغيرهما... .

ولا غرو، فالأشعار المنسوبة إليه في مدح أمير المؤمنين وولاء أهل البيت عليهم السلام كثيرة ومشهورة موجودة في كتب القوم، حتى إنه - في شعر له يذكره الفخر الرازي في (مناقبه) - يصرح بالتشيع، وهو قوله:

أنا الشيعي في ديني وأصلي *** بمكة ثم داري عسقلية بأطيب مولد وأعزّ فخراً *** وأحسن مذهب سموا البرية^(١٣٦)

بل يصرح في شعر آخر بالرفض، وكان يردده كثيراً، فقد رواه عن تلميذه الربيع بن سليمان، قال:
خرجنا مع الشافعي من مكة نريد منى، فلم نزل وادياً ولم نصعد شعباً إلا سمعته قال:

يا راكباً قف بالمحصب من منى *** واهتف بقاعد خيفها والناهض سحراً إذا سار الحجيج إلى منى
*** فيضاً كملتطم الفرات الفايض

إن كان رفضاً حب آل محمد *** فليشهد الثقلان أني رافضي^(١٣٧)

(١٣٦) مناقب الشافعي - للفخر الرازي - : ٥١.

أما أنها غير موجودة في ديوانه المطبوع فالسبب معلوم!
أو أن الأئمة الناقلين لأشعاره كذبوا عليه!! فهم المذنبون!!

وأما أن «الدليل الأظهر على النحل، فهو أنه لا يمكن للشافعي أن يقول: (وأمسكت حبل الله) فإنّ
الفصحاء، بل البسطاء في علم العربية، يعرفون أنّ الفعل (أمسك) يتعدّى بالباء لا بنفسه، فهل يجوز هذا
الغلط على مثل الشافعي إمام الفصحاء، ومن كان كلامه حُجَّةً في اللغة؟!».

ففيه:

أولاً: إنّ الذين نسبوا إليه هذا الشعر وأمثاله قوم عربّ فصحاء، وهم من أتباعه في المذهب، فلو
كان هذا الشعر لا يناسب شأن الشافعي في اللغة لما نسبوه إليه.
وثانياً: إذا صحّت النسبة، وكان كلامه حُجَّةً في اللغة، كان دليلاً على تعدّي «أمسك» بنفسه
كتعدّيه بالباء.

وثالثاً: كأنّ هذا الرجل لا يقرأ القرآن! أليس الله تعالى يقول: (... أمسكه على هون أم يدسه في
التراب...)^{(١٢٨)؟!}

و(أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه...)^{(١٢٩)؟!}

و(... ولن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده...)^{(١٣٠)؟!}

فلماذا كلّ هذا السعي لإنكار فضائل أهل البيت عليهم السلام ومناقبتهم؟!
وإلى متى يريد أهل الضلال أن يبقوا على ضلالتهم؟!

* * *

(١٢٧) معجم الأدباء ١٧ : ٣١٠، طبقات الشافعية - للسبكي - ١ : ٢٩٩، الوافي بالوفيات ٢ : ١٧٨، النجوم الزاهرة ٢ : ١٧٧. و في بعضها بدل

«سار» في البيت الثاني «فاض».

(١٢٨) سورة النحل ١٦ : ٥٩.

(١٢٩) سورة الملك ٦٧ : ٢١.

(١٣٠) سورة فاطر ٣٥ : ٤١.

آية الكون مع الصادقين

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)^(١٣١).

قوله السيّد رحمه الله:

«والصادقين الذين قال: (وكونوا مع الصادقين)».

فقال في الهامش:

«والصادقون هنا: رسول الله والأئمة من عترته الطاهرة، بحكم صحاحنا المتواترة، وهو الذي أخرجه الحافظ أبو نعيم، وموفق بن أحمد، ونقله ابن حجر في تفسير الآية الخامسة من الباب ١١ من صواعقه، ص ٢٣٣، عن الإمام زين العابدين، في كلام له، أوردناه في أواخر المراجعة ٦»^(١٣٢).

فقبل:

«هذه الآية نزلت في كعب بن مالك، والثلاثة الذين خلفوا، حينما طلب منه أن يعتذر ويكذب، كما فعل المنافقون، لكنّه صدّق الله ورسوله، فتاب الله عليه ببركة الصدق.

وهذا ثابت في الصحيح.

ثم إن لفظ الآية عامّ وليس هناك دليل على تخصيصه.

وفي تفسير ابن كثير ٢ : ٣٩٩... وعن عبدالله بن عمر في قوله: (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين).

قال: مع محمّد وأصحابه.

وقال الضحّاك: مع أبي بكر وعمر وأصحابهما.

وقال الحسن البصري: إن أردت أن تكون مع الصادقين فعليك بالزهد في الدنيا والكفّ عن أهل

الملة.

(١٣١) سورة التوبة ٩ : ١١٩.

(١٣٢) المراجعات: ٢٦ - ٢٧.

وقد أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية على قول من قال: إنها نزلت في عليٍّ، بجواب ضاف من أحد عشر وجهاً، فارجع إليه في منهاج السنة ٤ : ٧٢».

أقول:

إنَّ مجمل الكلام في وجه الاستدلال بالآية المباركة هو: إنَّ كون المراد من (الصادقين) هنا: رسول الله والأئمة الطاهرون من عترته، هو القول المروي عند الفريقين، ولا ريب في أنَّ المجمع عليه أولى بالقبول والاتباع من القول المتفرد به، فإنَّ قول عبدالله بن عمر، أو الضحَّاك، أو غيرهما، لو ثبت عنهم، لا يكون حجةً علينا، كما سيأتي قول هذا المتقول في آية الذكر، في الجواب عمَّا رواه العلامة البحراني: «فإنَّه ليس بحجة علينا».

على أنَّ استشهاده بأقوال هؤلاء - نقلًا عن ابن كثير - يناقض قوله: «إنَّ لفظ الآية عام، وليس هناك دليل على تخصيصه».

وأما ذكره نزول الآية في كعب بن مالك وغيره، فلا فائدة فيه، لأنَّ سبب النزول لا يكون مخصَّصاً، كما تقرَّر عند الجميع، مضافاً إلى ذكره أقوال المفسرين بتفسير الآية المباركة. وكذلك، لا فائدة في الإحالة إلى منهاج السنة، لأنَّ المفروض أنَّه بصدد الردِّ على استدلال السيِّد، فكان عليه أن يناقش في سند أو دلالة ما استند إليه السيِّد في هذا المقام، وهذا ما لم يفعله، وإنَّما اكتفى بالإحالة إلى منهاج السنة، وبنقل ما ظنَّه مفيداً له ممَّا جاء في تفسير ابن كثير، فكان في الحقيقة عاجزاً عن الجواب.

هذا مجمل الكلام.

وأما تفصيله بما يسعه المقام فهو في فصول:

الفصل الأوّل

إنّ رواة نزول الآية الكريمة في النبيّ وأهل بيته الطاهرين، من أئمة أهل السنّة المشهورين، كثيرون، نكتفي هنا بذكر أسماء جماعة منهم:

١ - مالك بن أنس، إمام المالكيّة، المتوفّي سنة ١٧٩، وقع في طريق رواية الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل، وكذا في طريق غيره.

٢ - الحسين بن الحكم الحبري، المتوفّي سنة ٢٨٦، رواه في تفسيره: ٢٧٥.

٣ - أبو يوسف يعقوب بن يوسف الفسوي، المتوفّي سنة ٢٧٧، رواه في تاريخه.

٤ - أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن سعيد، ابن عقدة الكوفي، المتوفّي سنة ٣٣٢، وقع في طريق رواية ابن عساكر.

٥ - أبو بكر محمّد بن عمر، ابن الجعابي، البغدادي، المتوفّي سنة ٣٥٥، وقع في طريق رواية الحاكم الحسكاني، في شواهد التنزيل.

٦ - أبو عمر عبدالواحد بن محمّد، ابن مهدي، الفارسي، البغدادي، المتوفّي سنة ٤١٠، وقع في طريق رواية ابن عساكر.

٧ - أبو بكر أحمد بن موسى، ابن مردويه، الأصفهاني، المتوفّي سنة ٤١٠، رواه عنه غير واحد، منهم السيوطي في الدر المنثور.

٨ - أبو إسحاق أحمد بن محمّد بن إبراهيم، الثعلبي، النيسابوري، المتوفّي سنة ٤٢٧، وقع في طريق رواية الحمويّ في فرائد السمطين.

٩ - أبو نعيم أحمد بن عبدالله، الأصفهاني، المتوفّي سنة ٤٤٣، وقع في طريق غير واحد، منهم الخوارزمي في المناقب.

١٠ - عبيدالله بن عبدالله بن أحمد، الحاكم الحسكاني، الحنفي، النيسابوري، المتوفّي بعد سنة ٤٧٠، في كتابه شواهد التنزيل لقواعد التفضيل ١ : ٢٥٩ فما بعد، بطرق عديدة.

١١ - أبو القاسم إسماعيل بن أحمد، ابن السمرقندي، البغدادي، المتوفّي سنة ٥٣٦، وقع في طريق رواية ابن عساكر.

١٢ - الموفق بن أحمد، الخطيب الخوارزمي، المكيّ، المتوفّي سنة ٥٦٨، رواه في كتابه مناقب عليّ بن أبي طالب: ٢٨٠.

١٣ - أبو العلاء، الحسن بن أحمد، العطار الهمداني، المتوفى سنة ٥٦٩، وقع في طريق رواية الخوارزمي.

١٤ - أبو القاسم علي بن الحسن، ابن عساكر، الدمشقي، المتوفى سنة ٥٧١، رواه في تاريخه، بترجمة أمير المؤمنين عليه السلام ٤٢ : ٣٦١.

١٥ - يوسف بن قزغلي البغدادي، سبط ابن الجوزي، المتوفى سنة ٦٥٤، رواه في كتابه تذكرة خواص الأمة: ٢٥، قال: «قال علماء السير: معناه: كونوا مع عليٍّ وأهل بيته، قال ابن عباس: عليٌّ سيّد الصادقين».

١٦ - أبو عبدالله، محمد بن يوسف القرشي، الكنجي، المقتول سنة ٦٥٨، رواه في كتابه كفاية الطالب في مناقب عليٍّ بن أبي طالب: ٢٣٦.

١٧ - إبراهيم بن محمد، الحموي، الخراساني، المتوفى سنة ٧٣٠، رواه في كتابه فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين ١ : ٣٧٠.

١٨ - أبو الحجّاج جمال الدين يوسف بن عبدالرحمن المزيّ المتوفى سنة ٧٤٢، رواه في كتابه، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٥ : ٨٤.

١٩ - جمال الدين، محمد بن يوسف، الحنفي، الزرندي، المدني، المتوفى سنة ٧٥٠، رواه في كتابه نظم درر السّمطين في فضائل المصطفى والمرضى والبتول والسبطين: ٩١.

٢٠ - جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١، رواه في تفسيره الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٤ : ٣١٦.

٢١ - شهاب الدين أحمد بن حجر، المكيّ، المتوفى سنة ٩٧٣، رواه في كتابه الصواعق المحرقة: ٢٣٣، باب الآيات النازلة فيهم.

٢٢ - القاضي محمد بن علي الشوكاني، المتوفى سنة ١٢٥٠، رواه في تفسيره فتح القدير ٢ : ٤١٤.

٢٣ - شهاب الدين محمود الألوسي، البغدادي، المتوفى سنة ١٢٧٠، رواه في تفسيره روح المعاني ١١ : ٤٥.

٢٤ - الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي، الحنفي، المتوفى سنة ١٢٩٤ رواه في كتابه ينابيع المودّة: ١ : ٣٤٨ و ٣٥٨.

ونتيجة هذا الفصل، إنّ القول بنزول الآية في رسول الله وعليٍّ والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام هو القول المتفق عليه، وإنّ قول هؤلاء وروايتهم حجة على أهل السنة بلا ريب.

* * *

الفصل الثاني

إنَّ أقوال الإمام أبي جعفر الباقر والإمام جعفر الصادق عليهما السلام، من أُمَّة أهل البيت، وابن عباس وغيره من الصحابة، وكذا غير واحد من التابعين وأعلام المفسرين... بكون المراد من (الصادقين) في الآية هم النبي وأهل بيته الطاهرون... مشهورة جداً، وقد رواها كبار العلماء من الفريقين في كتبهم في التفسير والحديث والفضائل بأسانيد وطرق جمة، ولو أردنا إيرادها لطال بنا المقام... ونحن ننتقي في هذا الفصل جملة من عيون تلك الأسانيد النظيفة، وبذلك نكتفي:

١ - الإمام الصادق عليه السلام:

قال الحافظ المزي: «وقال محمد بن الصلت الأسيدي، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، في قوله تعالى: (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) قال: محمد وعلي»^(١٣٣).
وهذا ما رواه الحافظ المزي، ولم يتكلم عليه بشيء.
وأسنده الحافظ الحاكم الحسكاني قال: «أخبرنا أبو الحسن الفارسي، قال: أخبرنا أبو بكر ابن الجعابي، قال: حدّثنا محمد بن الحرث، قال: حدّثنا أحمد بن حجّاج، قال: حدّثنا محمد بن الصلت، قال: حدّثني أبي، عن جعفر بن محمد، في قوله: (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) قال: محمد وعلي»^(١٣٤).

أقول:

محمد بن الصلت بن الحجّاج الأسيدي، أبو جعفر الكوفي، الأصمّ، ثقة من كبار العاشرة، مات في حدود العشرين. قال الحافظ، وعلم عليه علامة رواية البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه، عنه^(١٣٥).
وأبوه: الصلت بن الحجّاج، روى عنه يحيى بن سعيد القطان، قاله ابن أبي حاتم عن أبيه^(١٣٦) وذكره ابن حبان في الثقات فقال: كوفي يروي عن جماعة من التابعين، روى عنه أهل الكوفة، كما ذكر الحافظ^(١٣٧).

(١٣٣) تهذيب الكمال ٥ : ٨٤.

(١٣٤) شواهد التنزيل ١ : ٢٥٩ / ٣٥٠.

(١٣٥) تقريب التهذيب ٢ : ١٧١.

٢ - ابن عباس:

قال الحبري: «حدّثنا حسن بن حسين، قال: حدّثنا جِبَان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، في قوله: (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)، نزلت في عليّ بن أبي طالب خاصّة»^(١٣٨).
وقد بيّنا صحّة هذا السند في بحوثنا السابقة. فليراجع.

٣ - عبد الله بن عمر:

قال الحافظ ابن شهر آشوب السروي^(١٣٩): «تفسير^(١٤٠) أبي يوسف يعقوب بن سفيان: حدّثنا مالك بن أنس، عن نافع، عن ابن عمر، قال: (يا أيّها الذين آمنوا اتقوا الله) أمر الله الصحابة أن يخافوا الله.
ثمّ قال: (وكونوا مع الصادقين) يعني: مع محمّد وأهل بيته»^(١٤١).
هذا السند صحيح بلا كلام.
وقد أسنده الحافظ الحاكم الحسكاني، قال: «أخبرنا عقيل، قال: أخبرنا علي، قال: أخبرنا محمّد، قال: حدّثنا أبو علي الحسن بن عثمان الفسوي بالبصرة، قال: حدّثنا يعقوب بن سفيان الفسوي، قال: حدّثنا ابن قعنب، عن مالك بن أنس، عن نافع، عن عبد الله بن عمر، في قوله تعالى: (اتقوا الله) قال: أمر الله أصحاب محمّد بأجمعهم أن يخافوا الله.
ثمّ قال لهم: (وكونوا مع الصادقين) يعني: محمّداً وأهل بيته»^(١٤٢).
و«يعقوب بن سفيان الفسوي» المتوفى سنة ٢٧٧ وصفه الذهبي بـ: «الإمام الحافظ الحجّة الرّحال، محدّث إقليم فارس» قال: «وله تاريخ كبير جمّ الفوائد»^(١٤٣).

(١٣٦) الجرح والتعديل ٤ : ٤٤٠.

(١٣٧) لسان الميزان ٣ : ١٩٤.

(١٣٨) تفسير الحبري: ٢٧٥.

(١٣٩) توجد ترجمته في: الوافي بالوفيات ٤ : ١٦٤، بغية الوعاة ١ : ١٨١، البلغة في علماء النحو واللغة - للفيروزآبادي - : ٢٧٨، وغيرها من مصادر أهل السّنة.

(١٤٠) كذا، والصحيح أنّه «تاريخ» واسم الكتاب «المعرفة والتاريخ»، وقد ذكر إسناده في أوّل الكتاب، قال: «إسناد تاريخ الفسوي، عن أبي عبد الله المالكي، عن محمّد بن الحسين بن الفضل القطان، عن درستويه النحوي، عن يعقوب بن سفيان» المناقب ١ : ٢٣.

و«ابن درستويه» هو عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي، وهو راويته وخاتمة أصحابه، كما ذكر ذلك الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٣ : ١٨١.

(١٤١) مناقب آل أبي طالب ٣ : ١١١.

(١٤٢) شواهد التنزيل ١ : ٢٦٢ / ٣٥٧.

وتوجد ترجمته في: تهذيب التهذيب ١١ : ٣٣٨، وتذكرة الحفاظ ٢ : ٥٨٢، والبداية والنهاية ١١ : ٥٩، وشذرات الذهب ٢ : ١٧١، وغيرها.

أقول:

فهذه هي الرواية المسندة عند القوم عن عبدالله بن عمر، فليتحقق عمّا نسب إليه في تفسير ابن كثير، والله العالم.

* * *

الفصل الثالث

وتدلُّ الآية المباركة على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام والمعصومين من عترة رسول ربِّ العالمين، بمقتضى الأحاديث الواردة في ذيلها، بكتب التفسير والحديث والمناقب، وذلك لأنَّ «الكون مع الصادقين» ليس هو الكون الخارجي، وإمَّا المراد هو الاتِّباع والاقْتداء في القول والعمل، وهذا الأمر مطلق، إذ لم يقل: كونوا مع الصادقين في حال كذا، أو في القول الفلاني، بل الكلام مطلق غير مقيد بقيد أصلاً.

فإذا ورد الأمر الكتابي بالاتِّباع مطلقاً، ثمَّ جاءت السنَّة المعتمدة وعيَّنت الشخص المتبوع، كانت النتيجة وجوب اتِّباع هذا الشخص المعيَّن، وكان الشخص معصوماً، لأنَّ الله سبحانه وتعالى لا يأمر باتِّباع من لا تؤمن عليه مخالفة أحكامه عن عمد أو خطأ، وإذا كان معصوماً كان إماماً.

وإذا كانت الآية دالَّة على العصمة بطل حمل (الصادقين) فيها على مطلق المهاجرين والأنصار، أو خصوص الثلاثة الذين تخلَّفوا، أو خصوص أبي بكر وعمر، لعدم عصمة هؤلاء بالإجماع.

ومن هنا يظهر، أن لا علاقة للآية بالثلاثة الذين تخلَّفوا في غزوة تبوك، وإمَّا جاءت بعد ذكر قصَّتهم وتوبة الله عليهم.

وقد أذعن إمام المفسِّرين عند القوم الفخر الرازي بدلالة الآية على العصمة وعدم إرادة الذين تخلَّفوا أو غيرهم - ممَّا ذكره بعض المفسِّرين - من (الصادقين)... وهذه عبارته:

«قوله تعالى: (يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقوا الله وكونوا مع الصادقين):

واعلم أنَّه تعالى لمَّا حكم بقبول توبة هؤلاء الثلاثة، ذكر ما يكون كالزاجر عن فعل ما مضى، وهو التخلُّف عن رسول الله في الجهاد، فقال: (يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقوا الله) في مخالفة أمر الرسول (وكونوا مع الصادقين) يعني مع الرسول وأصحابه في الغزوات، ولا تكونوا متخلِّفين عنها وجالسين مع المنافقين في البيوت.»

إذن الآية المباركة لا علاقة لها بالمتخلِّفين، وليسوا المقصودين من (الصادقين).

ثمَّ تعرَّض لدلالة الآية على العصمة في المسألة الأولى من مسائلها فقال: «وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: إنَّه تعالى أمير المؤمنين بالكون مع الصادقين، ومتى وجب الكون مع الصادقين فلا بُدَّ من وجود الصادقين في كلِّ وقت، وذلك يمنع من إطباق الكلِّ على الباطل، ومتى امتنع إطباق

الكَلِّ على الباطل، وجب إذا أطبقوا على شيء أن يكونوا محقِّين. فهذا يدلُّ على أن إجماع الأمة حجة»^(١٤٤).

فاعترف الفخر الرازي هنا بدلالة الآية على وجود الصادقين في كلِّ وقت، وبدلالة الآية على العصمة.

إلا أنه نزلها على الأمة، فقال بعصمة الأمة.

قال هذا ولم يعبأ بالأحاديث الواردة في ذيلها!

ثمَّ أورد على نفسه قائلاً: «فإن قيل: لم لا يجوز أن يقال: المراد بقوله (كونوا مع الصادقين) أي: كونوا على طريقة الصادقين؟ كما أن الرجل إذا قال لولده: كن مع الصالحين، لا يفيد إلا ذلك.

سَلَّمنا ذلك، لكن نقول: إنَّ هذا الأمر كان موجوداً في زمان الرسول فقط، فكان هذا أمراً بالكون مع الرسول، فلا يدلُّ على وجود صادق في سائر الأزمنة.

سَلَّمنا ذلك، لكن لم لا يجوز أن يكون الصادق هو المعصوم الذي يمتنع خلوّ زمان التكليف عنه كما تقوله الشيعة؟».

فأجاب عن السؤالين الأوَّلين، وأثبت دلالة الآية على وجود الصادقين في كلِّ زمان، فلا يختصُّ بزمان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ودلالاتها على ضرورة وجود المعصوم في كلِّ زمان قال: «فكانت الآية دالةً على أن من كان جائز الخطأ وجب كونه مقتدياً بمن كان واجب العصمة».

ثمَّ تعرَّض للجواب عن السؤال الثالث، فقال: «قوله: لم لا يجوز أن يكون المراد هو كون المؤمن مع المعصوم الموجود في كلِّ زمان؟

قلنا: نحن نعتزُّ بأنه لا بُدَّ من معصوم في كلِّ زمان، إلا أنا نقول: ذلك المعصوم هو مجموع الأمة، وأنتم تقولون: ذلك المعصوم واحد منهم».

فإلى هنا حصل الوفاق في دلالة الآية على وجود المعصوم في كلِّ زمان.

إنَّما الخلاف هو: أن أهل السُّنَّة - كما قال - يقولون: «ذلك المعصوم هو مجموع الأمة» والشيعة الإمامية يقولون: «ذلك المعصوم واحد منهم».

إلا أنَّ هذا الخلاف إنَّما يقع عندما ينظر إلى الآية وحدها، لكنَّ القرآن الكريم نفسه يأمر في مثل هذه الحالات بالرجوع إلى السُّنَّة المعتمدة ويقول: (فلا وربك لا يؤمنون حتَّى يحكِّموك فيما شجر بينهم ثمَّ لا يجدوا في

أنفسهم حرجاً ممَّا قضيت ويسلموا تسليماً)^(١٤٥) ويقول أيضاً: (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول...)^(١٤٦).

(١٤٤) التفسير الكبير ١٦ : ٢٢٠ - ٢٢١.

(١٤٥) سورة النساء ٤ : ٦٥.

إذن، لا بُدَّ من الرجوع إلى قول الرسول الصادق الأمين الذي (ما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى)^(١٤٧) ... وقد وجدنا أصحابه يروون عنه أن المراد من (الصادقين) في هذه الآية هو علي عليه السلام، أو هو والأئمة من أهل البيت.

فكانت السُّنة رافعةً للخلاف، ومعينةً للقول بأنَّ الإمام المعصوم هو «عليّ» والأئمة من العترة «في كلِّ زمان»... .

أما القول الآخر فلا دليل عليه، وإمّا هو اجتهاد في مقابلة النصِّ الصريح.

وقد حاول الفخر الرازي إبطال هذا الاستدلال بالاجتهاد كذلك، فقال:

«هذا باطل، لأنه تعالى أوجب على كلِّ واحد من المؤمنين أن يكون مع الصادقين، وإمّا يمكنه ذلك لو كان عالمًا بأنَّ ذلك الصادق من هو، لا الجاهل بأنَّه من هو، فلو كان مأموراً بالكون معه كان ذلك تكليف ما لا يطاق، وإثمه لا يجوز».

وإذا وصل الأمر إلى هنا فهو سهلٌ، لأنَّ معرفة الإمام الصادق المعصوم ممكنة، وإلّا لم يقل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهلية»^(١٤٨)

إذن، يجب البحث والتحقيق عن الإمام المعصوم في كلِّ زمان مقدّمةً لإطاعته واتباعه والافتداء به، وطريق ذلك هو نفس الكتاب والسُّنة، والشريعة الإمامية في جميع استدلالاتها آخذة بهما كما قلنا سابقاً.

وتلخص:

أنَّ الآية تدلُّ على وجود المعصوم في كلِّ زمان، وعلى وجوب اتباعه على سائر المؤمنين، ثمَّ إنَّ السُّنة المعتمدة عرفته وعينته، فكان المعصوم الواجب الاتباع في كلِّ زمان أمير المؤمنين والأئمة الأطهار من العترة النبوية... وهذا هو المطلوب.

* * *

(١٤٦) سورة النساء ٤ : ٦٥.

(١٤٧) سورة النجم ٥٣ : ٣ و ٤.

(١٤٨) هذا الحديث بهذا اللفظ في «شرح المقاصد ٥ : ٢٣٩» لسعد الدين التفتازاني، المتوفى سنة ٧٩٣، وفي بعض المصادر الأخرى، وقد أُخرج هذا الحديث بألفاظ مختلفة في أمّهات مصادر الحديث، ولا بُدَّ وأن ترجع كلّها إلى المعنى الذي دلَّ عليه هذا اللفظ.

الفصل الرابع

ذكر ابن تيمية في الجواب عن استدلال العلامة الحلي بهذه الآية أحد عشر وجهاً.
قال العلامة: «البرهان الخامس والثلاثون: قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين).
أوجب الله علينا الكون مع المعلوم منهم الصدق، وليس إلا المعصوم، لتجويز الكذب في غيره، فيكون هو
عليّاً، إذ لا معصوم من الأربعة سواه، وفي حديث أبي نعيم عن ابن عباس أنها نزلت في عليّ».
نعم، أجاب ابن تيمية بأحد عشر وجهاً، لكنّ ما ذكره إمّا دعوى بلا دليل، وإمّا مصادرة، وإمّا
تطويل بلا طائل، وإليك تلك الوجوه مع التلخيص لألفاظه:

- ١ - أبو بكر قد ثبت أنه صديق بالأدلة الكثيرة، فيجب أن تتناوله الآية قطعاً، وأن نكون معه، وإذا
كنّا معه مقرّين بخلافته، امتنع أن نفرّ بأنّ عليّاً هو الإمام دونه.
- ٢ - إن كان عليّ صديقاً فعمرو وعثمان أيضاً صديقون.
- ٣ - هذه الآية نزلت في كعب بن مالك.
- ٤ - هذه الآية نزلت في هذه القصة، ولم يكن أحد يقال إنّه معصوم، لا عليّ ولا غيره، فعلم أنّ الله
أراد مع الصادقين ولم يشترط كونه معصوماً.
- ٥ - إنّه قال: (مع الصادقين) وهذه صيغة جمع، وعليّ واحد، فلا يكون هو المراد وحده.
- ٦ - إنّ قوله: (مع الصادقين) إمّا أن يراد: كونوا معهم في الصدق وتوابعه، فاصدقوا كما يصدق
الصادقون ولا تكونوا مع الكاذبين، كما في قوله: (واركعوا مع الراكعين).
وإمّا أن يراد به: كونوا مع الصادقين في كلّ شيء وإن لم يتعلّق بالصدق.
والثاني باطل.
- فإذا كان الأوّل هو الصحيح، فليس هذا أمراً بالكون مع شخص معيّن، بل المقصود: اصدقوا
ولا تكذبوا.
- ٧ - إذا أريد: كونوا مع الصادقين مطلقاً، فذلك لأنّ الصدق مستلزم لسائر البرّ، فهذا وصف ثابت
لكلّ من اتّصف به.
- ٨ - إنّ الله أمرنا أن نكون مع الصادقين، ولم يقل مع المعلوم فيهم الصدق، ولسنا مكلفين في ذلك
بعلم الغيب.

٩ - هب أن المراد: مع المعلوم فيهم الصدق، لكن العلم كالعلم في قوله: (فإن علمتموهن مؤمنات) والإيمان أخفى من الصدق، فإذا كان العلم المشروط هناك يمتنع أن يقال فيه ليس إلا العلم بالمعصوم، كذلك هنا يمتنع أن يقال: لا يعلم إلا صدق المعصوم.

١٠ - هب أن المراد علمنا صدقه، لكن يقال: أن أبا بكر وعمر وعثمان ونحوهم ممن علم صدقهم، وإنهم لا يتعمدون الكذب، وإن جاز عليهم الخطأ أو بعض الذنوب، فإن الكذب أعظم.

١١ - إنه لو قدر أن المراد به المعصوم، لا نسلم الإجماع على انتفاء العصمة عن غير علي، فإن كثيراً من الناس الذين هم خير من الرافضة يدعون في شيوخهم هذا المعنى وإن غيروا عبارته.
فاقرأ وتأمل!!

لقد بينا - في الفصل السابق - كيفية الاستدلال بالآية على العصمة بالإمامة، ولا شيء من هذه الوجوه يصلح لأن يكون جواباً عنه:

أما الوجهان: الأول والثاني، فمصادرة

وأما الوجهان: الثالث والرابع، فلا فائدة فيهما، لأن سبب النزول غير مخصص، إن كانت الآية متعلقة بقضية كعب بن مالك.

وأما الوجهان: السادس والسابع، فتغافل عن الأحاديث الواردة في ذيل الآية، المفسرة لها، والمبيّنة للمراد من (الصادقين) فيها... ومن الواضح أن الاستدلال بالآية إنما هو بالنظر إلى تلك الأحاديث.

وأما الوجهان: الثامن والتاسع، فتجاهل لوجه الاستدلال بالآية، فإن الأمر بالكون مع شخص أو أشخاص على الإطلاق، لا يجوز إلا مع ثبوت عصمة الشخص أو الأشخاص، لأن المراد من (كونوا مع...) هو الاتباع والإطاعة والانقياد المطلق.

وعلى هذا، فالذين ثبتت عصمتهم بالأدلة القطعية من الكتاب والسنة هم رسول الله وأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وأما الوجه العاشر، فمصادرة.

وأما الوجه الحادي عشر، فخروج عن الإجماع، ودعوى أن كثيراً من الناس يدعون في شيوخهم هذا المعنى، واضحة الفساد، ولو كان هناك من يدعي ذلك، فدعواه مردودة عند الكل.

وعلى الجملة، فإننا لم نجد في هذه الوجوه مناقشة علمية للاستدلال، ولا جواباً عن الأحاديث

الواردة في ذيل الآية المباركة، اللهم إلا ما جاء في الوجه الخامس:

«إنه قال (مع الصادقين) وهذه صيغة جمع، وعليّ واحد، فلا يكون المراد وحده».

فنقول:

أولاً: الموارد التي جاءت الآية المباركة فيها بصيغة الجمع والمراد شخص واحد، كثيرة في القرآن الكريم، وسنفصل الكلام في ذلك عند الكلام على بعض الآيات الآتية.

وثانياً: إذا لم يكن المراد عليّ عليه السلام وحده، فالذي يكون مراداً معه في الآية هو مثله في العصمة، فلذا ورد في بعض الأحاديث: «محمد وعليّ» وفي بعضها الآخر: «محمد وأهل بيته» وحينئذ تكون الآية دالة على إمامة سائر الأمة أيضاً، ولا ارتباط بينها وبين غيرهم مطلقاً.

هذا موجز الكلام على ما أتى به ابن تيمية في هذا المقام، وأغلب الظن أن المتقوّل أيضاً يعلم بعدم الجدوى فيه، فلم يرَ الإطالة واكتفى بالإحالة!

وبعد، فإنّ الإطناب في الجواب، بتكثير الوجوه، وتصوير الشقوق، بما هو خارج عن البحث، أو مصادرة بالمطلوب، أو اجتهاد في مقابل النصوص، تضييع للوقت، وتضليل للناس... .

إنّ علماء الإمامية الاثني عشرية لا يخرجون في استدلالاتهم عن حدود الكتاب والسنة المعتمدة ودلالة العقل السليم... .

وهنا، الاستدلال قائم بالآية المباركة، وبالأحاديث الواردة في كتب الفريقين في تفسيرها، أمّا الآية فلا ينكرها لا ابن تيمية ولا غيره، وأمّا الأحاديث فتلك موجودة في كتب القوم.

فهل بالإمكان إنكار وجودها فيها؟! أو نفي كون روايتها من أهل السنة؟! أو نفي كون أصحاب تلك الكتب من حفاظ الحديث؟!!

وعلى الجملة، ليس الاستدلال إلا بالكتاب والسنة، فما هو الجواب عنه؟! وأيّ فائدة في الانتقال من محلّ البحث إلى قضايا أخرى؟!!

إنّ هذه الأساليب من ابن تيمية لتذكّرنا قول صفي الدين الهندي له، لما عقّد مجلساً لمناظرته، فقال لابن تيمية في أثناء البحث:

«أنت مثل العصفور، تنطّ من هنا إلى هنا، ومن هنا إلى هنا!»^(١٤٩)

وكذلك ابن روزبهان، إلاّ أنّه أهون من ابن تيمية في بعض الأحيان! فإنّه لم يذكر من الوجوه الأحد عشر!! إلاّ نزول الآية في قضية كعب، ثمّ قال:

«وإنّ صحّ دلّ على الفضيلة، لا على النقص»^(١٥٠).

(١٤٩) الدرر الكامنة بأعيان المائة الثامنة، للحافظ ابن حجر العسقلاني ٤ : ١٥ ترجمة صفي الدين الهندي، المتوفى سنة ٧١٥.

(١٥٠) إبطال الباطل، في الردّ على «نهج الحق» للعلامة الحلّي، مطبوع مع «إحقاق الحق ٣ : ٣٠٠» ومع «دلائل الصدق» في الردّ عليه.

فهذا ما ذكره ابن روزبهان، وقد عرفت الجواب عنه، فإنّ الحديث مشهور مستفيض وبعض
أسانيده صحيحة، وإنّ الآية المباركة بضميمة الأحاديث الواردة في تفسيرها دالّة على عصمة أمير المؤمنين
عليه السلام، فهي دالّة على إمامته بعد رسول الله الصادق الأمين، فأين الجواب؟!

* * *

آية اتّباع الصراط المستقيم

قوله تعالى: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ)^(١٥١).

قال السيّد رحمه الله:

«وصراط الله الذي قال: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ) وسبيله الذي قال: (وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن

سبيله)».

فقال في الهامش:

«كان الباقر والصادق يقولان: الصراط المستقيم هنا هو الإمام، ولا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ، أي: أُمَّة الضلال،

فتفرّق بكم عن سبيله، ونحن سبيله»^(١٥٢).

فقبل:

«من أين الدليل على أنّ قول الباقر والصادق هنا صحيح؟ وأهل السُّنَّة والجماعة يعتقدون أنّ هذا من

الكذب على الباقر والصادق رضي الله عنهما،

وحبذا لو ذكر المؤلّف سند هذه الرواية، لكنّه يعلم أنّها غير مقبولة، فلعلّه أسقطها، أو أنّ الكلام مجرد

تفسير بالهوى منسوب زوراً للباقر والصادق».

أقول:

إنّه لا يطعن في إمام من أُمَّة أهل البيت عليهم السلام إلاّ أهل النفاق أعداء الدين ورسول ربّ

العالمين... .

وأما أنّ «أهل السُّنَّة والجماعة يعتقدون أنّ هذا من الكذب على الباقر والصادق» فكذب على

«أهل السُّنَّة والجماعة»، اللهمّ إلاّ أهل سُنَّة بني أمية وجماعة الظالمين لأهل بيت الرسالة، فإنّ أولئك

(١٥١) سورة الأنعام ٦ : ١٥٣.

(١٥٢) المراجعات: ٢٧.

«جماعة» لا يجتمع في قلوبهم حب آل محمد مع «السنة» الأموية، وتسنتهم بها، فضلاً عن أن يرووا فضائلهم ومناقبهم!

وأما هذه الرواية، فلها أسانيد لا سند واحد، يجدها من راجع كتب التفسير للشيخ علي بن إبراهيم القمي^(١٥٣)، وللشيخ فرات الكوفي^(١٥٤)، وللشيخ العياشي^(١٥٥)، وغيرها من تفاسير قدماء الإمامية ومتأخريهم، وهي أيضاً في كتب الفضائل والمناقب كبصائر الدرجات^(١٥٦) للصفار القمي، وفي تأويل الآيات الظاهرة في ما نزل في العترة الطاهرة^(١٥٧).

ولماذا لا تكون هذه الرواية مقبولة؟!

أليس أهل البيت السبيل إلى الله؟

أليس من تمسك بهم نجا ومن تخلف عنهم هوى؟! كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المقبولة، كحديث «إني تارك فيكم الثقلين...» وحديث: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح...» وحديث: «من سره أن يحيا حياتي...» هذه الأحاديث التي تقدّم البحث عنها بالتفصيل في بحوثنا السابقة. وإن لهذه الرواية المعتبرة المروية عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، شواهد كثيرة جداً، اتفق الإمامية وأهل السنة على روايتها، ولا يكذب بها إلا المغرضون، الذين في قلوبهم مرض فهم لا يهتدون!

إن من الأحاديث الآمرة باتّباع سبيل عليّ وأهل البيت عليهم السلام، الناهية عن اتّباع سبيل غيرهم كما هو مضمون الرواية عن الإمامين عليهما السلام:

* قوله صلى الله عليه وآله وسلّم لعمر بن ياسر - رضي الله عنه - في حديث: «يا عمّار، إن رأيت عليّاً قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره، فاسلك مع عليّ، فإنه لن يدليكَ في ردى ولن يخرجك من هدى»^(١٥٨).

* قوله صلى الله عليه وآله وسلّم: «ستكون بعدي فتنة، فإذا كان ذلك فالزموا عليّ بن أبي طالب، فإنه أول من يراني، وأول من يضافحني يوم القيامة، وهو الصديق الأكبر، وهو فاروق هذه الأمة، يفرق بين الحقّ والباطل، وهو يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين»^(١٥٩).

(١٥٣) تفسير القمي ١ : ٢٢١.

(١٥٤) تفسير فرات الكوفي: ١٣٧ / ١٦٣.

(١٥٥) تفسير العياشي ٢ : ١٢٧ / ١٥٢٠.

(١٥٦) بصائر الدرجات: ٩٩ / ٩.

(١٥٧) تأويل الآيات الظاهرة ١ : ١٦٧ / ٩ - ١٠.

(١٥٨) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ١٣ : ١٨٧، وابن عساكر - بترجمة أمير المؤمنين - من تاريخ دمشق ٤٢ : ٤٧٢، والمتقي الهندي في كنز العمال ١١ : ٦١٣ / ٣٢٩٧٢.

وكما أمر صلى الله عليه وآله وسلم بلزوم أهل بيته وسلوك مسلكهم وأتباعهم كذلك نهى عن مفارقتهم، من ذلك:

* قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا عليّ، من فارقني فقد فارق الله، ومن فارقك - يا عليّ - فقد فارقني»^(١٦٠).

هذا، وسيوافيك المزيد من الأحاديث المعتبرة في هذا المعنى في بحوثنا الآتية، فانتظر.

* * *

(١٥٩) أخرجه ابن عبد البرّ في الاستيعاب ٤ : ١٧٤٤، وابن الأثير في أسد الغابة ٥ : ٢٧٠.

(١٦٠) أخرجه الحاكم وصحّحه ٣ : ١٢٣ - ١٢٤، والهيثمي في مجمع الزوائد ٩ : ١٣٥ وقال: رجاله ثقات، ورواه غيرهما.

آية إطاعة اولي الأمر

قوله تعالى: (يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)^(١٦١).

قال السيد:

«وأُولِي الْأَمْرِ الَّذِينَ قَالَ: (يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)».

فقال في الهامش:

«أخرج ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب، بسنده الصحيح، عن بريد العجلي، قال: سألت أبا جعفر [محمّد الباقر] عليه السلام عن قوله عزّ وجلّ: (أطيعوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ). فكان جوابه: (أمّ تر إلى الَّذِينَ أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبّ والطاغوت ويقولون للَّذِينَ كفروا هؤلاء أهدي من الَّذِينَ آمنوا سبيلاً) يقولون لأئمة الضلال والدعاة إلى النار هؤلاء أهدي من آل محمّد سبيلاً (أولئك الَّذِينَ لعنهم اللَّهَ ومن يلعن اللَّهَ فلن تجد له نصيراً * أم لهم نصيب من الملك) يعني الإمامة والخلافة (فإذا لا يؤتون الناس نقيراً * أم يحسدون الناس على ما آتاهم اللَّهَ من فضله) ونحن الناس المحسودون على ما آتانا اللَّهَ من الإمامة دون خلقه (فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً) يقول: جعلنا منهم الرسل والأنبياء والأئمة فكيف يقرّون به في آل إبراهيم وينكرونه في آل محمّد (فمنهم من آمن به ومنهم من صدّ عنه وكفى بجهنم سعيراً)^{(١٦٢)(١٦٣)}.

ف قيل:

«لماذا تجهيل (الكليني) بذكر صدر اسمه فقط؟ ثمّ إنّ كونه (ثقة الإسلام) ليس إلّا من قبيل الدعوى، وعند الشيعة فقط وغير ملزم لغيرهم، ثمّ أين صحّة السند يا ترى؟».

(١٦١) سورة النساء ٤ : ٥٩.

(١٦٢) الكافي ١ : ١٥٩ / ١.

(١٦٣) المراجعات: ٢٧.

أقول:

أما دعوى «تجهيل» الكليني، فجهل، فإن الإمامية متى أَرادوا الرواية عنه يقولون «محمد بن يعقوب»، فدونك كتاب وسائل الشيعة للشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي وأمثاله من كتب الحديث الشيعة... وحتى في كتب غيرهم أيضاً، كما سنرى في عبارة ابن الأثير.

إنّ هذا الشيخ العظيم اسمه «محمد بن يعقوب» وهو من أهل الريّ، وينتسب إلى «كلين» قرية من قراها، وكتابه الكافي من أجل الكتب الحديثية عند الإمامية، ويلقب عندهم بـ«ثقة الإسلام» لجلالة قدره بين المسلمين، التي اعترف

بها غير الإمامية، ولذا عدّ من مجدّدي الدين.

قال ابن الأثير بشرح حديث: «إنّ الله سيبعث لهذه الأمة على رأس كلّ مائة سنة من يجدد لها دينها» بعد كلام له: «فالأحرى والأجدر: أن يكون ذلك إشارةً إلى حدوث جماعة من الأكابر المشهورين على رأس كلّ مائة سنة، يجددون للناس دينهم، ويحفظون مذاهبهم التي قلّدوا فيها مجتهدهم وأئمّتهم. ونحن نذكر الآن المذاهب المشهورة في الإسلام التي عليها مدار المسلمين في أقطار الأرض، وهي مذهب الشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد ومذهب الإمامية، ومن كان المشار إليه من هؤلاء على رأس كلّ مائة سنة، وكذلك من كان المشار إليه من باقي الطبقات...» فقال: «وأما من كان على رأس المائة الثالثة... وأبو جعفر محمد بن يعقوب الرازي من الإمامية»^(١٦٤).

وحتى الذهبي - على تعنته - أوردته في أعلام النبلاء مع وصفه بـ«شيخ الشيعة وعالم الإمامية صاحب التصانيف»^(١٦٥) ولم يصدر منه بحقه أي تجريح.

وأما سند الرواية فصحيح، فقد أخرجها محمد بن يعقوب الكليني بالسند التالي:

«الحسين بن محمد بن عامر الأشعري، عن معلى بن محمد، قال: حدّثني الحسن بن عليّ الوشاء، عن أحمد بن عائذ، عن ابن أذينة، عن بريد العجلي، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام...»^(١٦٦).

وعلماء الإمامية لا يُعدّون الحديث صحيحاً ما لم يتقوا بصدق جميع رجال إسناده.

وإنما أورد السيّد هذه الرواية - مع وجود نظائر وشواهد لها في كتب الفريقين - لصحة سندها يقيناً، ولاشتمالها على فوائد أخرى... وهي عن الإمام أبي جعفر محمد بن عليّ الباقر عليه السلام.

وقد استدللّ العلامة الحليّ بهذه الآية على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، في جملة الآيات، حيث

قال: «الثامنة والستون: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم). كان عليّ عليه السلام منهم»^(١٦٧).

(١٦٤) جامع الأصول ١١ : ٣٢١ و ٣٢٣.

(١٦٥) سير أعلام النبلاء ١٥ : ٢٨٠.

(١٦٦) الكافي ١ : ١٥٩ / ١.

وهل من شك في أنّ عليّاً عليه السلام من أولي الأمر، حتّى يحتاج إلى دليل؟
ومن هنا لم يناقشه ابن روزبهان في ردّه، إلّا أنّه قال: «هذا يشمل سائل الخلفاء، فإنّ كلّهم كانوا
أولي الأمر، ولا دليل على مدّعه»^(١٦٨).

إذن، لا كلام في أنّ عليّاً عليه السلام من أولي الأمر، فتجب طاعته، وإتّما الكلام في شمول الآية
لغيره، ممّن تولى الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم. فالجمهور على وجوب طاعة أبي بكر،
وعمر، وعثمان، ومعاوية، ويزيد، والسّقاح، والمتوكّل، و... إلى يومنا هذا؛ لكونهم ولاة الأمر!! والإماميّة
ينكرون شمول الآية المباركة إلّا لعليّ والأئمة عليهم السلام من بعده!

**والعمدة أنّ الآية المباركة تدلّ على العصمة، وهذا ما اعترف به إمام القوم الفخر الرازي، في
تفسيره الكبير^(١٦٩)، لكنّه وقع في حيص بيص... .**

أمّا عصمة أمّتهم منذ اليوم الأوّل، وحتّى الآن، فمنتفيه... .
وأما كون المراد خصوص أئمة أهل البيت المعصومين... فتأبى نفسه الاعتراف به... .
فلجأ إلى إحداث قول ثالث، وهو كون المراد عصمة الأئمة!!

إنّ الآية المباركة تخاطب الأئمة بإطاعة (أولي الأمر) منها ووجوبها عليهم، كإطاعة الله ورسوله، فهناك
«أئمة» و«أولوا الأمر» منها، وتلك مطيعة وهؤلاء مطاعون... فكيف يحمل «أولوا الأمر» فيها على «الأئمة»
يا منصفون!؟

لقد وقع الإمام في ضيق ليس له منه خلاص، بعد أن لم يكن له من الاعتراف بدلالة الآية على
العصمة مناص... .

يقول: «حمل الآية على الأئمة المعصومين على ما تقوله الروافض، في غاية البعد» ولماذا؟

فيذكر جوهراً لو نظرت إليها لضحكت!! أولها وعمدتها:

«إنّ طاعتهم مشروطة بمعرفتهم وقدرة الوصول إليهم، فلو أوجب علينا طاعتهم قبل معرفتهم
كان هذا تكليف ما لا يطاق».

**نقول - مضافاً إلى ما تقدّم في آية الصادقين - : نعم طاعتهم مشروطة بمعرفتهم وقدرة الوصول
إليهم، لكن أيّ مانع منع الأئمة من معرفتهم والوصول إليهم، حتّى تكون طاعتهم قبل معرفتهم تكليف ما
لا يطاق!؟**

وهل كان المنع أو المانع من الأئمة المعصومين أنفسهم أو من غيرهم!؟

(١٦٧) نهج الحق وكشف الصدق: ٢٠٣ - ٢٠٤.

(١٦٨) احقاق الحق ٣: ٤٢٦.

(١٦٩) التفسير الكبير ١٠: ١٤٤ - ١٤٦.

ومتى أرادت الأمة الوصول إليهم فلم يمكنهم ذلك؟!

هذا بالنسبة إلى سائر الأمة المعصومين... أمّا بالنسبة إلى خصوص أمير المؤمنين... فقد عرفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منذ يوم الدار... وحتى يوم الغدير، وعرفه القوم، حتى بايعوه كلهم عن رغبة في ذلك اليوم!!

إنّ هذه التكلّفات - في الآية ونحوها - لا تنفع إمام الأشاعرة، عند الحساب في الآخرة هذه التمحّلات لا تخلص أحداً من الأكابر ولا الأصاغر، (يوم تبلى السرائر * فما له من قوّة ولا ناصر)^(١٧٠)، والله يحكم بيننا وبينهم بالعدل وهو خير الحاكمين.

* * *

(١٧٠) سورة الطارق ٨٦ : ٩ - ١٠.

آية سؤال أهل الذكر

قوله تعالى: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)^(١٧١).

قال السيّد رحمه الله:

«وأهل الذكر الذين قال: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)».

فقال في الهامش:

«أخرج الثعلبي في معنى هذه الآية من تفسيره الكبير عن جابر، قال: لما نزلت هذه الآية قال عليّ: نحن أهل الذكر^(١٧٢). وهذا هو المأثور عن سائر أئمة الهدى، وقد أخرج العلامة البحريني في الباب ٣٥ نيفاً وعشرين حديثاً صحيحاً في هذا المضمون»^(١٧٣).

ف قيل:

«حينما نزلت هذه الآية في هذه السورة لم يكن عليّ رضي الله عنه قد تزوّج بعد، فهذه السورة مكّية بالاتّفاق، فكيف يقول عليّ: نحن أهل الذكر؟! وهذا الذي أخرجه الثعلبي في معنى هذه الآية لا يصحّ، وليس مجرد روايته له في تفسيره يعتبر دليلاً، بل لا بُدّ من صحّة النقل.

أمّا ما أخرجه البحريني وأشار إليه المؤلّف دون تفصيل، فإنّه ليس بحجّة علينا. وعلى كلّ حال، فإنّ المقصود بأهل الذكر هم أهل العلم كاليهود والنصارى وسائر الطوائف من الأمم السابقة، التي أرسل إليها الأنبياء، وسؤالهم عن حقيقة هؤلاء الأنبياء، هل كانوا بشراً أم ملائكة؟».

(١٧١) سورة النحل ١٦ : ٤٣، سورة الأنبياء ٢١ : ٧.

(١٧٢) الكشف والبيان ٦ : ٢٧٠.

(١٧٣) المراجعات: ٢٧.

أقول:

أولاً: لم يكن القائل «نحن أهل الذكر» خصوص أمير المؤمنين عليه السلام فقط، بل قاله غيره من أئمة أهل البيت عليهم السلام. كما لم يكن الراوي هو الثعلبي فقط، فقد رواه غيره من أئمة التفسير عند أهل السنة أيضاً.

روى الحاكم الحسكاني بإسناده عن يوسف بن موسى القطان، عن وكيع، عن سفيان، عن السدي، عن الحارث، قال: سألت علياً عن هذه الآية (فاسألوا أهل الذكر) فقال: والله إننا لنحن أهل الذكر، نحن أهل العلم، ونحن معدن التأويل والتنزيل، ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأتها من بابها»^(١٧٤).

وقال القرطبي: «قال جابر الجعفي: لما نزلت هذه الآية قال علي رضي الله عنه: نحن أهل الذكر»^(١٧٥).

وقال أبو جعفر الطبري: «حدّثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن يمان، عن إسرائيل، عن جابر، عن أبي جعفر: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) قال: نحن أهل الذكر»^(١٧٦).

ورواه الحاكم الحسكاني بإسناده عن عثمان بن أبي شيبة، عن ابن يمان، عن إسرائيل، عن جابر، عن أبي جعفر...

وبأسانيد أخرى، عن ابن يمان، به...^(١٧٧).

وبأسانيد أخرى، عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي، فيها غير واحد من الحفاظ وثقات المحدثين... وجاء في واحد منها قوله: «هم الأئمة من عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وتلا: (قد أنزل الله إليكم ذكراً * رسولاً يتلوا عليكم آيات الله)^(١٧٨)».

وبعد، فإليك كلام ابن كثير - الذي يعتمد عليه أتباع مدرسة ابن تيمية في التفسير والتاريخ - في هذا المقام، فإنه قال بتفسير الآية من سورة النحل:

«... قول أبي جعفر الباقر: نحن أهل الذكر - ومراده أنّ هذه الأئمة أهل الذكر - صحيح، فإنّ هذه الأئمة أعلم من جميع الأمم السالفة، وعلماء أهل بيت الرسول - عليهم السلام والرحمة - من خير العلماء، إذا كانوا على السنة المستقيمة، كعليّ وابن عباس، وبني عليّ: الحسن والحسين، ومحمد بن الحنفية،

(١٧٤) شواهد التنزيل ١ : ٣٣٤ / ٤٥٩.

(١٧٥) الجامع لأحكام القرآن ١١ : ٢٧٢.

(١٧٦) جامع البيان ١٤ : ٧٥.

(١٧٧) شواهد التنزيل ١ : ٣٣٥ - ٣٣٦ / ٤٦٠ - ٤٦٢.

(١٧٨) شواهد التنزيل ١ : ٣٣٧ / ٤٦٦.

وعليّ بن الحسين زين العابدين، وعليّ بن عبدالله بن عباس، وأبي جعفر الباقر وهو محمّد بن عليّ بن الحسين، وجعفر ابنه، وأمثالهم وأضرابهم وأشكالهم...»^(١٧٩).

وعلى الجملة، فقد ثبت كثرة الطرق إلى قول أمير المؤمنين وغيره من أئمة أهل البيت في هذه الآية المباركة، وصحة الحديث في ذلك، وإن جاز لنا الاحتجاج برواية الثعلبي وحده في مثل هذه المواضع. وثانياً: قد ظهر ممّا تقدّم أن ليس «المقصود بأهل الذّكر هم أهل العلم كاليهود والنصارى...» كما زعم هذا المدّعي، ويؤيد ذلك قول بعض المفسّرين بأنّ المقصود من «الذّكر» هو القرآن وأنّ «أهل الذّكر» هم «أهل القرآن»، أو أنّ المراد: «إسألوا كلّ من يذكر بعلم وتحقيق»^(١٨٠). وقد أصرّ الآلوسي على أنّ المراد خصوص «أهل القرآن»^(١٨١).

وإلى هنا تمّ البحث عن سند الحديث، وظهر صحّته، وسقط اعتراض المعارض، والحمد لله. هذا، وإذا زلت الشبهة عن السند لزم الإقرار بصحة الاستدلال، لدلالة الآية المباركة بكلّ وضوح على تقدّم أهل البيت عليهم السلام على غيرهم في العلم والفضيلة، فتكون الإمامة فيهم، لقبح تقدّم المفضول على الفاضل عقلاً، وللنهي عن تقدّم غيرهم عليهم شرعاً، كما في كثير من الأحاديث المعتمدة، بل في بعضها تعليل النهي عن التقدّم عليهم بكونهم أعلم، كقوله صلى الله عليه وآله وسلّم - في ما أخرجه الطبراني وغيره من ألفاظ حديث الثقلين: الكتاب وأهل البيت عليهم السلام - : «فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تعلّموهما فإنّهما أعلم منكم»^(١٨٢) بناء على رجوع العلة إلى كلتا الجملتين. بل إنّ الآية الكريمة بمعونة الأحاديث المذكورة تدلّ على عصمتهم، فأمر الله سبحانه بسؤالهم مطلق، وهو يستلزم وجوب القبول منهم وإطاعتهم وترتيب الأثر على قولهم في كلّ شيء - وإلّا لزم لغوية الأمر المطلق بسؤالهم - ولا معنى للعصمة إلّا هذا... وإذا ثبتت عصمتهم ثبتت إمامتهم.

* * *

(١٧٩) تفسير القرآن العظيم ٤ : ٥٧٣ - ٥٧٤.

(١٨٠) تفسير السراج المنير ٢ : ٢٣٢ و ٤٩٧، تفسير الخازن ٣ : ٧٨ و ٢٢١، الجامع لأحكام القرآن ١٠ : ١٠٨ و ١١ : ٢٧٢.

(١٨١) روح المعاني ١٤ : ١٤٧.

(١٨٢) المعجم الكبير ٣ : ٦٥ ح ٢٦٨١.

آية اتّباع سبيل المؤمنين

قوله تعالى: (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوّه ما تولى ونصله جهنّم)^(١٨٣).

قال السيّد:

«والمؤمنين الذين قال: (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوّه ما تولى ونصله جهنّم)».

فقال في الهامش:

«أخرج ابن مردويه في تفسير الآية: إنّ المراد بمشاققة الرسول هنا إمّا هي المشاققة في شأن عليّ، وأنّ الهدى في قوله: (من بعد ما تبين له الهدى) إمّا هو شأنه عليهم السلام. وأخرج العياشي في تفسيره نحوه. والصاح متواترة من طريق العترة الطاهرة في أنّ سبيل المؤمنين إمّا هو سبيلهم عليهم السلام»^(١٨٤).

فقال:

«يكفي للدلالة على فساد هذا المعنى أن يكون العياشي قد أخرج في تفسيره نحوه».

أقول:

ومثل الآية المذكورة قوله تعالى: (إنّ الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله وشاقّوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئاً وسيحبط أعمالهم)^(١٨٥).

هذا، ويكفي أنّ المدّعي لم ينكر رواية ابن مردويه،... فلا نطيل... .

(١٨٣) سورة النساء ٤ : ١١٥ .

(١٨٤) المراجعات: ٢٨ .

(١٨٥) سورة محمّد ٤٧ : ٣٢ .

وأما «العياشي» فهو: محمد بن مسعود السلمي السمرقندي، المتوفى سنة ٣٢٠، له تفسير معروف باسمه، وهو مطبوع، فيه كثير من حقائق معاني الآيات عن أمة أهل البيت عليهم أفضل التحيات. وأما دلالة الآية فواضحة لا تحتاج إلى بيان.

* * *

آية الإنذار

قوله تعالى: (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)^(١٨٦).

قال السيّد رحمه الله:

«الهداة الذين قال: (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)».

فقال في الهامش:

«أخرج الثعلبي في تفسير هذه الآية من تفسيره الكبير، عن ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية وضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده على صدره، وقال: أنا المنذر وعليّ الهادي، وبك يا عليّ يهتدي المهتدون^(١٨٧)».

وهذا هو الذي أخرجه غير واحد من المفسرين وأصحاب السنن عن ابن عباس.

وعن محمد بن مسلم، قال: سألت أبا عبد الله (جعفر الصادق) عن هذه الآية فقال: كلّ إمام هادٍ في زمانه^(١٨٨).

وقال الإمام أبو جعفر الباقر في تفسيرها: المنذر: رسول الله، والهادي، عليّ، ثمّ قال: والله ما زالت فينا إلى الساعة^(١٨٩)»^(١٩٠).

ف قيل:

«الثعلبي - كما هو مشهور عنه رحمه الله - حاطب ليل، حشا كتابه بالأحايث الضعيفة والموضوعة، ولهذا لا يعتبر مجرد نقله دليلاً على الصحة».

(١٨٦) سورة الرعد ١٣ : ٧.

(١٨٧) الكشف والبيان ٥ : ٢٧٢. بتفاوت يسير.

(١٨٨) كمال الدين: ٦٦٧ / ٩. بتفاوت يسير.

(١٨٩) الكافي ١ : ١٤٨ / ٤. بتفاوت يسير.

(١٩٠) المراجعات: ٢٨.

وهذا الحديث رواه الطبري عن أحمد بن يحيى الصوفي، حدّثنا الحسن بن الحسين الأنصاري، حدّثنا معاذ بن مسلم، حدّثنا الهروي، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس^(١٩١). وعطاء بن السائب، قال أبو حاتم: كان محلّه الصدق قديماً قبل أن يختلط، صالح، مستقيم الحديث، ثمّ بأخّرة تغيّر حفظه، في حديثه تخاليط كثيرة، وقديم السماع من عطاء وسفيان وشعبة، وحديث البصريّين الذين يحدّثون عنه تخاليط كثيرة، لأنّه قدم عليهم في آخر عمره... رفع أشياء كان يرويها عن التابعين فرفعها إلى الصحابة^(١٩٢). والهروي، أبو الصلت عبدالسلام بن صالح: قال عنه الذهبي في الميزان: شيعي جلد، قال النسائي: ليس بثقة.

وقال أبو حاتم: لم يكن عندي بصدوق، وضرب أبو زرعة على حديثه.

وقال العقيلي عنه: رافضي خبيث.

وقال ابن عدّي: متّهم.

وقال الدارقطني: رافضي خبيث، يضح الحديث^(١٩٣).

ومعاذ بن مسلم: مجهول، وله عن عطاء بن السائب خبر باطل - وهو هذا الخبر -^(١٩٤).

الحسن بن الحسين الأنصاري العربي الكوفي: قال أبو حاتم: لم يكن بصدوق عندهم، كان من رؤساء الشيعة.

وقال ابن عدّي: لا يشبه حديثه حديث الثقات.

وقال ابن حبان: يأتي عن الأثبات بالملزقات، ويروي المقلوبات^(١٩٥).

وأحمد بن يحيى الصوفي: في الميزان: الكوفي الأحول.

قال الدارقطني: ضعيف^(١٩٦).

وعلق ابن كثير على هذا الحديث ٢ : ٥٠٢ قائلاً: هذا الحديث فيه نكارة شديدة.

وقال ابن الجوزي: وهذا من موضوعات الرافضة^(١٩٧).

(١٩١) جامع البيان ١٣ : ٧٢.

(١٩٢) الجرح والتعديل ٦ : ٣٣٤.

(١٩٣) ميزان الاعتدال ٢ : ٦١٦.

(١٩٤) ميزان الاعتدال ٤ : ١٣٢.

(١٩٥) ميزان الاعتدال ١ : ٤٨٣.

(١٩٦) ميزان الاعتدال ١ : ١٦٢.

(١٩٧) زاد المسير ٤ : ٣٠٧.

فما رأي القارئ في هذه الرواية التي اجتمع في سندها خمسة، لو وجد أحدهم في سند حديث
لكان ذلك كافياً لردّه وعدم الاستشهاد به؟!

وهذا الحديث لا تحلّ نسبته للرسول صلى الله عليه وآله وسلّم، فإنّ قوله: (وأنت الهادي) وما
بعده، ظاهره أنّهم يهتدون بك دوني، وهذا لا يقوله مسلم.
وإن قيل: معناه يهتدون به كهديتهم بالرسول؛ اقتضى مشاركة عليّ للرسول، وهذا إن قال به غلاة
الروافض فإنّ المسلم الحقّ لا يقوله، والله قد جعل محمّداً هادياً بنصّ القرآن فقال: (وإنك تهدي إلى صراط
مستقيم) (الشورى ٥٢).

وقول: (بك يهتدي المهتدون): يدلّ على أنّ كلّ مسلم اهتدى، فبعليّ اهتدى، وهذا كذب، فإنّ
الصحابة لما تفرّقوا في البلدان بعد الفتوح اهتدى الناس بهم، وعليّ بقي في المدينة لم يغادرها، فكيف
يقال: (بك يهتدي المهتدون)؟!

ثمّ قوله تعالى: (ولكلّ قوم هاد) عامّ في كلّ الطوائف، قديمها وحديثها، فكيف يُجعل عليّ هادياً
للأولين والآخرين؟!

ولا شكّ لو أدرك عليّ رضي الله عنه من يقول بهذا لجلده حدّ المفترى، وهو القائل: لا أوتيت بأحد
يفضّلني على أبي بكر وعمر إلاّ جلدته حدّ المفترى».

أقول:

لقد روى السيّد رحمه الله التفسير المذكور عن الفريقين، للدلالة على وروده عن طريقيهما جميعاً
فيكون حديثاً متفقاً عليه بين الجانبين، فيكون حجّة يجب الأخذ به، ويرتفع الخلاف به من البين.
وقد اكتفى من حديث أهل السنّة - للغرض المذكور - برواية أبي إسحاق الثعلبي، الإمام الكبير،
الثقة المتضلع في التفسير وعلوم العربية وغيرها، كما ترجمنا له فيما سبق، نقلاً عن مصادرهم المعتمدة
المشهوره، غير أنّ ابن تيميّة وأتباعه يعبرون عنه بـ«حاطب ليل» ونحو ذلك.
لكنّ رواته منهم كثيرون... يروونه بأسانيدهم المتصلة عن جمع من الصحابة، عن رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلّم، فالرواية سنّة ثابتة عن النبيّ، وأهلها يتبعونها، ومن كذبها أو خالفها فليس من
أهلها وإن ادّعى!!

وكيف كان، فإنّبات المرام يتمّ بتفصيل الكلام في سند الحديث وفقهه، وذلك في فصول:

الفصل الأول

نصوص الحديث ورواته في كتب السنة

لقد أخرج جماعة كبيرة من كبار الأئمة والحفاظ قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الآية المباركة: أنا المنذر وعليّ الهادي، بالأسانيد المتكثرة، في أشهر الكتب المعتمدة، عن طريق عدّة من الصحابة.

رواته من الصحابة:

وقد كان من رواته من الصحابة، الذين وصلنا الحديث عنهم:

١ - أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

٢ - عبدالله بن العباس.

٣ - عبدالله بن مسعود.

٤ - جابر بن عبدالله الأنصاري.

٥ - بريدة الأسلمي.

٦ - أبو برزة الأسلمي.

٧ - يعلى بن مرّة.

٨ - أبو هريرة.

٩ - سعد بن معاذ.

من رواته من الأئمة والحفاظ:

وقد رواه من أعلام أئمة الحديث ومشاهير الحفاظ:

١ - أبو عبدالله الحسين بن الحكم الحبري الكوفي، المتوفّي سنة ٢٨٦.

٢ - عبدالله بن أحمد بن حنبل، المتوفّي سنة ٢٩٠.

٣ - أبو سعيد أحمد بن محمّد، ابن الأعرابي البصري المكيّ، المتوفّي سنة ٣٠٤.

٤ - أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري، صاحب التاريخ والتفسير، المتوفّي سنة ٣١٠.

٥ - عبدالرحمن بن محمّد بن إدريس، الشهير بابن أبي حاتم، المتوفّي سنة ٣٢٧.

٦ - أبو العباس أحمد بن محمّد بن سعيد، ابن عقدة الكوفي، المتوفّي سنة ٣٣٢.

- ٧ - أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المتوفى سنة ٣٦٠.
- ٨ - أبو بكر جعفر بن حمدان البغدادي القطيعي الحنبلي، المتوفى سنة ٣٦٨.
- ٩ - أبو الحسين محمد بن المظفر البغدادي، المتوفى سنة ٣٧٩.
- ١٠ - أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، المتوفى سنة ٣٨٤.
- ١١ - أبو حفص عمر بن أحمد بن شاهين البغدادي الواعظ، المتوفى سنة ٣٨٥.
- ١٢ - أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، صاحب المستدرک، المتوفى سنة ٤٠٥.
- ١٣ - أبو بكر ابن مردويه الأصفهاني، المتوفى سنة ٤١٠.
- ١٤ - أبو إسحاق الثعلبي، صاحب التفسير المشهور، المتوفى سنة ٤٢٧.
- ١٥ - أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني، المتوفى سنة ٤٣٠.
- ١٦ - أبو علي الحسن بن علي، ابن المذهب التميمي البغدادي، المتوفى سنة ٤٤٤.
- ١٧ - أبو محمد الحسن بن علي الجوهري البغدادي، المتوفى سنة ٤٥٤.
- ١٨ - أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، المتوفى سنة ٤٦٣.
- ١٩ - عبيد الله بن عبدالله، الحافظ، الحاكم الحسكاني، المتوفى سنة ٤٧٠.
- ٢٠ - أبو الحسن علي بن محمد الجلبي الواسطي، المعروف بابن المغازلي، المتوفى سنة ٤٨٣.
- ٢١ - أبو الحسن علي بن الحسن المصري الشافعي، الشهير بالخلعي، المتوفى سنة ٤٩٢.
- ٢٢ - أبو شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي، صاحب كتاب الفردوس، المتوفى سنة ٥٠٩.
- ٢٣ - أبو نصر عبدالرحيم بن أبي القاسم القشيري النيسابوري، المفسر، المتوفى سنة ٥١٤.
- ٢٤ - أبو القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين الهمداني البغدادي، المتوفى سنة ٥٢٥.
- ٢٥ - أبو القاسم علي بن الحسن، المعروف بابن عساكر الدمشقي، المتوفى سنة ٥٧١.
- ٢٦ - أبو علي عمر بن علي بن عمر الحربي، المتوفى سنة ٥٩٨.
- ٢٧ - فخر الدين محمد بن عمر الرازي، صاحب التفسير الكبير، المتوفى سنة ٦٠٦.
- ٢٨ - أبو عبدالله محمد بن محمود بن الحسن، المعروف بابن النجار البغدادي، المتوفى سنة ٦٤٢.
- ٢٩ - ضياء الدين محمد بن عبدالواحد، المعروف بالضياء المقدسي، المتوفى سنة ٦٤٣.
- ٣٠ - أبو عبدالله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي، المقتول سنة ٦٥٨.
- ٣١ - صدر الدين أبو المجمع إبراهيم بن محمد الحموي، المتوفى سنة ٧٢٢.
- ٣٢ - إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، صاحب التاريخ والتفسير، المتوفى سنة ٧٧٤.
- ٣٣ - جمال الدين محمد بن يوسف الزرندي المدني، المتوفى سنة بضع و ٧٥٠.

٣٤ - أبو بكر نور الدين الهيثمي، صاحب مجمع الزوائد، المتوفى سنة ٨٠٧.

٣٥ - نور الدين علي بن محمد بن الصباغ المالكي، المتوفى سنة ٨٥٥.

٣٦ - جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١.

٣٧ - علي بن حسام الدين المتقي الهندي، صاحب كنز العمال، المتوفى سنة ٩٧٥.

٣٨ - عبدالرؤوف بن تاج العارفين المناوي المصري، المتوفى سنة ١٠٣١.

٣٩ - قاضي القضاة الشوكاني اليمني، المتوفى سنة ١٢٥٠.

٤٠ - محمد مؤمن الشبلنجي المصري، المتوفى بعد سنة ١٣٠٨.

فهؤلاء طائفة من أئمة أهل السنة في شتى العلوم، في القرون المختلفة، يروون حديث نزول قوله تعالى: (ولكل قوم هاد) في سيدنا أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، بأسانيدهم الكثيرة المتصلة، عن التابعين، عن الصحابة، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

من ألفاظ الحديث في أشهر الكتب:

وهذه نبذة من ألفاظ الحديث بالأسانيد:

* ففي مسند أحمد - من زيادات ابنه عبدالله - : «حدّثنا عبدالله، حدّثني عثمان بن أبي شيبة، ثنا مطّلب بن زياد، عن السدي، عن عبد خير، عن عليّ، في قوله: (إنّما أنت منذر ولكل قوم هاد)، قال: رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم المنذر. والهاد رجل من بني هاشم»^(١٩٨).

* وفي تفسير الطبري: «وقال آخرون: هو عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. ذكر من قال ذلك: حدّثنا أحمد بن يحيى الصوفي، قال: ثنا الحسن بن الحسين الأنصاري، قال: ثنا معاذ بن مسلم، ثنا الهروي، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما نزلت (إنّما أنت منذر ولكل قوم هاد) وضع صلى الله عليه [وآله] وسلّم يده على صدره فقال: أنا المنذر، ولكل قوم هاد؛ وأوماً بيده إلى منكب عليّ فقال: أنت الهادي يا عليّ، بك يهتدي المهتدون بعدي»^(١٩٩).

(١٩٨) مسند أحمد بن حنبل ١: ٢٠٣ / ١٠٤٤.

(١٩٩) جامع البيان ١٣: ٧٢، وسيأتي تحقيق الحال في سنده.

* وفي تفسير الحبري: «حدّثنا عليّ بن محمّد، قال: حدّثني الحبري، قال: حدّثنا [حسن بن حسين، حدّثني] حبان عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس: (إنّما أنت منذر) رسول الله صلى الله عليه وآله [وسلم (ولكل قوم هاد) عليّ]»^(٢٠٠).

* وفي المعجم الصغير للطبراني: «حدّثنا الفضل بن هارون البغدادي صاحب أبي ثور، حدّثنا عثمان بن أبي شيبة، حدّثنا المطّلب بن زياد، عن السديّ، عن عبدخبر، عن عليّ كرم الله وجهه في الجنة، في قوله عزّ وجلّ: (إنّما أنت منذر ولكل قوم هاد)، قال: رسول الله صلى الله عليه وآله [وسلم المنذر، والهاد] [ي] رجل من بني هاشم.

لم يروه عن السديّ إلا المطّلب، تفرّد به عثمان بن أبي شيبة»^(٢٠١).

* وفي تاريخ الخطيب - بترجمة الفضل بن هارون - : «أخبرنا محمّد بن عبدالله بن شهريار، أخبرنا سليمان بن أحمد الطبراني، حدّثنا الفضل بن هارون البغدادي صاحب أبي ثور... إلى آخر ما تقدّم»^(٢٠٢).

* وفي مستدرک الحاكم: «أخبرنا أبو عمرو عثمان بن أحمد بن السّمّك، ثنا عبدالرحمن بن محمّد بن منصور الحارثي، ثنا حسين بن حسن الأشقر، ثنا منصور بن أبي الأسود، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن عبّاد بن عبدالله

الأسدي، عن عليّ (إنّما أنت منذر ولكل قوم هاد) قال عليّ: رسول الله صلى الله عليه وآله [وسلم المنذر، وأنا الهادي].

هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرّجاه»^(٢٠٣).

* وفي تاريخ ابن عساکر: «أخبرنا أبو علي بن السبط، أنبأنا أبو محمّد الجوهري، حيلولة: وأخبرنا أبو القاسم بن الحصين، أنبأنا أبو علي بن المذّهب، قال: أنبأنا أبو بكر القطيعي، أنبأنا عبدالله بن أحمد، حدّثني عثمان بن أبي شيبة، أنبأنا مطّلب بن زياد [عن السديّ]، عن عبدخبر، عن عليّ، في قوله: (إنّما أنت منذر ولكل قوم هاد)، قال: رسول الله صلى الله عليه وآله [وسلم المنذر، والهادي] رجل من بني هاشم.

أخبرنا أبو العزّ بن كادش، أنبأنا أبو الطيّب طاهر بن عبدالله، أنبأنا علي بن عمر بن محمّد الحبري، أنبأنا أحمد بن الحسن بن عبدالجبار، أنبأنا عثمان بن أبي شيبة، أنبأنا المطّلب بن زياد، عن السديّ، عن

(٢٠٠) تفسير الحبري: ٢٨١.

(٢٠١) المعجم الصغير ١ : ٢٦١.

(٢٠٢) تاريخ بغداد ١٢ : ٣٧٢.

(٢٠٣) المستدرک على الصحيحين ٣ : ١٢٩.

عبدخير، عن عليٍّ، في قول الله عزَّ وجلَّ: (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) قال: رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله
[وسلَّم المنذر، والهادي عليٍّ.

أخبرنا أبو طالب علي بن عبدالرحمن، أنبأنا أبو الحسن الخلعي، أنبأنا أبو محمَّد بن النحاس، أنبأنا
أبو سعيد بن الأعرابي، أنبأنا أبو سعيد عبدالرحمن بن محمَّد بن منصور الحارثي، أنبأنا حسين بن علي
الأشقر، أنبأنا منصور بن أبي الأسود، عن الأعمش، عن المنهال، عن عبَّاد بن عبدالله، عن عليٍّ، قال: (إِنَّمَا أَنْتَ
منذر ولكلِّ قوم هاد)، قال عليٌّ: رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلَّم المنذر، وأنا الهاد.

وأخبرنا أبو طالب، أنبأنا أبو الحسن، أنبأنا أبو محمَّد، أنبأنا أبو سعيد بن الأعرابي، أنبأنا أبو العبَّاس
الفضل بن يوسف بن يعقوب بن حمزة الجعفي، أنبأنا الحسن بن الحسين الأنصاري في هذا المسجد
- وهو مسجد حبة العرني -، أنبأنا معاذ بن مسلم، عن عطاء بن السائب: عن سعيد بن جبير، عن
ابن عبَّاس، قال: لما نزلت (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلَّم: أنا المنذر، وعليٌّ
الهادي، بك يا عليٍّ يهتدي المهتدون»^(٢٠٤).

* **وفي مجمع الزوائد:** «قوله تعالى: (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ) عن عليٍّ رضي الله عنه في قوله: (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ
قوم هاد) قال: رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلَّم المنذر، والهادي رجل من بني هاشم.

رواه عبدالله بن أحمد، والطبراني في الصغير والأوسط، ورجال المسند ثقات»^(٢٠٥).

* **وفي الدر المنثور:** «وأخرج ابن جرير وابن مردويه، وأبو نعيم في المعرفة، والديلمي، وابن عساکر،
وابن النجار، قال: لما نزلت (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) وضع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلَّم يده على
صدره فقال: أنا المنذر؛ وأوماً بيده إلى منكب عليٍّ رضي الله عنه فقال: أنت الهادي، يا عليٍّ! بك يهتدي
المهتدون من بعدي.

وأخرج ابن مردويه، عن أبي برزة الأسلمي - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآله
وسلَّم يقول: (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ) ووضع يده عليه

صدر نفسه، ثمَّ وضعها على صدر عليٍّ ويقول: (لكلِّ قوم هاد).

وأخرج ابن مردويه، والضياء في المختارة، عن ابن عبَّاس - رضي الله عنهما - في الآية، قال: رسول الله
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلَّم المنذر أنا، والهادي عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

وأخرج عبدالله بن أحمد في زوائد المسند، وابن أبي حاتم، والطبراني في الأوسط، والحاكم
- وصحَّحه - وابن مردويه، وابن عساکر، عن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه، في قوله: (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ

(٢٠٤) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٣٥٨ - ٣٥٩.

(٢٠٥) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٧ : ٤١.

هاد)، قال: رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلّم المنذر، وأنا الهادي. وفي لفظ: والهادي رجل من بني هاشم؛ يعني نفسه»^(٢٠٦).

* وفي شواهد التنزيل: «حدّثني الوالد رحمه الله، عن أبي حفص ابن شاهين، قال: حدّثنا أحمد بن محمّد بن سعيد الهمداني، قال: حدّثنا أحمد بن يحيى الصوفي وإبراهيم بن حيويه، قال: حدّثنا حسن بن حسين.

وأخبرنا أبو بكر محمّد بن عبدالعزيز الجزري، قال: أخبرنا الحسن ابن رشيق المصري، قال: حدّثنا عمر بن عليّ بن سليمان الدينوري، قال: حدّثنا حسن بن حسين الأنصاري، قال: حدّثنا معاذ بن مسلم، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، قال: لمّ نزلت (إنّما أنت منذر ولكمّ قوم هاد) قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أنا المنذر وعليّ الهادي من بعدي؛ وضرب بيده إلى صدر عليّ فقال: أنت الهادي من بعدي، يا عليّ! بك يهتدي المهتدون.

أخبرنا أبو يحيى الحيكاني، قال: أخبرنا أبو الطيّب محمّد بن الحسين بالكوفة قال: حدّثنا عليّ بن العباس بن الوليد، قال: حدّثنا جعفر ابن محمّد بن الحسين، قال: حدّثنا حسن بن حسين، قال: حدّثنا معاذ بن مسلم الفراء، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، قال: لمّ نزلت (إنّما أنت منذر ولكمّ قوم هاد) أشار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بيده إلى صدره فقال: أنا المنذر (ولكمّ قوم هاد) ثمّ أشار بيده إلى عليّ فقال: يا عليّ! بك يهتدي المهتدون بعدي.

أخبرنا أبو بكر بن أبي الحسن الهاروني، قال: أخبرنا أبو العباس بن أبي بكر الأنماطي المروزي، أنّ عبد الله بن محمّد بن علي بن طرخان حدّثهم، قال: حدّثنا أبي، قال: حدّثنا عبد الأعلى بن واصل، قال: حدّثنا الحسن الأنصاري - وكان ثقة معروفاً يُعرف بالعربي -، قال: حدّثنا معاذ بن مسلم بياع الهروي - قال عبد الأعلى: وهذا شيخ روى عنه المحاربي -، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس في قوله: (إنّما أنت منذر) [قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أنا المنذر وعليّ الهادي] ثمّ قال: يا عليّ! بك يهتدي المهتدون بعدي.

حدّثني أبو القاسم بن أبي الحسن الفارسي، قال: أخبرنا أبي، قال: أخبرنا محمّد بن القاسم المحاربي، قال: حدّثنا القاسم بن هشام بن يونس، قال: حدّثني حسن بن حسين، قال: حدّثنا معاذ بن مسلم، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (إنّما أنت منذر) ووضع يده على صدره، ثمّ قال: (ولكمّ قوم هاد) وأوماً بيده إلى منكب عليّ، ثمّ قال: يا عليّ! بك يهتدي المهتدون.

(٢٠٦) الدرّ المنثور في التفسير المأثور ٤ : ٦٠٨.

حدّثني أبو سعيد السعدي، قال: أخبرنا أبو الحسين محمد بن المظفر الحافظ ببغداد، قال: أخبرنا أبو محمد جعفر بن محمد بن القاسم، قال حدّثنا إسماعيل بن محمد المزني، قال: حدّثنا حسن بن حسين به سواء، قال: لما نزلت (إنما أنت منذر) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنا يا عليّ المنذر، وأنت الهادي، بك يهتدي المهتدون بعدي.

وأخبرنا أبو سعد، قال: أخبرنا أبو الحسين محمد بن المظفر الحافظ ببغداد، قال: حدّثني أبو بكر محمد بن الفتح الخياط، قال: حدّثنا أحمد ابن عبد الله بن يزيد المؤدّب، قال: حدّثني أحمد بن داود - ابن أخت عبدالرزاق -، قال: حدّثني أبو صالح، قال: حدّثني بعض رواة ليث، عن ليث، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ليلة أُسري بي ما سألت ربي شيئاً إلاّ أعطانيه، [و]سمعت منادياً من خلفي يقول: يا محمد! إنّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد. قلت: أنا المنذر، فمن الهادي؟! قال: عليّ الهادي المهتدي، القائد أمتك إلى جنّتي غرّاً محجّلين برحمتي.

[حدّثنا] [الجوهرى، [قال:]: حدّثنا المرزباني، [قال:]: أخبرنا علي ابن محمد الحافظ، قال: حدّثني الحبري، قال: حدّثنا حسن بن حسين، قال: حدّثنا حبان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس [في قوله تعالى]: (ولكلّ قوم هاد)[قال: هو] عليّ عليه السلام.

[وقال:]: حدّثنا إسماعيل بن صبيح، قال: أنبأني أبو الجارود، عن أبي داود، عن أبي برزة، قال، سمعت، رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إنما أنت منذر) ثمّ يردّ يده إلى صدره، ثمّ يقول: (ولكلّ قوم هاد) ويشير إلى عليّ بيده.

أخبرنا عقيل بن الحسين، قال: أخبرنا عليّ بن الحسين، قال: حدّثنا محمد بن عبيد الله، قال: حدّثنا محمد بن الطيّب السامري بها، قال: حدّثنا إبراهيم بن فهد، قال: حدّثنا الحكم بن أسلم، قال: حدّثنا شعبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيّب، عن أبي هريرة [في قوله تعالى]: (إنما أنت منذر) يعني: رسول الله صلى الله عليه وآله، [وفي قوله]: (ولكلّ قوم هاد) قال: سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إنّ هادي هذه الأمة عليّ بن أبي طالب.

حدّثنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ إملاءً وقراءة، قال: أخبرني أبو بكر ابن أبي دارم الحافظ بالكوفة، قال: أخبرنا المنذر بن محمد بن المنذر بن سعيد اللخمي من أصل كتابه، قال: حدّثني أبي قال: حدّثني عمّي الحسين بن سعيد، قال: حدّثني أبي سعيد بن أبي الجهم، عن أبان بن تغلب، عن نفيح بن الحارث، قال، حدّثني أبو برزة الأسلمي، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إنما أنت منذر) ووضع يده على صدر نفسه، ثمّ وضعها على يد عليّ قال: (ولكلّ قوم هاد).

قال الحاكم: تفرّد به المنذر بن محمد القابوسي بإسناده، وهو من حديث أبان عجب جداً.

أخبرنا أبو عبدالله الشيرازي، [قال] أخبرنا أبو بكر الجرجاني، قال: أخبرنا أبو أحمد البصري، قال: حدّثنا أحمد بن عباد، قال: حدّثنا زكريّا بن يحيى، قال: حدّثنا إسماعيل بن صبيح، قال: حدّثنا أبو الجارود زياد بن المنذر، عن أبي داود، عن أبي برزة الأسلمي، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) ويشير إلى عليّ عليه السلام.

أخبرنا الحاكم الوالد، قال: أخبرنا أبو حفص، قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن سعيد، وعمر بن الحسن، قالوا: أخبرنا أحمد بن الحسن.

وأخبرنا أبو بكر بن أبي الحسن الحافظ، أنّ عمر بن الحسن بن علي ابن مالك أخبرهم، قال: حدّثنا أحمد بن الحسن الخراز، قال: حدّثنا أبي قال: حدّثنا حصين بن مخارق، عن حمزة الزيات، عن عمر بن عبدالله ابن يعلى بن مرّة، عن أبيه، عن جدّه، قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) فقال: أنا المنذر، وعليّ الهادي]. لفظاً واحداً.

أخبرنا أبو الحسن النجار، قال: أخبر الطبراني، قال: حدّثنا الفضل بن هارون، قال: حدّثنا عثمان. وأخبرنا أبو الحسن الأهوازي، قال: أخبرنا أبو الحسن الشيرازي، قال: حدّثنا عبدالله بن محمد بن ناجية، قال: حدّثنا عثمان بن أبي شيبة، قال: حدّثنا مطّلب بن زياد الأسدي، عن السدي، عن عبدخبر، عن عليّ بن قولته: (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) قال: رسول الله صلى الله عليه وآله والهادي رجل من بني هاشم.

[ساقاه] لفظاً سواءً [وقالا]: قال: تفرد به عثمان.

وأخبرنا أبو عبدالله، قال: أخبرنا أبو بكر القطيعي، قال: حدّثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، قال: حدّثنا عثمان بن أبي شيبة به كلفظه.

أخبرنا أبو عبدالله الثقفي، قال: حدّثنا أحمد بن حمدان، قال: حدّثنا محمد بن إسحاق المسوحي، قال: حدّثنا إبراهيم بن عبدالله بن صالح، قال: حدّثنا المطّلب، قال: حدّثنا السدي، عن عبدخبر، عن عليّ، في قوله: (إنما أنت منذر)، قال: المنذر النبي، والهادي رجل من بني هاشم. يعني نفسه.

أخبرنا محمد بن عبدالله بن أحمد، قال: حدّثنا محمد بن أحمد ابن محمد بن علي، قال: حدّثنا عبدالعزيز بن يحيى بن أحمد بن عيسى، قال: حدّثني المغيرة بن محمد، قال: حدّثني إبراهيم بن محمد بن عبدالرحمن الأزدي - سنة ست عشرة ومائتين -، قال: حدّثنا قيس بن ربيع، ومنصور بن أبي الأسود، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن عبّاد بن عبدالله، قال: قال عليّ: ما نزل من القرآن آية إلا وقد علمت متى نزلت وفي من نزلت؛ قيل: فما نزل فيك؟ فقال: لولا أنكم سألتموني ما أخبرتكم؛ نزلت فيّ [هذه] الآية: (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) فرسول الله المنذر، وأنا الهادي إلى ما جاء به.

حدّثني أبو الحسن الفارسي، قال: حدّثنا أبو محمّد بن عبد الله بن أحمد الشيباني، قال: حدّثنا أحمد بن عليّ بن رزين الباشاني، قال: حدّثنا عبد الله ابن الحرث، قال: حدّثنا إبراهيم بن الحكم بن ظهير، قال: حدّثني أبي، عن حكيم بن جبير، عن أبي فروة السلمي، قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بالطهور وعنده عليّ بن أبي طالب، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بيد عليّ - بعدما تطهّر - فألزقها بصدرة، فقال: (إنّما أنت منذر) ثمّ ردّها إلى صدر عليّ ثمّ قال: (ولكلّ قوم هاد)، ثمّ قال: إنّك منارة الأنام، وغاية الهدى، وأمير القراء، أشهد على ذلك أنّك كذلك.

أخبرنا أبو محمّد بن عبد الله بن عبدالرحمن الحرصي، قال: حدّثنا يحيى بن منصور القاضي، قال: حدّثنا محمّد بن إبراهيم العبدي، قال: حدّثنا هشام بن عمّار، قال: حدّثنا عراك بن خالد، حدّثنا يحيى بن الحارث، قال: حدّثنا عبد الله بن عامر، قال: أزعجت الزرقاء الكوفية إلى معاوية، فلمّا أدخلت عليه قال لها معاوية: ما تقولين في مولى المؤمنين عليّ؛ فأنشأت تقول:

صلى الإله على قبر تضمّنه *** نور فأصبح فيه العدل مدفوناً من حالف العدل والإيمان مقترناً ***

فصار بالعدل والإيمان مقرونا

فقال لها معاوية: كيف غرزت فيه هذه الغريزة؟ فقالت: سمعت الله يقول في كتابه لنبيّه: (إنّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد) المنذر رسول الله، والهادي عليّ وليّ الله.

أخبرنا السيّد أبو منصور [ظفر بن محمّد] الحسيني، قال: حدّثنا ابن ماني، قال: حدّثنا الحبري، قال: حدّثنا حسن بن [الحسين العُرني]، قال: حدّثنا علي بن القاسم، عن عبدالوهاب بن مجاهد، عن أبيه، في قول الله عزّ وجلّ: (إنّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد)، قال: محمّد المنذر، وعليّ الهادي [ي]»^(٢٠٧).

* * *

الفصل الثاني

في بيان صحّة الحديث

قد تبين ممّا تقدّم كثرة أسانيد هذا الحديث الشريف، ثمّ إنّ غير واحد من الأئمة الحفاظ قالوا بصحّته، منهم:

* الحاكم النيسابوري، الذي نصّ على صحّة ما أخرجه، وحكى تصحيحه غير واحد من الأعلام كالحافظ السيوطي.

* والضياء المقدسي، إذ أخرجه في كتابه المختارة كما في الدر المنثور وغيره، وكتابه المذكور، يعتبر من الكتب الصحاح، لالتزامه فيه بالصحّة كما نصّ عليه العلماء، كالحافظ السيوطي حيث قال في ذكر من صحّ الأحاديث:

«ومنهم: الحافظ ضياء الدين محمّد بن عبدالواحد المقدسي، جمع كتاباً سمّاه المختارة التزم فيه الصحّة، وذكر فيه أحاديث لم يسبق إلى تصحيحها»^(٢٠٨).

وفي كشف الظنون: «المختارة في الحديث؛ للحافظ ضياء الدين محمّد بن عبدالواحد المقدسي الحنبلي، المتوفّى سنة ٦٤٣، التزم فيه الصحّة، فصحّح فيه أحاديث لم يسبق إلى تصحيحها.

قال ابن كثير: وهذا الكتاب لم يتمّ، وكان بعض الحفاظ من مشايخنا يرجّحه على مستدرك الحاكم. كذا في الشذا الفياح»^(٢٠٩).

قلت:

وهذه عبارة ابن كثير في حوادث سنة ٦٤٣، حيث ذكر وفاة الضياء وترجم له، فقال:

«وألف كتاباً مفيدة حسنة كثيرة الفوائد، من ذلك: كتاب الأحكام، ولم يتمّه. وكتاب المختارة وفيه علوم حسنة حديثية، وهي أجود من مستدرك الحاكم لو كمل...»^(٢١٠).

* وأبو بكر الهيثمي، إذ روى الحديث عن بعض الأئمة، ثمّ نصّ على أنّ «رجال المسند ثقات»^(٢١١).

(٢٠٨) تدريب الراوي ١ : ١٥٨.

(٢٠٩) كشف الظنون ٢ : ١٦٢٤.

(٢١٠) البداية والنهاية ١٣ : ١٧٠.

(٢١١) مجمع الزوائد ٧ : ٤١.

من أسانيد الصحيحه:

وهذا بيان وثاقه رجال سند مسند أحمد:

فأمّا عبدالله بن أحمد:

فغني عن التوثيق.

وأمّا عثمان بن أبي شيبة:

فهو: عثمان بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي، أبو الحسن بن أبي شيبة، الكوفي. قال الحافظ ابن حجر بعد أن ذكره كذلك: «ثقة حافظ شهير، وله أوهام، وقيل: كان لا يحفظ القرآن، من العاشرة، مات سنة تسع وثلاثين وله ثلاث وثمانون سنة» وقد وضع عليه علامة: «البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه»^(٢١٢).

وأمّا مطلب بن زياد:

فذكره الحافظ ابن حجر بقوله: «المطلب بن زياد بن أبي زهير، الثقفي، مولاهم، الكوفي، صدوق، ربما وهم، من الثامنة، مات سنة خمس وثمانين» ثم وضع عليه من العلامات: بخ ص ق^(٢١٣).

وأمّا السدي:

فهو: إسماعيل بن عبدالرحمن، أخرج له مسلم والأربعة، كذا علم الحافظ، وقد وصفه بالصدق^(٢١٤).

وأمّا عبدخير:

فهو: عبدخير بن يزيد، وهو من رجال الصحاح الستة كما علم الحافظ، وقال: «مخضرم، ثقة، من الثانية، لم يصح له صحبة»^(٢١٥).

وقال أيضا: «قال أبو جعفر محمد بن الحسين البغدادي: سألت أحمد بن حنبل عن الثبت في علي، فذكر عبدخير فيهم»^(٢١٦).

وقال ابن عبدالبر: «أدرك زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يسمع منه، وهو من كبار أصحاب علي، ثقة مأمون»^(٢١٧).

(٢١٢) تقريب التهذيب ٢ : ١٣.

(٢١٣) تقريب التهذيب ٢ : ٢٥٤.

(٢١٤) تقريب التهذيب ١ : ٧١.

(٢١٥) تقريب التهذيب ١ : ٤٧٠.

(٢١٦) تهذيب التهذيب ٦ : ١١٤.

(٢١٧) الاستيعاب ٣ : ١٠٠٥.

هذا، ولا يخفى أن الهيثمي الذي حكم بأن «رجال أحمد ثقات» من أشهر وأعظم أمّة الحديث وعلماء الجرح والتعديل عندهم، ولا بأس بنقل الكلمات التالية في حقّه:
 ابن حجر: «صار كثير الاستحضر للمتون جداً لكثرة الممارسة، وكان هيئاً لئناً خيراً...».
 البرهان الحلبي: «إنه كان من محاسن القاهرة».
 التقي الفاسي: «كان كثير الحفظ للمتون والآثار، صالحاً خيراً...».
 الأفقهي: «كان إماماً عالمياً، حافظاً، زاهداً، متواضعاً، متودّداً إلى الناس، ذا عبادة وتخشُّف وورع».
 السخاوي: «الثناء على دينه وزهده وورعه ونحو ذلك كثير جداً، بل هو في ذلك كلمة اتّفاق»^(٢١٨).
 السيوطي: «الهيثمي الحافظ... قال الحافظ ابن حجر: كان خيراً ساكناً، صيناً سليم الفطرة، شديد الإنكار للمنكر...»^(٢١٩).

قلت:

وللحديث أسانيد صحيحة غير ما ذكر، ومن ذلك:
 * رواية الحبري، فإنّ سندها صحيح، كما ذكرنا في بحثنا عن سورة الدهر.
 * وقد رواه الحاكم الحسكاني، عن الجوهرى، عن المرزباني، عن علي بن محمّد الحافظ، عن الحبري... وقد ترجمنا لهم في مبحث سورة الدهر كذلك، فلا نعيد.
 * رواية الطبراني، وهي عن الفضل بن هارون البغدادي - صاحب أبي ثور - عن عثمان بن أبي شيبة... بالإسناد المتقدّم عن مسند أحمد.
 * ورواه الحافظ الخطيب البغدادي، عن محمّد بن عبد الله بن شهريار، عن الطبراني... بالإسناد المتقدّم بترجمة الفضل بن هارون، ولم يتكلّم عليه بشيء أصلاً^(٢٢٠).
 * رواية ابن عساکر، فقد روى الحديث بأسانيد بعضها صحيح بلا كلام، ومن ذلك روايته:
 عن ابن الحُصَيْن، وقد وصفه الذهبي بقوله: «الشيخ الجليل، المسند الصدوق».
 وحكى عن السمعاني قوله: «شيخ ثقة دین، صحيح السماع، واسع الرواية... وكانوا يصفونه بالسداد والأمانة والخيرية».

وعن ابن الجوزي: «كان ثقة»^(٢٢١).

(٢١٨) تجد هذا الكلمات في الضوء اللامع ٣ : ٢٠٢.

(٢١٩) طبقات الحفّاظ: ٥٤٥ رقم ١١٧٨، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ١ : ٣٦٢ رقم ٩٧.

(٢٢٠) تاريخ بغداد ١٢ : ٣٧٢.

(٢٢١) سير أعلام النبلاء ١٩ : ٥٣٦.

عن ابن المُذْهِب، وقد ترجم له الذهبي كذلك، ووصفه بـ«الإمام العالم، مسند العراق»^(٢٢٢).
وقال الخطيب: «كتبت عنه، وكان يروي عن القطيعي مسند أحمد بأسره، وكان سماعه صحيحاً إلا
في أجزاء منه، فإنه ألحق اسمه»^(٢٢٣) فقال ابن الجوزي: «وهذا لا يوجب القدح، لأنه إذا تيقن سماعه
للكتاب جاز أن يكتب سماعه بخطه»^(٢٢٤).

عن القطيعي، قال الذهبي: «الشيخ العالم المحدث، مسند الوقت... راوي مسند الإمام أحمد...
حدّث عنه: الدارقطني وابن شاهين، والحاكم...» وذكر جماعة، ثم حكى قول الدارقطني: «ثقة زاهد
قديم، سمعت أنه مجاب الدعوة» والبرقاني: «كان صالحاً... ثبت عندي أنه صدوق» والحاكم أنه: «حسن
حاله وقال: كان شيعي»^(٢٢٥).

عن عبدالله بن أحمد، بالإسناد المتقدم عن المسند.
وبعد، فإنه يكفي أن يكون للحديث سند واحد صحيح، وقد رأينا أنّ له عدّة أسانيد صحيحة،
وهناك عشرات الأسانيد الأخرى، ومن جملتها ما في تفسير الثعلبي، ولو كانت كلّ هذه ضعافاً فلا ريب في
صلاحيتها لتأييد الصحاح المذكورة.

على أنّ للحديث شواهد لا تحصى، وستقف على طرف منها.

أقول:

فهلمّ معي لننظر كيف يضطرب المتعصبون أمام هذا الحديث الصحيح في إسناده، والصريح في

مفاده!!

* * *

(٢٢٢) سير أعلام النبلاء ١٧ : ٦٤٠.

(٢٢٣) تاريخ بغداد ٧ : ٣٩٠.

(٢٢٤) المنتظم ١٥ : ٣٣٧.

(٢٢٥) سير أعلام النبلاء ١٦ : ٢١٠ - ٢١٣.

الفصل الثالث

في دفع شبهات المخالفين

وأنت إذا لاحظت كلماتهم وتدبرتها فسوف لن تجد لواحد منهم كلاماً مقبولاً في سند حديثنا، أو وجهاً معقولاً يحمل عليه معناه، وإليك أولاً نصوص عبارات هؤلاء:

١ - ابن الجوزي:

قال أبو الفرج ابن الجوزي بتفسير الآية المباركة: «وقد روى المفسرون من طرق، ليس فيها ما يثبت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية وضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده على صدره فقال: أنا المنذر، وأوماً بيده إلى منكب عليّ فقال: أنت الهادي، يا علي! بك يُهتدى من بعدي.

قال المصنّف: وهذا من موضوعات الرافضة»^(٢٢٦).

٢ - الذهبي:

وقال الذهبي معلّقاً على رواية الحاكم وتصحيحه: «قلت: بل كذب، قبّح الله واضعه»^(٢٢٧).

وقال أيضاً بترجمة الحسن بن الحسين العرنى -: «وقال ابن الأعرابي: حدّثنا الفضل بن يوسف الجعفي، حدّثنا الحسن بن الحسين الأنصاري - في مسجد حبة العرنى -، حدّثنا معاذ بن مسلم، عن عطاء بن السائب، عن سعيد، عن ابن عباس...»

رواه ابن جرير في تفسيره، عن أحمد بن يحيى، عن الحسن، عن معاذ. ومعاذ نكرة، فلعل الآفة منه»^(٢٢٨).

(٢٢٦) زاد المسير ٤ : ٣٠٧.

(٢٢٧) تلخيص المستدرک ٣ : ١٣٠.

(٢٢٨) ميزان الاعتدال ١ : ٤٨٤.

٣ - ابن كثير:

وقال ابن كثير - بعد رواية ابن جرير الطبري - : «وهذا الحديث فيه نكارة شديدة».
ثم قال: «وقال ابن أبي حاتم: حدّثنا علي بن الحسين، حدّثنا عثمان ابن أبي شيبة، حدّثنا المطّلب بن زياد، عن السّدي، عن عبدخبر، عن عليّ: (ولكذّ قوم هاد) قال: الهادي رجل من بني هاشم. قال الجنيد: هو عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.
قال ابن أبي حاتم: وروي عن ابن عبّاس في إحدى الروايات. وعن أبي جعفر محمّد بن عليّ نحو ذلك» انتهى^(٢٢٩).

٤ - أبو حيّان:

وقال أبو حيّان الأندلسي بتفسيرها: «عن ابن عبّاس: لما نزلت وضع رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يده على صدره وقال: أنا منذر... .
قال القشيري: نزلت في النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم وعليّ بن أبي طالب.
... وقالت فرقة: الهادي: عليّ بن أبي طالب.
وإن صحّ ما روي عن ابن عبّاس ممّا ذكرناه في صدر هذه الآية، فإنّما جعل الرسول صلّى الله عليه [وآله] وسلّم عليّ بن أبي طالب مثلاً من علماء الأمة وهداتها إلى الدين، فكأنّه قال: أنت يا عليّ هذا وصفك؛ ليدخل في ذلك أبو بكر وعمر وعثمان وسائر علماء الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ثمّ كذلك علماء كلّ عصر.
فيكون المعنى على هذا: إنّما أنت يا محمّد منذر، ولكلّ قوم في القديم والحديث دعاة هداة إلى الخير»^(٢٣٠).

٥ - ابن روزبهان:

وقال ابن روزبهان - في الردّ على استدلال العلامة الحليّ بالحديث - : «ليس هذا في تفاسير السّنة، ولو صحّ دلّ على أنّ عليّاً هاد، وهو مسلّم، وكذا أصحاب رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم هداة؛ لقوله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم؛ ولا دلالة فيه على النصّ»^(٢٣١).

٦ - ابن تيميّة:

(٢٢٩) تفسير القرآن العظيم ٤ : ٤٣٤ - ٤٣٥.

(٢٣٠) البحر المحيط ٦ : ٣٥٤ - ٣٥٥.

(٢٣١) إبطال نهج الباطل - في الردّ على نهج الحقّ - المطبوع مع إحقاق الحقّ ٣ : ٩٣.

وقال ابن تيمية الحرّاني - في الردّ على استدلال العلامة الحلّي بالحديث - :

«والجواب من وجوه: أحدها: أنّ هذا لم يَقم دليل على صحّته، فلا يجوز الاحتجاج [به]. وكتاب الفردوس للدليمي فيه موضوعات كثيرة أجمع أهل العلم على أنّ مجرد كونه رواه لا يدلّ على صحّة الحديث، وكذلك رواية أبي نُعيم لا تدلّ على الصحّة.

الثاني: أنّ هذا كذب باتّفاق أهل العلم بالحديث، فيجب تكذيبه وردّه.

الثالث: أنّ هذا الكلام لا يجوز نسبته إلى النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلّم، فإنّ قوله: (أنا المنذر، وبك يا عليّ يهتدي المهتدون) ظاهره أنّهم بك يهتدون دوني، وهذا لا يقوله مسلم؛ فإنّ ظاهره أنّ النذارة والهداية مقسومة بينهما، فهذا نذيرٌ لا يُهتدى به، وهذا هاد، [وهذا] لا يقوله مسلم.

الرابع: أنّ الله تعالى قد جعل محمّداً هادياً فقال: (وإنّك لتهدى إلى صراط مستقيم * صراط الله) [سورة

الشورى: ٥٢ و ٥٣] فكيف يُجعل الهادي من لم يوصف بذلك دون من وُصف به؟!!

الخامس: أنّ قوله: (بك يهتدي المهتدون) ظاهره أنّ كلّ من اهتدى من أمة محمّد فبه اهتدى، وهذا كذب بيّن؛ فإنّه قد آمن بالنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلّم خلق كثير، واهتدوا به، ودخلوا الجنّة، ولم يسمعوا من عليّ كلمة واحدة، وأكثر الذين آمنوا بالنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلّم واهتدوا به، لم يهتدوا بعليّ في شيء.

وكذلك لما فتحت الأمصار وآمن واهتدى الناس بمن سكنها من الصحابة وغيرهم، كان جماهير

المؤمنين لم يسمعوا من عليّ شيئاً، فكيف يجوز أن يُقال: بك يهتدي المهتدون؟!!

السادس: أنّه قد قيل معناه: إنّما أنت نذير ولكلّ قوم هاد، وهو الله تعالى، وهو قول ضعيف. وكذلك قول من قال: أنت نذير وهاد لكلّ قوم، قول ضعيف. والصحيح أنّ معناها: إنّما أنت نذير، كما أرسل من قبلك نذيرٌ، ولكلّ أمة نذير يهديهم أي يدعو، كما في قوله: (وإنّ من أمة إلاّ خلا فيها نذيرٌ) [سورة فاطر: ٢٤]، وهذا قول جماعة من المفسّرين، مثل قتادة وعكرمة وأبي الضحى وعبدالرحمن بن زيد.

قال ابن جرير الطبري: (حدّثنا بشر، حدّثنا يزيد، حدّثنا سعيد، عن قتادة.

وحدّثنا أبو كريب، حدّثنا [وكيع، حدّثنا] سفيان، عن السديّ، عن عكرمة ومنصور، عن أبي الضحى:

(إنّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد) قالوا: محمّد هو المنذر وهو الهادي.

حدّثنا يونس، حدّثنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: لكلّ قوم نبيّ. الهادي: النبيّ والمنذر: النبيّ

أيضاً. وقرأ: (وإنّ من أمة إلاّ خلا فيها نذيرٌ) [سورة فاطر: ٢٤]، وقرأ: (نذيرٌ من النذر الأولى) [سورة النجم: ٥٦]، قال:

نبيّ من الأنبياء.

حدَّثنا بشَّار، حدَّثنا أبو عاصم، حدَّثنا سفيان، عن ليث، عن مجاهد، قال: المنذر: محمَّد، (ولكل قوم هاد) قال: نبيُّ.

وقوله: (يوم ندعو كلُّ أناسٍ بإمامهم) [سورة الإسراء: ٧١] إذ الإمام [هو] الذي يؤتَمُّ به، أي يُقتدى به. وقد قيل: إنَّ المراد به هو الله الذي يهديهم، والأوَّل أصحَّ. وأمَّا تفسيره بعليٍّ فإنَّه باطل، لأنَّه قال: (ولكلِّ قوم هاد)، وهذا يقتضي أن يكون هادي هؤلاء غير هادي هؤلاء، فيتعدَّد الهداة، فكيف يُجعل عليٌّ هادياً لكلِّ قوم من الأوَّلين والآخرين!؟

السابع: أنَّ الاهتداء بالشخص قد يكون بغير تأميره عليهم، كما يهتدى بالعالم، وكما جاء في الحديث الذي فيه: أصحابي كالنجوم فبأبصارهم اقتديتم اهتديتم فليس هذا صريحاً في أن الإمامة كما زعمه هذا المفتري.

الثامن: أنَّ قوله (ولكلِّ قوم هاد) نكرة في سياق الإثبات، وهذا لا يدلُّ على معيَّن، فدعوى دلالة القرآن على عليٍّ باطل، والاحتجاج بالحديث ليس احتجاجاً بالقرآن، مع أنَّه باطل.

التاسع: أنَّ قوله: (كلُّ قوم) صيغة عموم، ولو أُريد أنَّ هادياً واحداً للجميع ل قيل: لجميع الناس هاد. لا يقال: (كلُّ قوم)، فإنَّ هؤلاء القوم [غير هؤلاء القوم]، وهو لم يقل: لجميع القوم، ولا يقال ذلك، بل أضاف (كلًّا) إلى نكرة، لم يضيفه إلى معرفة.

كما في قولك: (كلُّ الناس يعلم أنَّ هنا قوماً وقوماً متعدِّدين، وأنَّ كلَّ قوم لهم هاد ليس هو هادي الآخرين). وهذا يبطل قول من يقول: [إنَّ] الهادي هو الله تعالى، ودلالته على بطلان قول من يقول: (هو عليٌّ) أظهر^(٢٣٢).

٧ - الدهلوي:

وقال عبدالعزيز الدهلوي - صاحب التحفة - ما هذا تعريبيه: «ومنها قوله تعالى: (إنَّما أنت منذر ولكلِّ قوم هاد)، ورد في الخبر المتَّفَق عليه، عن ابن عبَّاس، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلَّم أنَّه قال: أنا المنذر وعليُّ الهادي.

وهذه رواية الثعلبي في تفسيره، وليس لمروياته ذلك الاعتبار التام. وهذه الآية أيضاً تُعدُّ من الآيات التي يذكرها أهل السنَّة في مقام الردِّ على مذهب الخوارج والنواصب، يتمسكون بالرواية المذكورة بتفسيرها، وهي لا دلالة فيها على إمامة الأمير ونفي الإمامة عن غيره أصلاً قطعاً، لأنَّ كون الشخص هادياً لا يلازم إمامته ولا ينفي الهداية عن غيره، ولو دلَّ مجرد الهداية

(٢٣٢) منهاج السنَّة ٧ : ١٣٩ - ١٤٣.

على الإمامة، لكان المراد منها الإمام بمصطلح أهل السنة، وهي الإمامة في الدين، وهو غير محل النزاع». انتهى^(٢٣٣).

٨ - الألوسي:

وقال شهاب الدين الألوسي بتفسير الآية: «وقالت الشيعة: إنه عليٌّ كرم الله تعالى وجهه، ورووا في ذلك أخباراً، وذكر ذلك القشيري مثلاً.

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه، والديلمي، وابن عساكر، عن ابن عباس، قال: لما نزلت (إنما أنت منذر) الآية، وضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده على صدره فقال: أنا المنذر، وأوماً بيده إلى منكب عليٍّ كرم الله تعالى وجهه فقال: أنت الهادي، يا علي! بك يهتدي المهتدون من بعدي. وأخرج عبدالله بن أحمد في زوائد المسند، وابن أبي حاتم، والطبراني في الأوسط، والحاكم وصححه، وابن عساكر أيضاً، عن عليٍّ كرم الله تعالى وجهه، أنه قال في الآية: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنذر وأنا الهادي. وفي لفظ: الهادي رجل من بني هاشم - يعني نفسه - واستدل بذلك الشيعة على خلافة عليٍّ كرم الله تعالى وجهه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلا فصل.

وأجيب: بأننا لا نسلم صحة الخبر، وتصحيح الحاكم محكوم عليه بعدم الاعتبار عند أهل الأثر، وليس في الآية دلالة على ما تضمنه بوجه من الوجوه، على أن قصارى ما فيه كونه كرم الله تعالى وجهه به يهتدي المهتدون بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك لا يستدعي إلا إثبات مرتبة الإرشاد وهو أمر، والخلافة التي نقول بها أمر آخر، ولا تلازم بينهما عندنا.

وقال بعضهم: إن صح الخبر يلزم القول بصحة خلافة الثلاثة رضي الله تعالى عنهم، حيث دل على أنه كرم الله تعالى وجهه على الحق في ما يأتي ويذر، وأنه الذي يهتدى به، وهو قد بايع أولئك الخلفاء طوعاً ومدحهم وأثنى عليهم خيراً، ولم يطعن في خلافتهم، فينبغي الاقتداء به والجري على سننه في ذلك، ودون إثبات خلاف ما أظهر خبط القناد.

وقال أبو حيان: إنه صلى الله عليه وآله وسلم على فرض صحة الرواية إنما جعل علياً كرم الله تعالى وجهه مثلاً من علماء الأمة وهداتها إلى الدين، فكأنه عليه الصلاة والسلام قال: يا علي هذا وصفك؛ فيدخل الخلفاء الثلاث، وسائر علماء الصحابة رضي الله تعالى عنهم، بل وسائر علماء الأمة.

(٢٣٣) التحفة الاثنا عشرية: ٢٠٧.

وعليه: فيكون معنى الآية: إنّما أنت منذر ولكلّ قوم في القديم والحديث إلى ما شاء الله تعالى هداة دعاء إلى الخير.

وظاهره أنّه لم يَحْمِلْ تقديم المعمول في خبر ابن عباس رضي الله تعالى عنهما على الحصر الحقيقي، وحينئذ لا مانع من القول بكثرة من يُهتدى به.

ويؤيّد عدم الحصر ما جاء عندنا من قوله صلى الله عليه وآله [وسلم]: (اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر) وأخبار أخر متضمّنة لإثبات من يُهتدى به غير عليّ كرم الله تعالى وجهه، وأنا أظنّك لا تلتفت إلى التأويل، ولا تعبأ بما قيل، وتكتفي بمنع صحّة الخبر وتقول: ليس في الآية ممّا يدلّ عليه عين ولا أثر»^(٢٣٤).

أقول:

وكلامهم حول هذا الحديث الشريف يكون في جهتين، جهة السند، وجهة الدلالة، ونحن نتكلّم على كلتا الجهتين، بالنظر إلى الكلمات المذكورة، لتظهر الحقيقة لكلّ منصف حرّ... .

(٢٣٤) روح المعاني ١٣ : ١٠٨.

١ - كلماتهم في ما يتعلّق بالسند

أمّا من جهة سند الحديث، فكلماتهم مضطربة جدّاً، فهم بعدما لا يذكرون إلاّ أحد أسانيده فقط، يختلفون في الحكم عليه بين مشكّك في الصحّة، كأبي حيّان، يقول: «إن صحّ» والآلوسي: «أجيب: لا نسلم صحّة هذا الحديث»، وبين قائل بوضعه، كابن الجوزي، إذ يقول: «هذا من موضوعات الرفضة»، وبين منكر لأصل وجوده في تفاسيرهم، كابن روزبهان.

* فأول ما في هذه الكلمات: إنّها ناظرة إلى حديث ابن عبّاس، فلاحظ زاد المسير والبحر المحيط وميزان الاعتدال والتحفّة الاثنا عشرية حيث اقتصرنا فيها على رواية ابن عبّاس، محاولةً منهم - بعد فرض كونه ضعيفاً - للطعن في أصل الحديث... وهذا الأسلوب من أبي الفرج بن الجوزي - خاصّةً - معروف... ولذا لا يعبأ المحقّقون بحكمه على الأحاديث بالوضع إلاّ أن يثبت عندهم ذلك بدليل قطعي... ومن هنا نرى أنّ أبا حيّان - مثلاً - يكتفي بالتشكيك في الصحّة ولا يجراً على الحكم بالضعف، فضلاً عن الوضع.

* ثمّ إنّهم ما ذكروا أيّ دليل على ضعف سند الحديث عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس، فضلاً عن كونه موضوعاً، ومن الواضح أن مجرد الدعوى لا يكفي لردّ أيّ حديث من الأحاديث مطلقاً. أمّا كونه من روايات الثعلبي في تفسيره، أو الديلمي في الفردوس، لوجود الموضوعات الكثيرة فيهما، فلا يكفي دليلاً على سقوط الحديث، كما لا يكفي دليلاً على ثبوته.

والذي يظهر من الذهبي في ميزان الاعتدال حيث أورده بترجمة «الحسن بن الحسين العرني» أنّ سبب الضعف كون هذا الرجل في طريقه، لكنّه لمّا رأى أنّ الطبري يرويّه بسنده عنه عن معاذ بن مسلم، عدل عن ذلك قائلاً «معاذ نكرة، فلعلّ الآفة منه»!!

لكنّ «الحسن بن الحسين العرني» وثقّه الذهبي تبعاً للحاكم^(٢٣٥) فصحّ الحديث وبطل ما صنعه في (الميزان)، وأمّا «معاذ» فليس بنكرة كما عبّر هنا، ولا مجهول كما عبّر بترجمته، بل هو معرفة حتّى عنده كما ستعرف.

وبعد، فإنّ الاقتصار على سند واحد للحديث، أو نقله عن كتاب واحد من الكتب، ثمّ ردّ أصل الحديث وتكذيبه من الأساس خيانة للدين، وتلبيس للحقيقة، وتضييع للحقّ، وتخديع للقارئ...!

(٢٣٥) المستدرک وتلخيصه ٣ : ٢١١.

* وسواء صحَّ الحديث عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، أو لم يصحَّ، بل حتَّى لو لم يصحَّ عن ابن عباس شيء في الباب، ففي رواية الصحابة الآخرين كفاية لذوي الألباب.

بل تكفي الرواية فيه عن أمير المؤمنين عليه السلام:

● فأما رواية عبّاد بن عبدالله الأسدي عنه عليه السلام، فأخرجها الحاكم في المستدرک وصحَّحها،

وهي:

عن أبي عمرو بن السمّك، المتوفى سنة ٣٤٤، وصفه الذهبي بـ«الشيخ الإمام المحدث، المكثّر الصادق، مسند العراق...»^(٢٣٦).

عن عبدالرحمن بن محمّد الحارثي، الملقّب بـ«كُرْبُزَان»، المتوفى

سنة ٢٣١، وصفه الذهبي بـ«المحدث المعمر البقيّة» ثمّ نقل عن ابن أبي حاتم قوله: «كتبت عنه مع أبي تكلّموا فيه، وسألت أبي عنه فقال: شيخ». قال: «وقال الدارقطني: ليس بالقوي»^(٢٣٧); ومن هنا أورده في

ميزان الاعتدال.

لكن تعقّب الحافظ ابن حجر بقوله: «وذكره ابن حبان في (الثقات) وقال: حدّثنا عنه ابنه محمّد بن عبدالرحمن بالبصرة؛ وقال إبراهيم بن محمّد: كان موسى بن هارون حسن الرأي فيه. وحدّث أيضاً عن: معاذ بن هشام، وقريش بن أنس، ووهب بن جرير.

وعنه: ابن صاعد، وابن مخلد، والصفّار، وأبو بكر الشافعي، وآخرون.

وقال ابن الأعرابي: مات في ذي الحجّة سنة ٢٧١.

وقال مسلمة بن قاسم: ثقة مشهور»^(٢٣٨).

قلت:

فالرجل ثقة، لا سيّما وأنّه شيخ أبي حاتم الرازي، وقد سأله عنه ابنه فلم يقده فيه، بل قال: «شيخ» وقد نصّ الذهبي نفسه على أنّ أبا حاتم متعنّت في الرجال^(٢٣٩) مضافاً إلى توثيق ابن هارون ومسلمة وابن حبان وغيرهم، ورواية جماعة من الأئمّة عنه، ورضاهم إيّاه، فلا أثر لقول الدارقطني: «ليس بالقوي».

(٢٣٦) سير أعلام النبلاء ١٥ : ٤٤٤.

(٢٣٧) سير أعلام النبلاء ١٣ : ١٣٨.

(٢٣٨) لسان الميزان ٣ : ٤٣١.

(٢٣٩) سير أعلام النبلاء ١٣ : ٢٦٠.

عن حسين بن حسن الأشقر، وهذا الرجل قد ترجمنا له في مباحث آية التطهير، وآية المودّة، وأثبتنا وثاقته وصدقه عن: أحمد بن حنبل، والنسائي،

ويحيى بن معين، وابن حبان، وإمّا ذنبه الوحيد عند الذهبي ومَن على مذهبه كونه من الشيعة، وقد تقرّر أنّ التشيع غير مضرّ بالوثاقة، كما في مقدّمة فتح الباري في شرح البخاري وغيره، وبيّنّا ذلك في مقدّمات البحث... .

عن منصور بن أبي الأسود، قال الحافظ: «صدوق، رمي بالتشيع» واضعاً عليه علامة: أبي داود، والترمذي، والنسائي^(٢٤٠).

عن الأعمش، سليمان بن مهران، المتوفّى سنة ١٤٧ أو ١٤٨؛ قال الحافظ: «ثقة حافظ» وهو من رجال الصحاح الستّة^(٢٤١).

عن المنهال بن عمرو، وهو من رجال البخاري والأربعة. قال الحافظ: «صدوق، ربّما وهم»^(٢٤٢).
عن عبّاد بن عبد الله الأسدي، وهو من أعلام التابعين، وقد روى القوم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم قوله: «خير الناس قرني، ثمّ الذين يلونهم»^(٢٤٣) وعلى هذا الأساس قالوا بعدالة التابعين كالصحابّة.
وقد أخرج النسائي عن عبّاد في خصائص عليّ عليه السلام من سننه، وقد قالوا بأنّ للنسائي شرطاً في الصحيح أشدّ من شرط البخاري ومسلم^(٢٤٤)، إلّا أنّ غير واحد من القوم تكلموا في الرجل لروايته عن عليّ عليه السلام بعض فضائله كقوله: «أنا الصديق الأكبر»^(٢٤٥).

فالحقُّ: صحّة هذا الحديث كما قال الحاكم، وقول الذهبي في تلخيصه بكذبه باطل.

● وأمّا رواية عبدخير، عنه عليه السلام، فهي في مسند أحمد، وقد حكم الحافظ الهيثمي بأنّ رجالها ثقات... وقد عرفت - من ترجمة رجالها - كونهم ثقات عند الكلّ، فكان على القوم نقل هذا الرواية - قبل غيرها من الروايات - في ذيل الآية المباركة، وتفسيرها بها، لا بقول زيد وعمرو من المفسّرين بأرائهم، لكنّهم لم يفعلوا هذا، لما في قلوبهم من المرض، توصلاً لما أشرنا إليه من الغرض!!

نعم، وجدنا ابن كثير يذكره بتفسير الآية، فهو بعد أن ذكر الحديث عن ابن عبّاس برواية ابن جرير الطبري، قال: «في هذا الحديث نكارة شديدة»!! رواه عن ابن أبي حاتم بسنده عن عبدخير عن

(٢٤٠) تقريب التهذيب ٢ : ٢٧٥.

(٢٤١) تقريب التهذيب ١ : ٣٣١.

(٢٤٢) تقريب التهذيب ٢ : ٢٧٨.

(٢٤٣) جامع الأصول ٨ : ٥٤٧ - ٥٥٠ ف ١ ب ٤ في فضائل الصحابة.

(٢٤٤) تذكرة الحفاظ ٢ : ٧٠٠.

(٢٤٥) لاحظ: هامش تهذيب الكمال ١٤ : ١٣٩.

عليّ، وهو السند الوارد في مسند أحمد، وأضاف ابن كثير: «قال ابن أبي حاتم: وروي عن ابن عباس - في إحدى الروايات - وعن أبي جعفر محمد بن عليّ نحو ذلك».

وقد كان على ابن كثير - الذي قال عن حديث الطبري ما قال بغير حقّ - أن يعترف بصحة هذا الحديث ويجعله الأصل في تفسير الآية، لكنّه لم يفعل هذا، لما بين جنبه من الروح الأمويّة!! ثمّ جاء بعض المتقولين في عصرنا فأورد كلام ابن كثير بعد رواية الطبري واعتمده، موهماً اقتصار ابن كثير على تلك الرواية، مع أنّه عقّبها برواية ابن أبي حاتم بسنده الصحيح عن عبدخبر، ولم يتكلّم عليها بشيء، وسكوته دليلٌ على قبوله وإلاّ لتكلّم عليها كما صنع بالنسبة إلى رواية ابن جرير.

فهكذا يريد المتقولون أن يردّوا على كتب أصحابنا ويبتلوا أدلّتنا!!

وتلخّص: أنّ للحديث أسانيد صحيحة متعدّدة من طرق أهل السنّة، وفيها ما اعترف الأئمّة بصحّته. إذاً لا مجال لأية مناقشة فيه من هذه الناحية، والحديث - مع وروده من طرق أصحابنا عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام - مقطوع بصدوره عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم... .

تنبيهات

الأول: إنّه قد ظهر ممّا حقّقناه صحّة هذا الحديث بطرق عديدة، فقول ابن تيميّة: «إنّ هذا كذب موضوع باتّفاق أهل العلم بالحديث، فيجب تكذيبه وردّه» هو الكذب والباطل، ولكنّ ابن تيميّة معروف - لدى أهل العلم بالحديث - بتعمّده للكذب في مثل هذا الموضع، اللهمّ إلاّ أن يكون مقصوده من «أهل العلم بالحديث» نفسه وبعض أتباعه!!

الثاني: لا يخفى أنّ حديثنا هذا غير مدرج أصلاً في كتاب الموضوعات لابن الجوزي، ولا في غيره ممّا بأيدينا من الكتب المؤلّفة في الأحاديث الموضوعية، كما أنّنا لم نجد في كتابه العلل المتناهية في الأحاديث الواهية.

ومن هنا أيضاً يمكن القول ببطلان حكمه على الحديث بالوضع في (تفسيره)، اللهمّ إلاّ أن يكون مقصوده خصوص حديث ابن عباس الذي ذكره، فَيَرِدُ عليه حينئذ ما تقدّم من أنّ الاقتصار على طريق غير معتبر - بزعمه - مع وجود طرق أخرى له صحيحة، غير جائز، لا سيّما في تفسير الآيات القرآنية، فكيف لو ذُكر الطريق غير المعتبر ثمّ رمي أصل الحديث بالوضع!!

الثالث: إن قول البعض - في ردّ رواية الثعلبي - بأن «الثعلبي حاطب ليل» جاء تقليداً لابن تيمية، فإنه الذي رماه بذلك في كتابه **منهاج السنة**، وقد قدّمنا سابقاً ترجمة الثعلبي والثناء بالجميل عليه، عن أوثق مصادر القوم.

وإنّ كلامه حول سند رواية الطبري يشتمل على تعصّب وجهل كثير، وفيما يلي توضيح ذلك:
١ - لقد اقتصر في «عطاء بن السائب» على كلام أبي حاتم، ومع ذلك ففيه التصريح بكونه صدوقاً، وكذلك نصّ غير واحد من الأئمة على صدقه وثقته، حتّى قال أحمد: «ثقة ثقة، رجل صالح» نعم ذكروا أنّه اختلط في آخر عمره، ويكفي أنّه قد أخرج له البخاري والباقون سوى مسلم^(٢٤٦).

٢ - جاء في **تفسير الطبري**: «حدّثنا معاذ بن مسلم، حدّثنا الهروي، عن عطاء بن السائب» وهذا غلط من النسخة، بل الصحيح هو: حدّثنا معاذ ابن مسلم الهراء، وهو يروي عن عطاء بلا واسطة، كما لا يخفى على من راجع أسانيد الحديث في الفصل الأول، ولم يلتفت البعض إلى ذلك، ثمّ إنّ توهم أنّ «الهروي» هو «أبو الصلت» ولم يفهم بأنّ أبا الصلت الهروي وفاته سنة ٢٣٦^(٢٤٧) وقد توفّي عطاء بن السائب سنة ١٣٦^(٢٤٨)، فالصحيح ما ذكرناه من أنّ النسخة مغلوطة. وأمّا طعنه في أبي الصلت الهروي فسيأتي الجواب عنه في البحث عن حديث «أنا مدينة العلم وعليّ بابها».

٣ - ومعاذ بن مسلم، قال الذهبي في **(الميزان)**: «معاذ بن مسلم، عن شرحبيل بن السمط. مجهول. وله عن عطاء بن السائب خبر باطل سقناه في الحسن بن الحسين»^(٢٤٩).

قلت:

قد ذكرناه في الفصل الثالث، ولا يخفى أنّ كلام الذهبي في الموضوعين ممّا يشهد بروايته عن عطاء بلا واسطة.

فالذهبي يقول في **(الميزان)**: «مجهول» و«نكرة» لكنّه في **سير أعلام النبلاء** يترجم لمعاذ قائلاً: «معاذ بن مسلم شيخ النحو، أبو مسلم الكوفي الهراء، مولى محمّد بن كعب القرظي، روى عن عطاء بن السائب وغيره، وما هو معتمد في الحديث، وقد نقلت عنه حروف في القراءات، أخذ عنه الكسائي، ويقال إنّ صنّف في العربية، ولم يظهر ذلك، وكان شيعياً، معمرًا... وكان معاذ صديقاً للكميّ الشاعر، يقال

(٢٤٦) لاحظ الكلمات في حقّه في: تهذيب الكمال ٢٠ : ٨٦.

(٢٤٧) سير أعلام النبلاء ١١ : ٤٤٨.

(٢٤٨) سير أعلام النبلاء ٦ : ١١٣.

(٢٤٩) ميزان الاعتدال ٤ : ١٣٢.

عاش تسعين عاماً، وتوفي سنة ١٨٧، وله شعر قليل. والهراء هو الذي يبيع الثياب الهروية، ولولا هذه الكلمة السائرة لما عرفنا هذا الرجل، وقل ما روى»^(٢٥٠).

قلت:

فالرجل ما هو مجهول، إلا أنهم يحاولون ردّ فضائل أهل البيت عليهم السلام وهذا من طرائقهم، وإذ عرفه الذهبي قال هذه المرّة: «وما هو بمعتمد في الحديث» لغير سبب إلا أنه «كان شيعياً». نعم هو من رواة الشيعة وثقاتهم كما في كتبهم، والتشيع غير قاذح كما تقرّر غير مرّة.

٤ - وكما ناقض الذهبي نفسه في (معاذ) فقد ناقض نفسه في (الحسن بن الحسين العرني)، فقد وثّقه في تلخيص المستدرک، كما تقدّم في الفصل الثالث.

٥ - و«أحمد بن يحيى الصوفي» شيخ الطبري وابن عقدة، لا ذكر له في (الميزان) وليس «الكوفي الأحول» بل جاء بنفس العنوان عند ابن أبي حاتم مع التوثيق الصريح^(٢٥١).

فما هو رأي القارئ في هذا الجهل أو التلبيس؟!

فتلخص: صحّة حديث الطبري في تفسيره، فتبصر واغتنم هذا التحقيق، وبالله التوفيق.

(فإذا جاء أمر الله فُضي بالحق وخسر هنالك المبطلون)^(٢٥٢).

هذا تمام الكلام في الجهة الأولى.

فلنتقل إلى الجهة الثانية... .

(٢٥٠) سير أعلام النبلاء ٨ : ٤٨٢.

(٢٥١) الجرح والتعديل ٢ : ٨١.

(٢٥٢) سورة غافر ٤٠ : ٧٨.

٢ - مناقشاتهم في الدلالة

ولنا هنا مواقف مع ابن تيميّة، وأبي حيّان، وابن روزبهان، والدهلوي، والآلوسي.

* أمّا أبو حيّان فقال:

«وإن صحّ ما روي عن ابن عبّاس ممّا ذكرناه في صدر هذا الآية، فإنّما جعل الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم عليّ بن أبي طالب مثلاً من علماء الأئمة وهداتها، فكأنّه قال: أنت يا عليّ هذا وصفك؛ ليدخل في ذلك أبو بكر وعمر...».

قلت:

وهذا تأويل باردٌ جدّاً، على أنّه لماذا جعل صلّى الله عليه وآله وسلّم عليّاً مثلاً من علماء الأئمة وهداتها ولم يجعل غيره؟! ولو أراد رسول الله ذلك لما جعل أحداً مثلاً، بل قال: أنا المنذر وعلماء أمتي هداة، أو قال: أنا المنذر وأصحابي كلّهم هداة، كما عارض البعض هذا الحديث بحديث: أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم، كما سيأتي.

وعلى الجملة: فقد كان أبو حيّان أجلاً من أن يقول هذا الكلام، لكنّ كلّ السعي هو إنكار الخصوصيّة الثابتة لأمر المؤمنين عليه السلام من هذا الحديث «ليدخل أبو بكر وعمر...» كما قال!! ولذا قال الآلوسي بعد نقله: «وظاهره: أنّه لم يحتمل تقديم المعمول في خبر ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما على الحصر الحقيقي، وحينئذ لا مانع من القول بكثرة من يهتدى به» ثمّ أضاف: «ويؤيد عدم الحصر ما جاء عندنا من قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: اقتدوا باللذين من بعدي...».

ولكن أنّى يمكن صرف الحديث عن ظاهره بارتكاب التأويل بلا أيّ دليل؟!

وأما الحديث الذي ذكره فسيأتي الكلام عليه.

* وأمّا ابن روزبهان فقال:

«لو صحّ دلّ على أنّ عليّاً هاد، وهو مسلّم، وكذا أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هداة؛ لقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: أصحابي كالنجوم...».

قلت:

سيأتي الكلام على حديث النجوم ببعض التفصيل.

* وأما الدهلوي فقال:

«لا دلالة فيها على إمامة الأمير ونفي الإمامة عن غيره أصلاً قطعاً؛ لأنَّ كون الشخص هادياً لا يلزم إمامة...».

قلت:

يتلخَّص كلامه في نفي الدلالة على الإمامة بنفي الملازمة بينها وبين الهداية، ويستتضح الجواب عن ذلك.

* وأما الآلوسي فقال:

«وليس في الآية دلالة على ما تضمَّنه بوجه من الوجوه، على أنَّ قصارى ما فيه كونه كرم الله تعالى وجهه به يهتدي المهتدون بعد رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلَّم، وذلك لا يستدعي إلا إثبات مرتبة الإرشاد، وهو أمر، والخلافة التي نقول بها أمر لا تلازم بينهما عندنا».

قلت:

هذا هو الوجه الذي قدَّمه على غيره في الجواب، ممَّا يظهر منه اعتماده عليه، وحاصله: نفي الملازمة، وهو ما أجاب به الدهلوي.

ثمَّ نقل عن بعضهم وجهاً آخر فقال: «وقال بعضهم: إن صحَّ الخبر يلزم القول بصحة خلافة الثلاثة، حيث دلَّ على أنَّه كرم الله تعالى وجهه على الحقِّ في ما يأتي ويذر، وأنَّه الذي يُهتدى به، وهو قد بايع أولئك الخلفاء طوعاً...».

لكنَّه لم يؤيِّد هذا الوجه بوجه، لعلمه بابتناء ذلك على دعوى أنَّه بايع القوم طوعاً، وأنَّه مدحهم وأثنى عليهم خيراً، ولم يطعن في خلافتهم، وهذا كُله أوَّل الكلام، وأصل النزاع والخصام... .

ثمَّ أورد تأويل أبي حيان، وأيَّده بحديث الاقتداء بالشيخين!

ثمَّ أبطله بقوله: «وأنا أظنُّك لا تلتفت إلى التَّأويل، ولا تعباً بما قيل، وتكتفي بمنع صحَّة الخبر، وتقول: ليس في الآية ممَّا يدلُّ عليه عين ولا أثر».

قلت:

أمَّا تأويل أبي حيَّان، فقد تكلمنا عليه.
وأمَّا تأييده بحديث الاقتداء، فسيُتضح بطلانه، بالبحث عن سند الحديث المذكور، ببعض التفصيل.

وبعد:

فإنَّ الحديث الشريف صحيح ثابت بأسانيد عديدة... فلا مجال للمناقشة في سنده؛ وأمَّا المناقشات المذكورة فتتلخَّص في نقاط:

- ١ - التَّأويل؛ وهذا باطل، «وأنا أظنُّك لا تلتفت إلى التَّأويل، ولا تعباً بما قيل» كما قال الآلوسي.
- ٢ - الاعتراف بظاهر الحديث ووجوب الأخذ به، وأنَّه ينبغي الاقتداء بمولانا أمير المؤمنين والجري على سننه، وذلك يستلزم القول بصحَّته خلافة الثلاثة، لأنَّه بايعهم طوعاً. ولكن كونه بايع طوعاً أوَّل الكلام كما هو معلوم، ولو كان ذلك ثابتاً لم يبق أيُّ خلاف ونزاع، ولما ارتكب القوم أنواع التمحَّلات والتأويلات وغير ذلك لصرَّف الحديث عن ظاهره.
- ٣ - إنَّه لا ملازمة بين «الهداية» و«الإمامة»، فتلك أمر وهذه أمر آخر، وهذا ما سيتبيَّن الجواب عنه لدى التحقيق في كلام ابن تيميَّة.
- ٤ - المعارضة بحديث: «أصحابي كالنجوم...» وحديث: «اقتدوا باللذين من بعدي...» وفي الفصل الرابع الجواب عن ذلك.

*** وأمَّا ابن تيميَّة:**

فهو أكثر القوم إطناباً في الكلام في هذا المقام، فقد ذكر وجوهاً... .
والجواب عن الوجهين الأوَّل والثاني منها: إنَّ هذا الحديث صحيح كما عرفت، وأنَّ رواته من كبار أئمَّة الحديث كثيرون، وفيهم من ينصُّ على صحَّته، فما ذكره هو الكذب.

وعن الثالث والرابع: إنه سوء فهم، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الهادي لعلي عليه السلام وللأمة كلها، لكن علياً عليه السلام هو الهادي للأمة من بعده، وهذا صريح قول النبي: «بك يهتدي المهتدون من بعدي».

وعن الثامن: إن الآية الكريمة تدل على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام بالنظر إلى الحديث الوارد في تفسيرها، فإذا فسر الحديث الصحيح الآية، كانت الآية من جملة الأدلة من الكتاب على الإمامة.

وعن السابع: بما سيحيى من أن حديث النجوم باطل حتى عند ابن تيمية، فقد ناقض نفسه باستدلاله به هنا!

وأما نفي الملازمة بين «الهداية» و«الإمامة» كما في هذا الوجه - السابع - وفي كلام الدهلوي وغيره، فلا يجدي، لما سنذكره في معنى الحديث والمراد من كون أمير المؤمنين عليه السلام هادياً... .

وذلك هو الجواب عن سؤاله - في الوجه السادس - : «كيف يجعل علي هادياً لكل قوم من الأولين والآخرين؟!».

وعن تكذيبه - في الوجه الخامس - «أن كل من اهتدى من أمة محمد فبه اهتدى»... .

وعما ذكره - في الوجه التاسع - من «أنه قوله كل قوم، صيغة عموم...».

* * *

معنى الآية المباركة

وقبل الورود في البحث نتأمل في معنى الآية الكريمة بالنظر إلى مداليل مفرداتها:

يقول تعالى: (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ).

أما كلمة «إِنَّمَا» فتدُلُّ على الحصر، ولا كلام في هذا، و«الإنذار» إخبارٌ فيه تخويفٌ كما أنَّ التبشير إخبارٌ فيه سرورٌ^(٢٥٣).

وقال القاضي البضاوي بتفسيرها: «(إنما أنت منذر) مرسلٌ للإنذار كغيرك من الرسل، وما عليك إلاَّ الإتيان بما تتضح به نبوتك»^(٢٥٤).

والآيات الواردة في هذا المعنى كثيرة، ففي بعضها الحصر بالألفاظ المختلفة الدالة عليه، كقوله تعالى: (إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ)^(٢٥٥).

و(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ)^(٢٥٦).

و(قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)^(٢٥٧).

و(إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا)^(٢٥٨).

وكقوله تعالى: (إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)^(٢٥٩).

و(إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ)^(٢٦٠).

و(إِنَّهُ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ)^(٢٦١).

وفي بعضها كون «الإنذار» العلة الغائية من إرساله بالكتاب ونزول الوحي عليه، كقوله تعالى:

(وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ)^(٢٦٢).

(٢٥٣) مفردات ألفاظ القرآن: ٧٩٧ «نذر».

(٢٥٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣٢٨.

(٢٥٥) سورة هود ١١ : ١٢.

(٢٥٦) سورة الحج ٢٢ : ٤٩.

(٢٥٧) سورة ص ٣٨ : ٦٥.

(٢٥٨) سورة النازعات ٧٩ : ٤٥.

(٢٥٩) سورة الأعراف ٧ : ١٨٨.

(٢٦٠) سورة فاطر ٣٥ : ٢٣.

(٢٦١) سورة سبأ ٣٤ : ٤٦.

(٢٦٢) سورة الأنعام ٦ : ١٩.

و(كتاب أنزل إليك... لتنذر به...) (٢٦٣).

و(وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً) (٢٦٤).

و(يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) (٢٦٥).

وحتى في أول البعثة خاطبه تعالى بقوله: (يا أيها المدثر * قم فأنذر) (٢٦٦) . . (أنذر عشيرتك الأقربين) (٢٦٧).

لقد دلت الآيات الكثيرة على أنّ وظيفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليس إلا «الإخبار» و«التبشير»، وكلاهما «إخبار»، غير أنّ الأول «فيه تخويف» والثاني «فيه سرور»، وكان وظيفته «الإخبار» فقط، أي: «الإبلاغ»، وهذا اللفظ

جاءت به الآيات الكثيرة أيضاً، مع الدلالة على الحصر كذلك، كقوله تعالى: (وما على الرسول إلا البلاغ) (٢٦٨).

و(فهل على الرسول إلا البلاغ المبين) (٢٦٩).

و(إن توليتم فاعلموا أنّما على رسولنا البلاغ المبين) (٢٧٠).

وهكذا غيرها من الآيات:

وأما قوله تعالى: (ولكل قوم هاد)، فمن جعل «الهادي» هو «رسول الله» صلى الله عليه وآله وسلم،

فقد جعل «الواو» عاطفةً، فيكون (هاد) عطفاً على (منذر) و(ولكل قوم) متعلق بـ(هاد).

أو يكون (هاد) خبراً لمبتدأ مقدر، أي: وأنت هاد.

لكن يردّ الأول: بأنّه يستلزم الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بالجار والمجرور، وهو غير جائز

عند المحققين من النحويين.

ويردّ الثاني: بأنّه مستلزم للتقدير، ومن الواضح أنّه خلاف الأصل.

على أنّ القول بأنّ «الهادي» في الآية هو «رسول الله» نفسه إغفالٌ للحديث الصحيح الوارد

بتفسيرها، الصحيح في أنّه عليٌّ عليه السلام، وبه يجاب عن قول من فسّر الآية برأيه، فجعل «الهادي» هو

«الله» أو «العمل» أو غير ذلك، وهي تفاسير باطلة لم يوافق عليها حتى ابن تيمية والآلوسي:

وعلى ما ذكرنا تكون «الواو» استئنافيةً.

(٢٦٣) سورة الأعراف ٧ : ٢.

(٢٦٤) سورة الفرقان ٢٥ : ٥٦.

(٢٦٥) سورة الأحزاب ٣٣ : ٤٥.

(٢٦٦) سورة المدثر ٧٤ : ١ و ٢.

(٢٦٧) سورة الشعراء ٢٦ : ٢١٤.

(٢٦٨) سورة المائدة ٥ : ٩٩.

(٢٦٩) سورة النحل ١٦ : ٣٥.

(٢٧٠) سورة المائدة ٥ : ٩٢.

فيكون معنى الآية: كون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ منذراً، ولكلِّ قوم هادٍ إلى ما جاء به النبي، وهو «عليٌّ» عليه السلام، الذي حفظ ونشر ما جاء به النبي، ودعا إلى الأخذ والعمل به، فكان عليه السلام الهادي بقوله وفعله إلى الله والإسلام بعد الرسول عليه وآله الصلاة والسلام. و«الهداية» هي: «إراءة الطريق» و«الدلالة» عليه^(٢٧١)، وقال ابن فارس: «هدي - الهاء والذال والحرف المعتل - : أصلان: أحدهما التقدم للإرشاد، والآخر: بعثة لطف، فالأول قولهم: هديته الطريق هدايةً، أي تقدمته لأرشده، وكلّ متقدّم لذلك هاد، قال:

إذا كان هادي الفتى في البلا *** د صدرَ القناة أطاعَ الأميراوينشعب هذا فيقال: الهُدى: خلاف الضلالة... .

والأصل الآخر: الهَدِيَّة...»^(٢٧٢).

أقول:

فإذا كان هذا معنى الآية المباركة، ورجعنا إلى الأحاديث الواردة في تفسيرها ووجدنا فيها:

- ١ - المقابلة بين النبي وبين أمير المؤمنين، بأنه منذرٌ وعليٌّ الهادي.
- ٢ - والحصص المستفاد من كلمة «أنت الهادي» و«الهادي عليٌّ».
- ٣ - والحصص المستفاد من تقديم الظرف في «بك يهتدي المهتدون».
- ٤ - والحصص المستفاد من الإيماء إلى صدره أو الضرب على منكبه.
- ٥ - وكلمة «بعدي» الظاهرة في المباشرة.

كانت الآية - بمعونة الأحاديث المشتملة على ما ذكرنا - دالةً على أن الله سبحانه جعل وظيفة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ «الإنذار» وكان وظيفة عليٍّ عليه السلام من بعده: إرشاد الأمة ودلالاتها على الطريق الصحيح المؤدّي إلى ما جاء به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فيكون عليه السلام الإمام المرشد للأمة، القائم مقام النبي، والمقتدى من بعده.

وهذه هي حقيقة الإمامة والخلافة.

(٢٧١) مفردات ألفاظ القرآن: ٨٣٥.

(٢٧٢) معجم مقاييس اللغة ٦ : ٤٢.

هذا، وقد فهم غير واحد من علماء القوم كابن تيمية وابن روزبهان والآلوسي، دلالة الحديث على وجوب الاقتداء بأمر المؤمنين عليه السلام بعد الرسول، وذلك قول الله عز وجل: (أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون) (٢٧٣).

نعم، فهموا ذلك، وإلا لما عارضوه بحديث: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» وحديث: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر»، لكنهما باطلان، فلو كانا صحيحين سنداً ودلالةً لكان لذلك وجه، وكما تمسك بعض المتقولين بما في منهاج السنة عن علي عليه السلام أنه قال: «لا أوتين بأحد يفضلني على أبي بكر إلا جلدته حد المفتري»!!

المؤكدات في ألفاظ الحديث:

ثم إن في ألفاظ الحديث الوارد بتفسير الآية المباركة مؤكّدات عديدة لدلالاتها على وجوب اتباع أمير المؤمنين والاقتداء به وإمامته بعد الرسول:

١ - كقوله صلى الله عليه وآله وسلم أنه سمع ليلة أُسري به: «يا محمد! إنما أنت منذر ولكل قوم هاد. قلت: أنا المنذر، فمن الهادي؟ قال: عليّ الهادي المهتدي، القائد أمتك إلى جنّتي غزاً محجّلين برحمتي».

ففيه وصف الإمام عليه السلام بعد «الهادي المهتدي» بـ«القائد أمتك...» مع مجيء اللام في «القائد» الدال على الحصر.

٢ - وقوله صلى الله عليه وآله وسلم له فيه: «إنك منار الأنام، وراية الهدى، وأمين القرآن، أشهد على ذلك أنك كذلك».

فجعله عليه السلام: «منار الأنام، وراية الهدى، وأمين القرآن» ثم شهد له بذلك!!

٣ - وقول الزرقاء الكوفية لمعاوية حين استشهدت بالآية المباركة، قالت: «المنذر رسول الله، والهادي عليّ وليّ الله».

أحاديث أخرى

ولقد أشار صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: «بك يا عليّ يهتدي المهتدون من بعدي» إلى أن في أمته من بعده «مهتدين» و«ضالّين»... فأناط «الهداية» و«الضلالة» به إلى يوم القيامة، فكان كالراية التي

تنصب على الطريق، من اهتدى بها وصل، ومن أعرض عنها ضلّ، فالمهتدون هم المحبّون المطيعون المتّبعون له، والضالّون هم المخالفون المبغضون له... ومن هنا وصفه عليه السلام بـ «راية الهدى».

عليّ راية الهدى:

ففي رواية الحاكم الحسكاني والحاكم أبي عبدالله وأبي نعيم، عن أبي برزة: «إنّك منار الأنام، وراية الهدى، وأمين القرآن».

وروى الحافظ أبو نعيم بسنده، عن أبي برزة أيضاً: «إنّ عليّاً راية الهدى، وإمام أوليائي، ونور من أطاعني، وهو الكلمة التي ألزمتها المتّقين، من أحبّه أحبّني، ومن أبغضه أبغضني»^(٢٧٤).

ولقوة هذا الحديث في الدلالة على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، تكلم بعض القوم في سنده بتحكّم؛ ففي لسان الميزان بترجمة «عباد بن سعيد الجعفي» بعد ذكره: «فهذا باطل، والسند إليه ظلمات»^(٢٧٥) وبترجمة «لاهبز أبو عمرو التيمي» حكى عن ابن عديّ أنّه يحدث عن الثقات بالمناكير، فذكر الحديث قائلاً: «وهذا باطل، قاله ابن عديّ» ثمّ قال: «قلت: إي والله من أكبر الموضوعات، وعليّ فلعن الله من لا يحبّه»^(٢٧٦).

وأنت ترى أنّه ردّ لمناقب أمير المؤمنين بلا دليل!

نعم، في الموضوع الثاني دليله هو اليمين الفاجرة!! وما أقواه من دليل!!

وممّا يدلُّ على تحكّم القوم في المقام: أنّ ابن عديّ يقول عن «لاهبز»: «يحدث عن الثقات بالمناكير» والحال أنّ الخطيب البغدادي يقول: «لم أرَ للاهبز بن عبدالله غير هذا الحديث» فأين «يحدث عن الثقات بالمناكير»؟!

ولمّا كان الخطيب يريد الطعن في الحديث، ولا دليل عنده، يقول: «حدّثني أحمد بن محمّد المستملي، أخبرنا محمّد بن جعفر الوراق، قال: أخبرنا أبو الفتح محمّد بن الحسين الأزدي الحافظ، قال: لاهز بن عبدالله التيمي البغدادي غير ثقة، ولا مأمون، وهو أيضاً مجهول»^(٢٧٧).

أقول:

(٢٧٤) حلية الأولياء ١ : ٦٦ - ٦٧، وانظر: تاريخ بغداد ١٤ : ٩٨ - ٩٩، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٣٣٠ ح ٨٨٩٢، نظم درر السمطين: ١١٤، وغيرها.

(٢٧٥) لسان الميزان ٣ : ٢٢٩.

(٢٧٦) لسان الميزان ٦ : ٢٣٧.

(٢٧٧) تاريخ بغداد ١٤ : ٩٩.

إن كان الدليل قول الأزدي فالأمر سهل، فقد نصوا على أن الأزدي نفسه ضعيف، ولا يلتفت إلى قوله في الرجال:

قال الذهبي: «لا يلتفت إلى قول الأزدي، فإن في لسانه في الجرح رهقاً»^(٢٧٨).

وقال الحافظ ابن حجر: «قدمت غير مرة: أن الأزدي لا يُعتبر تجريحه، لضعفه هو»^(٢٧٩).

هذا، وتؤيد هذا الحديث وتشهد بصحته أحاديث:

كقوله صلى الله عليه وآله وسلم - في حديث - : «إن تؤمروا علياً - ولا أراكم فاعلين - تجدوه هادياً مهدياً، يأخذكم الطريق المستقيم»^(٢٨٠).

وقوله: «من يريد أن يحيا حياتي، ويموت موتي، ويسكن جنة الخلد التيوعدي ربي، فليتول علي بن أبي طالب، فإنه لن يخرجكم من هدى، ولن

يدخلكم في ضلالة» قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد»^(٢٨١).

وقوله: «إن علياً مدينة هدى، فمن دخلها نجا، ومن تخلف عنها هلك»^(٢٨٢).

عليّ العَلَم:

وكما وصفه بـ«راية الهدى» فقد وصفه بـ«العَلَم»:

أخرج الحافظ ابن عساكر بترجمته عليه السلام: «أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم النسيب، أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي الخطيب، أخبرني أبو الفرج الطنجيري، أنبأنا عمر بن أحمد الواعظ، أنبأنا محمّد بن محمود الأنباري بالبصرة، أنبأنا محمّد بن القاسم بن هاشم، أنبأنا أبي أنبأنا عبدالصمد بن سعيد أبو عبدالرحمن، أنبأنا الفضل بن موسى، عن وكيع، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن حذيفة، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله [وآله] وسلم لعليّ: جعلتك علماً فيما بيني وبين أمّتي، فمن لم يتبعك فقد كفر». ثم قال ابن عساكر: «من بين الفضل والواعظ مجاهيل لا يعرفون»^(٢٨٣).

قلت:

(٢٧٨) ميزان الاعتدال ١ : ٦١.

(٢٧٩) مقدمة فتح الباري: ٤٣٠.

(٢٨٠) مسند أحمد ١ : ١٧٤ / ٨٦١.

(٢٨١) المستدرک على الصحيحين ٣ : ١٢٨.

(٢٨٢) ينابيع المودة ١ : ٢٢٠ / ٣٩.

(٢٨٣) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٣٨٧ - ٣٨٨.

وهذا منه سهوٌ، إن لم يكن تجاهلاً، كما هي عادتهم في قبال مناقب أمير المؤمنين!! وذلك لأنَّ محمّد بن محمود الأنباري - وهو شيخ أبي حفص عمر بن أحمد بن شاهين الواعظ الحافظ - مترجمٌ في تاريخ الخطيب، قال:

«محمّد بن محمود الأنباري، حدّث عن علي بن أحمد بن النضر الأزدي، ومحمّد بن الحسن بن الفرّج الهمذاني، ومحمّد بن حنيفة بن ماهان الواسطي، ومحمّد بن القاسم بن هاشم السمسار. روى عنه أبو حفص بن شاهين، ذكر أنّه سمع منه بالبصرة»^(٢٨٤).

ومحمّد بن القاسم بن هشام، هو: أبو بكر السمسار، ترجم له الخطيب، قال: «حدّث عن أبيه... وكان ثقة»^(٢٨٥).

وأبو: القاسم بن هاشم، ترجم له الخطيب أيضاً، قال: «... روى عنه ابنه وأبو بكر ابن أبي الدنيا، ووكيع القاضي، ويحيى بن صاعد، وأبو عبيد بن المؤمل الناقد، والقاضي المحاملي، ومحمّد بن مخلد. وكان صدوقاً»^(٢٨٦).

وأما عبدالصمد بن سعيد، الراوي عن الفضل بن موسى البصري، مولى بني هاشم، المتوفى سنة ٢٦٤، فأظنّه: عبدالصمد بن سعيد الكندي الحمصي، المتوفى سنة ٣٢٤، ترجم له الذهبي ووصفه بـ«المحدّث الحافظ»^(٢٨٧).

هذا، وروى الفقيه المحدّث ابن المغازلي الواسطي الشافعي عن أبي محمّد الغندجاني بسنده «عن شعبة بن الحجّاج، عن أبي التياح، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: أتاني جبريل بدرنوك من درانيك الجنّة فجلست عليه، فلمّا صرت بين يدي ربّي كلّمني وناجاني، فما علّمني شيئاً إلّا علّمه عليّ، فهو باب مدينة علمي.

ثمّ دعاه النبيّ إليه فقال له: يا عليّ! سلمك سلمي، وحربك حربي، وأنتالعلم ما بيني وبين أمّتي من بعدي»^(٢٨٨).

يأخذ بكم الطريق المستقيم:

(٢٨٤) تاريخ بغداد ٣ : ٢٦١.

(٢٨٥) تاريخ بغداد ٣ : ١٨٠.

(٢٨٦) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٣٠.

(٢٨٧) سير أعلام النبلاء ١٥ : ٢٦٦.

(٢٨٨) مناقب علي بن أبي طالب: ٧٣ / ٥٠.

ومن هنا أوصى الأمة وأرشدهم إليه بقوله في حديث: «وإن تؤمروا علياً - ولا أراكم فاعلين - تجدوه هادياً مهدياً، يأخذكم الطريق المستقيم»^(٢٨٩).

وقال - في ما رواه السيّد الهمداني عن ابن عباس - : «وإذا خالفتموه فقد ضلّت بكم الطرق والأهواء في الغي»^(٢٩٠).

بل وصفه بـ«الطريق» في ما روي مسنداً عن سعيد بن جبير عن ابن عباس^(٢٩١).

طاعته طاعة رسول الله:

ولذا كانت طاعته طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه لئن أطاعوه ليدخلنّ الجنّة، كما في الحديث:

أخرج الحاكم بسنده عن أبي ذرّ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن عصى علياً فقد عصاني» قال الحاكم: «هذا حديث صحيح

الإسناد» ووافقه الذهبي^(٢٩٢).

من فارقه فارق رسول الله:

ولذا كان الفاروق بين الحقّ والباطل، كما في الحديث المشهور، وأنّ من فارقه فقد فارق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما في الحديث:

أخرج الطبراني في الأوسط - وعنه الهيثمي - بإسناده عن بريدة، في قضية بعث عليّ عليه السلام أميراً على اليمن عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أنّه قال: «ما بال أقوام ينتقصون علياً؟! من تنقّص علياً فقد تنقّصني، ومن فارق علياً فقد فارقني، إنّ علياً منّي وأنا منه...»^(٢٩٣).

وأخرج الحاكم بإسناده عن أبي ذرّ، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يا عليّ! من فارقني فارق الله، ومن فارقك يا عليّ فقد فارقني» قال الحاكم: «صحيح الإسناد»^(٢٩٤) وأخرجه البزار، وعنه الهيثمي، وقال: «رجاله ثقات»^(٢٩٥).

(٢٨٩) مسند أحمد ١ : ١٧٤ / ٨٦١.

(٢٩٠) مودّة القرى، عنه يبايع المودّة ٢ : ٢٨٥ / ٨١٦.

(٢٩١) شواهد التنزيل ١ : ٥٨ / ٨٨، المناقب - للخوارزمي المكي -، عنه يبايع المودّة ١ : ٣٩٧ / ١٧.

(٢٩٢) المستدرک على الصحيحين ٣ : ١٢١.

(٢٩٣) مجمع الزوائد ٩ : ١٢٨.

عليّ منه بمنزلته من ربّه:

ولذا كان عليّ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بمنزلته من ربّه.

فقد أخرج الحافظ المحبّ الطبري عن ابن عباس، في حديث «قال

أبو بكر: ما كنت لأتقدّم رجلاً سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يقول: عليّ منّي بمنزلي من ربّي. أخرجه ابن السّمّان في كتاب الموافقة»^(٢٩٦).

ورواه الذهبي عن ابن مسعود، بترجمة محمّد بن داود الرملي، فقال: «هذا من وضع هذا

الجاهل، رواه أبو عروبة، عن مخلد بن مالك السلمسي، عنه»^(٢٩٧)!

فانظر كيف يردّ الحديث بلا أيّ دليل، وإمّا تبعاً لهواه!!

باب حطّة:

ولذا كان باب حطّة، في ما أخرج الحافظ الدارقطني عن ابن عباس، أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله

وسلّم قال: «عليّ باب حطّة، من دخل فيه كان مؤمناً، ومن خرج منه كان كافراً»^(٢٩٨).

وأخرجه الحافظ الطبراني في حديث فيه تشبيه أهل بيته بسفينة نوح وباب حطّة في بني

إسرائيل^(٢٩٩).

* * *

(٢٩٤) المستدرک علی الصحیحین ٣ : ١٢٣.

(٢٩٥) مجمع الزوائد ٩ : ١٣٥.

(٢٩٦) ذخائر العقبی: ١٢٠.

(٢٩٧) میزان الاعتدال ٣ : ٥٤٠، وتبعه ابن حجر في لسانه ٥ : ١٦١.

(٢٩٨) الجامع الصغير ٢ : ١٧٧ / ٥٥٩٢، الصواعق المحرقة: ١٩٣، كنز العمال ١١ : ٦٠٣ / ٣٢٩١٠.

(٢٩٩) المعجم الصغير ١ : ١٣٩.

نتيجة البحث

إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وصف عليّاً عليه السلام بـ«الهادي» و«الراية» و«العَلَم» وغير ذلك من الأوصاف ممّا ذكرناه وما لم نذكره، وكلّها تشير إلى معنى واحد ومقصد فارد، وهو كونه «القائد» و«المُرشد» و«المُتَّبِع»... للأمة الإسلامية من بعده بلا فصل... وهذا هو معنى «الإمامة العامة» و«الولاية المطلقة» و«الخلافة العظمى»... .

ومن هذا الباب وصفه صلى الله عليه وآله وسلّم بـ«قسيم الجنة والنار»، وجعله ميزاناً ومعياراً يُعرف به المؤمن من المنافق والكافر، والحقّ من الباطل في أحاديث كثيرة. وأيضاً: فقد كان عليه السلام حجةً لله تعالى على خلقه، في حديث أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد^(٣٠٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق بأسانيد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم^(٣٠١) ولم يتكلّم في سنده إلاّ في «مطر» راويه عن أنس؛ لكنّه من التابعين، ومن رجال ابن ماجه، والظاهر من كلماتهم أنّ السبب في ترك حديثه روايته الفضائل عن أنس بن مالك، فلا جرح في الرجل، غير أنّ رواياته ليست على هواهم، ولذا لمّا أورد الذهبي هذا الحديث في (الميزان) قال: «هذا باطل، والمتّهم به مطر، فإنّ عبيدالله ثقة شيعي، ولكنّه أثم برواية هذا الإفك»^(٣٠٢)!

فمن هذا الكلام يظهر أنّ عبيدالله بن موسى العبسي، الراوي عن «مطر» ثقة، و«مطر» نفسه لم يُرمَ بشيء غير أنّ الحديث «باطل»!!

أمّا ابن حجر فلم يورد الرجل في لسان الميزان لكونه من رجال الصحاح الستّة. وعلى الجملة، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يُعرف أمير المؤمنين بالإمامة من بعده بثبوت الأساليب، فتارةً يصرّح في حقّه بالإمامة والوصاية ونحوهما، وأخرى يصفه بالأوصاف المستلزمة لذلك، وأخرى يشبّهه بما يفيد به كلّ وضوح... وهكذا.

وبهذا ظهر معنى الآية الكريمة، ومدلول الحديث الشريف، وكيفية استدلال أصحابنا بذلك في إثبات الإمامة... .

(٣٠٠) تاريخ بغداد ٢ : ٨٨.

(٣٠١) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٣٠٩.

(٣٠٢) ميزان الاعتدال ٤ : ١٢٧ - ١٢٨.

وتبيّن الجواب عن التساؤلات المثارة حول الاستدلال، واندفاع الشبهات المذكورة.

ويبقى الكلام على المعارضات... .

و«المعارضة» طريق علمي فنّي يسلكه العلماء في مختلف البحوث العلمية والمسائل الخلافية،

لكنّها - كما هو واضح عندهم - فرع على «الحجّية» وإلاّ فلا معنى لأن تعارض الحجّة باللاحجة.

وقد احتجّ القوم في المقام بأحاديث، نذكرها ونبيّن أحوالها في الفصل الآتي.

الفصل الرابع

في الجواب عن المعارضة

وقد عقدنا هذا الفصل للتحقيق حول أحاديث يروونها في فضل أبي بكر، أو الشيخين، أو الصحابة قاطبةً، فحاول بعضهم أن يعارض بها الأحاديث الواردة في الآية المباركة^(٣٠٣) ونظائرها.

١ - حديثُ الاقتداء بالشيخين:

ذكر هذا الحديث في هذا المقام: الآلوسي في تفسيره روح المعاني.
وقد سبقه في الاستدلال به في مباحث الإمامة عدّة من أعلام القوم:

كالقاضي عضد الدين الإيجي في المواقف.

وشارحه الشريف الجرجاني في شرح المواقف.

والسعد التفتازاني في شرح المقاصد.

وابن تيمية في منهاج السنة.

وابن حجر المكي في الصواعق المحرقة.

وولي الله الدهلوي في قرّة العينين في تفضيل الشيخين، وابنه عبدالعزيز صاحب التحفة الاثنا

عشرية، وغيرهم.

كما تجد الاستدلال به في مسألة انعقاد الإجماع بأبي بكر وعمر، في كثير من كتب علم أصول
الفقه، نذكر منها: المختصر لابن الحاجب وشرحه، والمنهاج للبيضاوي وشرحه، ومسلم الثبوت للقاضي
البهاري وشرحه... .

هذا، وقد ظهر لنا - لدى التحقيق - أنّ الشهاب الآلوسي إنّما ينتحل في هذه المباحث مطالب
عبدالعزیز الدهلوي في كتاب التحفة الاثنا عشرية^(٣٠٤)، الذي اختصر ترجمته محمود شكري الآلوسي،
ونشره بعنوان مختصر التحفة الاثني عشرية.

(٣٠٣) سورة الرعد ١٣ : ٧.

(٣٠٤) كما ظهر لدى التحقيق أنّ كتاب «التحفة» منتحل من كتاب «الصواعق الموبقة» لنصر الله الكابلي.

التحقيق في أسانيده:

وعلى كل حال، فقد اقتضى استدلال بعضهم بهذا الحديث في هذا المقام لغرض المعارضة، أن نتكلم حوله ببعض التفصيل، ليتبين حاله فلا يعارض به شيء من أدلة أصحابنا في مختلف المجالات، فنقول:

هذا الحديث ممّا أعرض عنه البخاري ومسلم، ولم يخرج من أرباب السنن سوى الترمذي وابن ماجه، وأخرجه أحمد في مسنده والحاكم في المستدرک، ولم يرووه إلا عن حذيفة وابن مسعود.
* فرووه عن حذيفة بن اليمان لكن بأسانيد ينتهي جلّها إلى: «عبدالمملك بن عمير، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة»^(٣٠٥).

* و«عبدالمملك بن عمير» رجل مدلس، ضعيف جداً، كثير الغلط، مضطرب الحديث جداً، كما في كتب الرجال:

فقد قال أحمد: «مضطرب الحديث جداً مع قلة روايته، ما أرى له خمسمائة حديث وقد غلط في كثير منها».

وقال إسحاق بن منصور: «ضعفه أحمد جداً» وعن أحمد أيضاً: «ضعيف يغلط».

وقال ابن معين: «مخلط».

وقال أبو حاتم: «ليس بحافظ، تغيّر حفظه» وقال: «لم يوصف بالحفظ».

وقال ابن خراش: «كان شعبة لا يرضاه».

وقال الذهبي: «وأما ابن الجوزي، فذكره فحكي الجرح وما ذكر التوثيق».

وقال السمعاني وابن حجر: «كان مدلساً»^(٣٠٦).

ومن مساوئ هذا الرجل: أنّه ذبح رسول الإمام الحسين السبط الشهيد عليه السلام إلى أهل الكوفة، فإنّه لما رمي بأمر من ابن زياد من فوق القصر وبقي به رمق، أتاه عبدالمملك بن عمير فذبحه، فلمّا عيب عليه ذلك قال: إمّا أردت أن أريحه^(٣٠٧).

* ثمّ إنّ «عبدالمملك بن عمير» لم يسمع الحديث من «ربعي بن حراش» و«ربعي» لم يسمع من «حذيفة بن اليمان». ذكر ذلك المناوي حيث قال: «قال ابن حجر: اختلف فيه على عبدالمملك، وأعله

(٣٠٥) مسند أحمد بن حنبل ٦ : ٥٢٨ و ٥٣٣ / ٢٢٧٣٤ و ٢٢٧٦٥، صحيح الترمذي، باب مناقب أبي بكر وعمر ٦ : ٤٣ / ٣٦٦٢، سنن

ابن ماجه ١ : ٨٠ / ٩٧، باب مناقب أبي بكر، المستدرک على الصحيحين ٣ : ٧٥.

(٣٠٦) الأنساب «القبطي»، تهذيب التهذيب ٦ : ٣٦٤، ميزان الاعتدال ٢ : ٦٦٠، تقريب التهذيب ١ : ٥٢١، المغني في الضعفاء ٢ : ١٣ و فيه:

عبدالمملك بن عمرو.

(٣٠٧) تلخيص الشافي ٣ : ٣٥، روضة الواعظين ١ : ٤٠٥، مقتل الحسين: ٢٢٨.

أبو حاتم، وقال البزار كابن حزم:

لا يصحّ، لأنّ عبد الملك لم يسمعه من ربعي، وربعي لم يسمع من حذيفة»^(٣٠٨).

* ثمّ قال المناوي «لكن له شاهد».

قلت:

إن أُريد حديث ابن مسعود، كما هو صريح الحاكم والمناوي، فستعرف ما فيه. وإن أُريد حديث حذيفة بسند آخر عن ربعي، فهو ما رواه الترمذي عن «سالم بن العلاء المرادي، عن عمرو بن هرم، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة...»^(٣٠٩).

قلت:

مداره على «سالم بن العلاء المرادي» وقد ضَعَفَه ابن معين والنسائي وابن الجارود وابن حزم والذهبي وابن حجر وغيرهم^(٣١٠).

* وعن عبدالله بن مسعود عند الترمذي والحاكم، وهو بسند واحد، عن إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن سلمة بن كهيل، عن أبيه، عن جدّه، عن أبي الزعراء، عن عبدالله بن مسعود^(٣١١).

وإبراهيم، وأبوه، وجدّه، مقدوحون مجروحون جدّاً:

* أمّا «إبراهيم»:

فقد قال الذهبي: «لئنه أبو زرعة، وتركه أبو حاتم»^(٣١٢).

وحكى ابن حجر ذلك عن ابن أبي حاتم وأقرّه^(٣١٣).

وقال العقيلي: «عن مطين: كان ابن نمير لا يرضاه ويضعفه، وقال: روى أحاديث مناكير»، قال

العقيلي: «ولم يكن إبراهيم هذا يقيم الحديث»^(٣١٤).

* وأمّا «إسماعيل»:

فقد قال الدارقطني والأزدي وغيرهما: «متروك»^(٣١٥).

(٣٠٨) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٢ : ٥٦.

(٣٠٩) الجامع الكبير ٦ : ٤٥ / ٣٦٦٣.

(٣١٠) ميزان الاعتدال ٢ : ١١٢، الكاشف ١ : ٢٧١، تهذيب التهذيب ٣ : ٣٨١، لسان الميزان ٣ : ٧.

(٣١١) الجامع الكبير ٦ : ١٣٧ / ٣٨٠٥، المستدرک على الصحيحين ٣ : ٧٥.

(٣١٢) ميزان الاعتدال ١ : ٢٠، المغني في الضعفاء ١ : ١٧.

(٣١٣) تهذيب التهذيب ١ : ٩٢.

(٣١٤) تهذيب التهذيب ١ : ٩٢.

* وأما «يحيى بن سلمة» فقد كان أسوأ حالاً منهما:

فقد قال الترمذي: «يضعف في الحديث»^(٣١٦).

وقال المقدسي: «ضعفه ابن معين. وقال أبو حاتم: ليس بالقوي، وقال البخاري: في حديثه مناكير،

وقال النسائي: ليس بثقة، وقال الترمذي: ضعيف»^(٣١٧).

وقال الذهبي: «ضعيف»^(٣١٨).

وقال ابن حجر: «ذكره ابن حبان أيضاً في الضعفاء فقال: منكر الحديث جداً، لا يحتج به، وقال

النسائي في الكنى: متروك الحديث، وقال ابن نمير، ليس ممن يكتب حديثه، وقال الدارقطني: متروك، وقال

مرةً ضعيف، وقال العجلي: ضعيف»^(٣١٩).

أقول:

هذه عمدة أسانيد هذا الحديث.

وقد روي في بعض الكتب عن غير حذيفة وابن مسعود، مع التنصيص على ضعفه وسقوطه؛ فرواه

الهيثمي عن الطبراني، عن أبي الدرداء، فقال: «وفيه من لم أعرفهم»^(٣٢٠).

ورواه الذهبي عن عبدالله بن عمر، ونص على سقوطه بما لا حاجة إلى نقله، فراجع^(٣٢١).

كلمات الأئمة في بطلانه:

ولهذا... فقد نص كبار الأئمة الأعلام على سقوط هذا الحديث:

* فقد أعلّاه أبو حاتم الرازي، المتوفى سنة ٢٧٧، كما ذكر المناوي^(٣٢٢)، وأبو حاتم إمام عصره

والمرجوع إليه في مشكلات الحديث، وهو من أقران البخاري ومسلم... كما ذكروا بترجمته.

* وقال الترمذي - بعد أن أخرجه من حديث ابن مسعود -، «هذا حديث غريب من هذا الوجه

من حديث ابن مسعود، لا نعرفه إلا من حديث يحيى بن سلمة بن كهيل، ويحيى بن سلمة يضعف في

الحديث»^(٣٢٣).

(٣١٥) ميزان الاعتدال ١ : ٢٥٤، المغني في الضعفاء ١ : ١٣٤، تهذيب التهذيب ١ : ٢٩٣.

(٣١٦) الجامع الكبير ٦ : ١٣٨.

(٣١٧) الكمال في أسماء الرجال - مخطوط.

(٣١٨) الكاشف ٣ : ٢٢٦.

(٣١٩) تهذيب التهذيب ١١ : ١٩٧.

(٣٢٠) مجمع الزوائد ٩ : ٥٣.

(٣٢١) ميزان الاعتدال ١ : ١٠٥ و ص ١٤٢، ٣ : ٦١٠ - ٦١١.

(٣٢٢) فيض القدير ٢ : ٥٦.

* وقال الإمام الحافظ الكبير أبو بكر البزار، المتوفى سنة ٢٧٩: «لا يصح»، كما ذكر المناوي^(٣٢٤).

* وقال أبو جعفر العقيلي، المتوفى سنة ٣٢٢، وهو الإمام الكبير في الجرح والتعديل: «حديث منكر لا أصل له من حديث مالك»^(٣٢٥).

* وقال الحافظ الشهير ابن حزم الأندلسي، المتوفى سنة ٤٧٥: «أما الرواية: اقتدوا باللذين من بعدي... فحديث لا يصح...»^(٣٢٦).

وقال أيضا: «ولو أننا نستجيز التدليس... لاحتجنا بما روي اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر. ولكنه لم يصح، ويعيدنا الله من الاحتجاج بما لا يصح»^(٣٢٧).

* وقال الإمام العلامة قاضي القضاة برهان الدين العربي الفرغاني، المتوفى سنة ٧٤٣: «إن الحديث موضوع»^(٣٢٨).

* وقال الحافظ الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨، ببطلانه وسقوطه في مواضع من كتابه من ميزان الاعتدال في نقد الرجال، كما أنه تعقب الحاكم في تصحيحه وقال: «قلت: سنده واه جدا»^(٣٢٩).

* وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢، في لسان الميزان بما قاله الذهبي في ميزان الاعتدال في هذا الحديث^(٣٣٠).

* هذا، وقد عرفت تضعيف الحافظ الهيثمي الحديث برواية الطبراني.

* وأن العلامة المناوي ضعفه في فيض القدير.

* وأورده ابن درويش الحوت، المتوفى سنة ١٢٧٦ في كتاب أسنى المطالب فذكر أن: أبا حاتم أعلمه، وقال البزار - كابن حزم - : لا يصح... وقال الهيثمي: سندها واه^(٣٣١).

أقول:

(٣٢٣) الجامع الكبير ٦ : ١٣٨.

(٣٢٤) فيض القدير ٢ : ٥٦.

(٣٢٥) الضعفاء الكبير ٤ : ٩٥.

(٣٢٦) الإحكام في أصول الأحكام - المجلد ٢ - ٦ : ٢٤٢ - ٢٤٣.

(٣٢٧) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣ : ٢٧.

(٣٢٨) شرح المنهاج - مخطوط.

(٣٢٩) تلخيص المستدرک ٣ : ٧٥ - ٧٦.

(٣٣٠) لسان الميزان ١ : ١٨٨ و ص ٢٧٣، ٥ : ٢٣٧.

(٣٣١) أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب: ٦٥.

ولكنكف بهذا المقدار للدلالة على سقوط هذا الحديث الذي وضعوه في فضل الشيخين، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى رسالتنا فيه^(٣٣٢) ... وبالله التوفيق.

٢ - حديث الاقتداء بالصحابة:

وهو المعروف بحديث: «أصحابي كالنجوم...».

وقد ذكره في هذا المقام للمعارضة: ابن تيمية، وابن روزبهان، كلاهما في الردّ على استدلال العلامة الحليّ بحديثنا في كتابيه منهاج الكرامة ونهج الحقّ، وقد تقدّم كلامهما. كما أنّ الشيخ عبدالعزيز الدهلوي صاحب كتاب التحفة الاثنا عشرية عارض به حديث «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي» في مباحث الإمامة في تعليقه على كتابه المذكور^(٣٣٣).

وقد ذكر الأصوليون حديث النجوم في مباحث سنة الصحابي، ومباح الإجماع، من كتبهم في أصول الفقه، في مقابلة حديث: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر» وحديث: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي»^(٣٣٤).

التحقيق في أسانيد:

والحقيقة: إنّ كلّ تلك الأحاديث ساقطة، سنداً.

أمّا الحديث: اقتدوا باللذين... فقد عرفت حاله.

وأما الحديث: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين... فراجع رسالتنا فيه^(٣٣٥).

والكلام الآن في حديث: أصحابي كالنجوم... .

وهو حديث غير مخرّج في شيء من الصحاح والسنن والمسانيد المشهورة... وإمّا رواه ابن عديّ في الكامل في الضعفاء، والدارقطني في غرائب مالك، والقضاعي في مسند الشهاب، وابن عبد البرّ في جامع بيان العلم، والبيهقي في المدخل... .

(٣٣٢) الرسالة الثانية من كتابنا: الرسائل العشر في الأحاديث الموضوعية في كتب السنة، المطبوع سنة ١٤١٨، والمنشورة في مجلّة «تراثنا» العدد ٢٠ لسنة ١٤١٠ ضمن سلسلة الأحاديث الموضوعية رقم ٢.

(٣٣٣) كذا في عبقات الأنوار ٤ : ٥١٩، طبعة إيران.

(٣٣٤) شرح المختصر - لابن الحاجب - ١ : ٥٧٢، الإبهاج في شرح المنهاج ٢ : ٣٦٧، التقرير والتحبير في شرح التحرير ٣ : ٩٨، فواتح الرحموت في شرح مسلم الثبوت ٢ : ٢٣١ - ٢٣٢، وغيرها.

(٣٣٥) وهي الرسالة الثالثة من كتابنا: الرسائل العشر في الأحاديث الموضوعية في كتب السنة، والمنشورة في نشرة «تراثنا» العدد ٢٦ لسنة ١٤١٢ ضمن سلسلة الأحاديث الموضوعية برقم ٦.

وإليك كلام الحافظ ابن حجر في هذا الحديث:

«حديث: أصحابي كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم.

الدارقطني في المؤلف من رواية سلام بن سليم، عن الحارث بن غصين، عن الأعمش، عن

أبي سفيان، عن جابر، مرفوعاً.

وسلام ضعيف.

وأخرجه في غرائب مالك من طريق حميد بن زيد، عن مالك، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن

جابر، - في أثناء حديث - وفيه: فبأي قول أصحابي أخذتم اهتديتم، إمّا مثل أصحابي مثل النجوم، من أخذ

بنجم منها اهتدى.

قال: لا يثبت عن مالك، ورواه دون مالك مجهولون.

ورواه عبد بن حميد، والدارقطني في الفضائل من حديث حمزة الجزري، عن نافع، عن ابن عمر.

وحمزة أتهموه بالوضع.

ورواه القضاعي في مسند الشهاب من حديث أبي هريرة.

وفيه جعفر بن عبدالواحد الهاشمي، وقد كذبوه.

ورواه ابن طاهر من رواية بشر بن الحسين، عن الزبير بن عدي، عن أنس.

وبشر كان متهماً أيضاً.

وأخرجه البيهقي في المدخل من رواية جويبر، عن الضحّاك، عن ابن عباس.

وجويبر متروك.

ومن رواية جويبر أيضاً عن جواب بن عبيدالله، مرفوعاً.

وهو مرسل.

قال البيهقي: هذا المتن مشهور، وأسانيده كلّها ضعيفة.

وروى في المدخل أيضاً عن عمر... .

وفي إسناده: عبدالرحيم بن زيد العمّي، وهو متروك^(٣٣٦).

وقال المناوي في فيض القدير بشرحه:

«السجزي في الإبانة عن أصول الديانة، وابن عساكر في التاريخ عن عمر بن الخطّاب.

قال ابن الجوزي في العلل: هذا لا يصحّ.

وفي الميزان: هذا الحديث باطل.

(٣٣٦) الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف - المطبوع مع الكشاف - ٣ : ٤٦٣.

وقال ابن حجر في **تخريج المختصر**: حديث غريب، سئل عنه البزار فقال: لا يصح هذا الكلام عن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم.

وقال الكمال ابن أبي شريف: كلام شيخنا - يعني ابن حجر - يقتضي أنه مضطرب. وأقول: ظاهر صنيع المصنف أن ابن عساكر خرّجه ساكتاً عليه، والأمر بخلافه؛ فإنه تعقّب به بقوله: قال ابن سعد: زيد العمي أبو الحواري، كان ضعيفاً في الحديث، وقال ابن عدي: عامة ما يرويه ومن يروي عنه ضعفاء.

ورواه عن عمر أيضاً البيهقي، قال الذهبي: وإسناده واه»^(٣٣٧).

كلمات الأئمة في بطلانه:

ولمّا كانت طرق هذا الحديث كلّها ساقطة، فقد اتّفق الأئمة على بطلانه، ومنهم من نصّ على كونه موضوعاً، فبالإضافة إلى الأئمة الأعلام المنقولة آراؤهم فيه:

- * فقد نصّ أحمد بن حنبل على أنه حديث غير صحيح^(٣٣٨).
- * وقال ابن حزم الأندلسي: «هذا خبر مكذوب موضوع باطل لم يصحّ قط»^(٣٣٩).
- * وقال ابن عبد البرّ بعد أن رواه ببعض الطرق: «هذا إسناد لا يصحّ»^(٣٤٠).
- * وقال أبو حيان: «حديث موضوع، لا يصحّ بوجه عن رسول الله»^(٣٤١).
- * وقال ابن قيمّ الجوزية - بعد أن رواه بطرق - : «لا يثبت شيء منها»^(٣٤٢).
- * وقال ابن الهمام الحنفي: «حديث لم يعرف»^(٣٤٣).
- * ونصّ الشهاب الخفاجي والقاضي البهاري على ضعفه^(٣٤٤).
- * وقال الشوكاني: «فيه مقال معروف»^(٣٤٥).
- * وأورده الألباني المعاصر في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة^(٣٤٦).

(٣٣٧) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٤ : ٧٦.

(٣٣٨) التقرير والتحرير في شرح التحرير ٣ : ٩٩، وكذلك يتسير التحرير ٣ : ٢٤٣.

(٣٣٩) ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٦ : ٥٨٢ عن رسالة ابن حزم في إبطال القياس.

(٣٤٠) جامع بيان العلم ٢ : ٣١٤.

(٣٤١) البحر المحيط ٦ : ٥٨٢.

(٣٤٢) اعلام الموقعين ٢ : ٢٤٢.

(٣٤٣) التحرير في أصول الفقه - لابن الهمام، بشرح أمير بادشاه - ٣ : ٢٤٣.

(٣٤٤) نسيم الرياض ٣ : ٤٢٣ - ٤٢٤، مسلّم الثبوت - بشرح الأنصاري - ٢ : ٣٣١.

(٣٤٥) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول ١ : ٢٩٤.

(٣٤٦) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١ : ٧٨.

ومن أراد المزيد فليرجع إلى رسالتنا فيه^(٣٤٧).

٣ - لا أُوتِينَّ بأحد يفضّلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حدّ المفترى:

وكما وضعوا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حديث: «اقتدوا بالذين من بعدي...» وحديث: «عليكم بسُنَّتِي وَسُنَّةَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي» وحديث: «أصحابي كالنجوم...» وأمثالها، فقد وضعوا على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أشياء في حقِّ الأصحاب وفي خصوص الشيخين، منها هذا الكلام الذي استند إليه ابن تيمية في غير موضع من **منهاج السُّنَّة** من غير سند ولا نقل عن كتاب معتبر عندهم، وإمّا قال: «فروي عنه أنّه قال: لا أُوتَى بأحد يفضّلني على أبي بكر وعمر إلا ضربته حدّ المفترى»^(٣٤٨).

«وعنه أنّه كان يقول: لا أُوتَى بأحد يفضّلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته جلد المفترى»^(٣٤٩). وقد أضاف هذه المرّة: «كان يقول» الظاهر في تكرّر هذا القول من الإمام عليه السلام واستمراره عليه.

التحقيق في سنده ومدلوله:

ولكنّا لم نسمع أنّه جلد أحداً لتفضيله عليهما بالرغم من وجود كثير من الصحابة والتابعين كانوا يجاهرون بذلك، حتّى اعترف به غير واحد من أئمّة القوم، ففي الاستيعاب: «وروي عن سلمان، وأبي ذرّ، والمقداد، وخبّاب، وجابر، وأبي سعيد الخدري، وزيد بن أرقم: أنّ عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - أوّل من أسلم، وفضّله هؤلاء على غيره»^(٣٥٠).

وفي الفصل:

«اختلف المسلمون في من هو أفضل الناس بعد الأنبياء، فذهب بعض أهل السُّنَّة وبعض المعتزلة وبعض المرجئة وجميع الشيعة: إلى أنّ أفضل الأمة بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - .

(٣٤٧) الرسائل العشر في الأحاديث الموضوعة في كتب السُّنَّة، الرسالة الأولى.

(٣٤٨) منهاج السُّنَّة ١ : ٣٠٨.

(٣٤٩) منهاج السُّنَّة ٦ : ١٣٨.

(٣٥٠) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣ : ١٠٩٠.

وقد روينا هذا القول نصّاً عن بعض الصحابة - رضي الله عنهم - وعن جماعة من التابعين والفقهاء».

قال: «وروينا عن نحو عشرين من الصحابة: أنّ أكرم الناس على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم عليّ بن أبي طالب والزبير بن العوّام»^(٣٥١).

وقال الذهبي:

«ليس تفضيل عليّ برفض ولا هو ببدعة، بل قد ذهب إليه خلق من الصحابة والتابعين»^(٣٥٢).
هذا، وقد جاء في هامش منهاج السنّة ما نصّه: «وجاء الأثر - مع اختلاف في اللفظ - في فضائل الصحابة ١ / ٨٣ رقم ٤٩، وضعّف المحقّق إسناده»^(٣٥٣).

أقول:

وهذا نصّ ما جاء في الكتاب المذكور:

«حدّثنا عبد الله، قال: حدّثني هديّة بن عبد الوهّاب، قال: ثنا أحمد ابن يونس، قال: ثنا محمّد بن طلحة، عن أبي عبيدة بن الحكم، عن الحكم بن جحل، قال: سمعت عليّاً يقول: لا يُفضّلني أحد على أبي بكر وعمر إلاّ جلدته حدّ المفتري»^(٣٥٤).
وهو من زيادات عبد الله بن أحمد.

قال محقّقه في الهامش «إسناده ضعيف لأجل أبي عبيدة بن الحكم».
قال: «ومحمّد بن طلحة لم يتبيّن لي من هو؟...».

قلت:

وما ذكرناه حول سنده ومعناه كافٍ في سقوطه، وأنّه موضوع قطعاً.

* * *

(٣٥١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣ : ٣٢.

(٣٥٢) سير أعلام النبلاء ١٦ : ٤٥٧.

(٣٥٣) منهاج السنّة ٦ : ١٣٨.

(٣٥٤) فضائل الصحابة ١ : ٨٣ رقم ٤٩.

آية الهداية إلى الصراط المستقيم

قوله تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم) (٣٥٥).

قال السيّد رحمه الله:

«أليسوا من الذين أنعم الله عليهم، وأشار في السبع المثاني والقرآن العظيم إليهم فقال: (اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم)؟!».

فقال في الهامش:

«أخرج الثعلبي في تفسير الفاتحة من تفسيره الكبير، عن أبي بريدة: إنّ الصراط المستقيم هو صراط محمد وآله.

وعن تفسير وكيع بن الجراح، عن سفيان الثوري، عن السدي، عن أسباط ومجاهد، عن ابن عباس، في قوله: (اهدنا الصراط المستقيم) قال: قولوا: أرشدنا إلى حبّ محمد وأهل بيته» (٣٥٦).

أقول:

وأخرج الحافظ الحاكم الحسكاني كلا الخبرين بإسناده، حيث قال:

«أخبرنا الحاكم الوالد أبو محمد عبدالله بن أحمد، حدّثنا أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان الواعظ ببغداد، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثني حامد بن سهل، قال: حدّثني عبدالله بن محمد العجلي، قال: حدّثنا إبراهيم، قال: حدّثنا أبو جابر، عن مسلم بن حيّان:

عن أبي بريدة، في قول الله تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم) قال: صراط محمد وآله.

(٣٥٥) سورة الفاتحة ١ : ٦ و ٧.

(٣٥٦) المراجعات: ٢٨.

أخبرنا عقيل بن الحسين الفسوي، قال: حدّثنا علي بن الحسين بن قيدة الفسوي، قال: حدّثنا أبو بكر محمّد بن عبد الله، قال: حدّثنا أبو أحمد محمّد بن عبيد ببغداد، قال: حدّثنا عبد الله بن أبي الدنيا، قال: حدّثنا وكيع بن الجراح، قال: حدّثنا سفيان الثوري، عن السدي، عن أسباط ومجاهد: عن ابن عباس، في قول الله تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم) قال: يقول: قولوا معاشر العباد: أرشدنا إلى حبّ النبي وأهل بيته»^(٣٥٧).

وكذلك رواه غير واحد من أصحابنا، قال الحافظ ابن شهر آشوب السروي، المتوفّي سنة ٥٨٨: «ومن تفسير وكيع بن الجراح، عن سفيان الثوري، عن السدي، عن أسباط ومجاهد، عن عبد الله بن عباس، في قوله: (اهدنا الصراط المستقيم) قال: قولوا معاشر العباد: أرشدنا إلى حبّ النبي وأهل بيته.

تفسير الثعلبي، وكتاب ابن شاهين: عن رجاله، عن مسلم بن حيّان، عن بريدة، في قول الله (اهدنا الصراط المستقيم) قال: صراط محمّد وآله»^(٣٥٨).

وهذا تفسير أئمة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام^(٣٥٩).

وإلى هنا، فالتفسير عن أئمة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، وابن عباس وبريدة بن الحصيب. وروى الحافظ الحسكاني عن عدّة من الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّ عليّاً هو «الصراط المستقيم»، ومن ذلك ما رواه بسنده عن الحافظ ابن أبي حاتم، قال: «حدّثنا هارون بن إسحاق، قال: حدّثني عبدة بن سليمان، قال: حدّثنا كامل بن العلاء، قال: حدّثنا حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير:

عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ بن أبي طالب: أنت الطريق الواضح، وأنت الصراط المستقيم، وأنت يعسوب المؤمنين»^(٣٦٠).

هذا، ولا يخفى أنّ «عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي» من كبار أئمة القوم في الحديث والتفسير والرجال؛ قال الذهبي: «قال أبو يعلى الخليلي: أخذ أبو محمّد علم أبيه وأبي زرعة، وكان بحراً في العلوم ومعرفة الرجال، صنّف في الفقه، وفي اختلاف الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار، قال: وكان زاهداً، يعدّ من الأبدال».

وذكر الذهبي عن أبي الحسن الرازي الخطيب: «سمعت عبّاس بن أحمد يقول: بلغني أنّ أبا حاتم قال: ومن يقوى على عبادة عبدالرحمن! لا أعرف لعبد الرحمن ذنباً».

(٣٥٧) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل ١ : ٥٧ / ٨٦ و ٨٧.

(٣٥٨) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٨٩؛ وفيه: «عن بريدة» والظاهر أنّه الصحيح.

(٣٥٩) وهو في شواهد التنزيل ١ : ٥٩ - ٦١.

(٣٦٠) شواهد التنزيل ١ : ٥٨ / ٨٨.

وقال الذهبي - في ذكر كتبه - : «وله تفسير كبير، في عدّة مجلّدات، عامّته آثار بأسانيده، من أحسن التفاسير»^(٣٦١).

قلت:

وقد أثنى ابن تيميّة على تفسير ابن أبي حاتم، حيث ذكره في عداد التفاسير المعتمدة المقبولة فقال: «أهل العلم الكبار أهل التفسير، مثل الطبري، وبقّي بن مخلّد، وابن أبي حاتم، وابن المنذر، وأمثالهم، لم يذكروا الموضوعات».

وقال عن الطبري وابن أبي حاتم وابن المنذر وجماعة: «الذين لهم في الإسلام لسان صدق، وتفسيرهم متضمّنة للمنقولات التي يعتمد عليها في التفسير»^(٣٦٢).

وروى الحافظ الحسكاني بأسانيد فيها جمع من الأئمّة الأعلام - كعبد الرزاق بن همام، والثوري، والمطين، والحاكم النيسابوري - عن حذيفة بن اليمان، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «وإن تولّوا عليّاً تجدوه هادياً مهدياً يسلك بكم الطريق المستقيم»^(٣٦٣).

وقال الحاكم الحسكاني الحافظ:

«حدّثني أبو عثمان الزعفراني، قال: أخبرنا أبو عمرو السناني، قال: أخبرنا أبو الحسن المخلّدي، قال: حدّثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: عن أبيه، في قول الله تعالى: (صراط الذين أنعمت عليهم) قال: النبيّ ومن معه، وعليّ بن أبي طالب وشيعته»^(٣٦٤).

وهذا صحيح على أصولهم:

فأمّا «أبو عثمان الزعفراني» فهو: سعيد بن محمّد بن أحمد البحيري، ذكره الحافظ السمعاني - بعد أن ترجم لأبيه وجده - فقال:

«كان شيخاً، جليلاً، ثقة، صدوقاً، من بيت التزكية، رحل إلى العراق والحجاز، وأدرك الأسانيد العالية، وعمّر العمر الطويل، حتّى حدّث بالكثير وأملى. سمع بنيسابور أبا عمرو محمّد بن أحمد بن حمدان الحيري... ووفاته في ربيع الآخر سنة ٤٥١»^(٣٦٥).

(٣٦١) سير أعلام النبلاء ١٣ : ٢٦٤ و ٢٦٥.

(٣٦٢) منهاج السنّة ٧ : ١٣ و ص ١٧٩.

(٣٦٣) شواهد التنزيل ١ : ٦١ - ٦٥.

(٣٦٤) شواهد التنزيل ١ : ٦٦ / ١٠٥.

(٣٦٥) الأنساب ١ : ٢٩١ «البحيري».

وترجم له أبو الحسن عبدالغافر النيسابوري فقال: «أبو عثمان البحيري، سعيد بن محمّد... شيخ كبير ثقة، من بيت التزكية والعدالة، وقد ذكر الحاكم بيته وأسلافه في التاريخ. وهذا أبو عثمان من وجوه أهل البيت، من جملة المتصوّفة، سمع الكثير بخراسان والعراق...»
قال أبو الحسن: ولدت بعد وفاته بخمسة أيّام، ليلة الثامن من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وخمسين^(٣٦٦).

وأما «أبو عمرو السناني» فقد ترجم له الحافظ السمعاني كذلك، حيث قال: «أبو عمرو محمّد بن أحمد بن حمدان بن علي بن سنان الحيري، من الثقات الأثبات، سمع أبا يعلى الموصلّي والحسن بن سفيان والبغوي والباغندي، وغيرهم. روى عنه: الحاكم أبو عبدالله الحافظ، وأبو نعيم الأصبهاني. وآخر من روى عنه: أبو سعد الكنجرودي، توفّي في سنة ٣٨٠»^(٣٦٧).
وقال الذهبي بترجمته: «الإمام المحدث الثقة، النحوي البارع، الزاهد العابد، مسند خراسان، أبو عمرو محمّد بن حمدان بن علي بن سنان الحيري... ومناقبه جمّة. رحمه الله».

ثمّ ذكر مشايخه والرواة عنه، وطرفاً من ترجمة الحاكم له، وتنصيبه على أنّ سماعته صحيحة...
ثمّ قال الذهبي: «وقال الحافظ محمّد بن طاهر المقدسي: كان يتشيع. قلت: تشييعه خفيف كالحاكم. وقع لي جملة من عواليه، وخرّجت من طريقه كثيراً»^(٣٦٨).

وأما «أبو الحسن المخلدي» فهو: محمّد بن عبدالله بن محمّد بن مخلد الهروي المخلدي النيسابوري، ذكره الحافظ السمعاني فقال: «يروى عن أبي طاهر بن السراج، وأبي الربيع بن أخي رشدين، وأحمد بن سعيد الهمداني، وطبقتهم. روى عنه: أبو عمرو الحيري، وأبو بكر بن علي، وأبو حفص بن حمدان، وغيرهم»^(٣٦٩).

وأما «يونس بن عبدالأعلى» فمن رجال مسلم والنسائي وابن ماجّة. وممّن حدّث عنه من الأعلام: أبو حاتم، وأبو زرعة، وابن خزيمة، وأبو عوانة، والطحاوي... .

وصفه الذهبي ب: «الإمام، شيخ الإسلام» وقال: «كان كبير المعدّلين والعلماء في زمانه بمصر» فنقل ثقته عن النسائي وأبي حاتم وغيرهما. وقال: «بين مشايخنا وبينه خمسة أنفس ولقد كان قرّة عين، مقدّماً في العلم والخير والثقة»^(٣٧٠).

(٣٦٦) المنتخب من السياق في تاريخ نيسابور: ٢٣٢ رقم ٧٢٩.

(٣٦٧) الأنساب ٢: ٢٩٨ «الحيري».

(٣٦٨) سير أعلام النبلاء ١٦: ٣٥٦ - ٣٥٨، وأرّخ وفاته نقلاً عن الحاكم بسنة ٣٧٦.

(٣٦٩) الأنساب ٥: ٢٢٧ «المخلدي».

(٣٧٠) سير أعلام النبلاء ١٢: ٣٤٨.

وقال الحافظ: «ثقة»^(٣٧١).

وأما «ابن وهب» فهو: عبدالله بن وهب، من رجال الصحاح الستة، وثقه ابن معين، وقال أبو حاتم: «صدوق، صالح الحديث»، وأطنب الذهبي في ترجمته من السير^(٣٧٢).
وأما «عبدالرحمن بن زيد بن أسلم» فهو - وإن ضعفه بعضهم - من رجال كتابي الترمذي وابن ماجه، وهما من الصحاح الستة.
وأما «زيد بن أسلم» فهو من رجال الصحاح الستة، وقال الذهبي: «لزيد تفسير، رواه عنه ابنه عبدالرحمن، وكان من العلماء العاملين. أرخ ابنه وفاته في ذي الحجة سنة ١٣٦»^(٣٧٣).

تنبيه

إنه يكفي دليلاً على صحة هذه الأحاديث وتمامية استدلال السيد بها سكوت بعض المفتريين على ذلك، وعليه فلا مناص له من الإقرار بالضلال، والعودة إلى طريق النبي والآل، والله الهادي في المبدأ والمآل.

* * *

(٣٧١) تقريب التهذيب ٢ : ٣٨٥.

(٣٧٢) سير أعلام النبلاء ٩ : ٢٢٣ - ٢٣٤.

(٣٧٣) سير أعلام النبلاء ٥ : ٣١٦.

آية الكون مع الذين أنعم الله عليهم

قوله تعالى: (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم...) (٣٧٤).

قال السيّد رحمه الله:

«وقال (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين)».

فقال في الهامش:

«أئمة أهل البيت من سادات الصديقين والشهداء والصالحين بلا كلام» (٣٧٥).

ف قيل:

«لا نزاع في أنّ أئمة أهل البيت من الذين أنعم الله عليهم، ولا في أنّهم من سادات الصديقين والشهداء والصالحين، فقد يكون الإنسان متّصفاً بكلّ هذه الصفات وليس من أهل الولاية العامّة. والذين أنعم الله عليهم ليسوا أهل البيت فقط، بل كلّ من أطاع الله ورسوله، والله تعالى يقول: (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً). أمّا قول المؤلّف: أئمة أهل البيت من سادات الصديقين والشهداء والصالحين بلا كلام، فنحن - أعني أهل السُنّة - مع احترامنا وحبنا لآل البيت وتنزيلنا لهم منزلتهم، نعتبر الكلام العاري عن الدليل دعوى تحتاج إلى إثبات. ولعلّه يريد أن يقابل ما استقرّ في عقول وقلوب الكافّة من كون الصديق هو أبو بكر - رضي الله عنه - فأردف هذه الجملة بالعبارة السوقية (بلا كلام)، فهل هذا منطق علماء أو منطق أدعياء؟!».

أقول:

هنا نقاط:

(٣٧٤) سورة النساء ٤ : ٦٩.

(٣٧٥) المراجعات: ٢٨.

١ - إنّه لم يدع السيّد رحمه الله لأهل البيت عليهم السلام منزلةً هي فوق ما هم عليه، وإنّما قال: «أئمة أهل البيت من سادات الصديقين...» مع أنّ اعتقادنا هو أنّهم هم «سادات الصديقين...» وليس غيرهم على الإطلاق، وقد جاء كلامه مسaireً ومجاراةً للقوم، ولكنّ النواصب لا يعترفون لهم عليهم السلام حتّى بهذا القدر...!!

٢ - ولعلّ مسaire السيّد رحمه الله كانت بالنظر إلى ما جاء في روايات القوم بتفسير الآية المباركة: كالخبر الذي رواه الحافظ الحاكم الحسكاني بإسناده عن أبي مسلم الكجّي^(٣٧٦)، عن القعنبّي^(٣٧٧)، عن مالك^(٣٧٨)، عن سمي^(٣٧٩)، عن أبي صالح^(٣٨٠)، عن عبد الله بن عباس:

«في قوله تعالى: (ومن يطع الله) يعنى في فرائضه (والرسول) في سننه، (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين) يعنى محمّداً (والصديقين) يعنى عليّ بن أبي طالب - وكان أوّل من صدّق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم - (والشهداء) يعنى عليّ بن أبي طالب وجعفر الطيّار وحمزة بن عبدالمطلب والحسن والحسين، هؤلاء سادات الشهداء (والصالحين) يعنى سلمان وأبا ذرّ وصهيباً وبلالاً وخبّاباً وعمّاراً...»^(٣٨١)

إلا أنّ من الواضح عدم منافاة هذا الخبر وأمثاله لكون «أئمة أهل البيت» هم «سادات الصديقين...»، لأنّ الجماعة المذكورين فيه هم من شيعة أئمة أهل البيت عليهم السلام، كما هو معلوم ومعروف.

٣ - قد ذكر المفسّرون أنّ (الذين أنعم الله) هم الأقسام الأربعة أنفسهم، فتكون (من) بيانيّة^(٣٨٢)، فالذين أنعم الله - كما في الروايات المفسّرة للآية - هم: رسول الله، وعليّ، والحسنان عليهم الصلاة والسلام، ومن ذكر فيها من شيعتهم الأبرار... وكلّ (من يطع الله ورسوله) في الفرائض والسنن فيكون من شيعتهم وفي رفقتهم (وحسن أولئك رفيقاً * ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً)^(٣٨٣).

٤ - وعليّ وسائر أئمة أهل البيت عليهم السلام أصحاب الولاية العامّة، لأنّ الله جعل عاقبة (من يطع الله ورسوله) أن يكون معهم، فالكون معهم هو رمز الهداية والفلاح، والفوز والنجاح. فهذا وجهٌ لدلالة الآية على الولاية العامّة لأئمة أهل البيت.

(٣٧٦) إبراهيم بن عبد الله، الشيخ الإمام الحافظ المعمر، شيخ العصر، المتوفّى سنة ٢٩٢.

(٣٧٧) عبد الله بن مسلمة، الإمام الثبت القدوة، شيخ الإسلام، المتوفّى سنة ٢٢١.

(٣٧٨) مالك بن أنس، صاحب المذهب، المتوفّى سنة ١٧٩.

(٣٧٩) مولى أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، من رجال السنّة. تقريب التهذيب ١ : ٣٣٣.

(٣٨٠) ميزان البصري، مقبول. تقريب التهذيب ٢ : ٢٩١.

(٣٨١) شواهد التنزيل ١ : ١٥٣ / ٢٠٦.

(٣٨٢) لاحظ منها: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١١٧، وروح المعاني ٥ : ٧٥.

(٣٨٣) سورة النساء ٤ : ٦٩ - ٧٠.

ووجه آخر، هو: أن هذه الآية تفسير لقوله تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم) كما نص عليه القرطبي^(٣٨٤)، وقد تقدّم دلالة تلك الآية على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام.

ووجه ثالث، هو: إن الله تعالى لما ذكر مراتب أوليائه في كتابه بدأ بالأعلى منهم وهم النبيون، ثم ثنى بالصدّيقين، ثم ذكر الشهداء، فالصالحين، وهذه الصفات الثلاثة مجتمعة في أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، ولا ريب في أن من اجتمعت فيه تلك الصفات مقدّم على الذين وجدت فيهم وتفرقت بينهم.

بل قال بعضهم: إن المراد في هذه الآية هو الشخص الواحد الموصوف بها^(٣٨٥)، وليس إلا أمير المؤمنين، فهو المتعيّن للخلافة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم.

٥ - ولعلّ ما تقدّم هو المقصود من قول أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا عبدالله وأخو رسوله، وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كذاب مفترى»^(٣٨٦).

وقال ابن تيميّة في معنى «الصديق»: «قد يراد به الكامل في الصدق، وقد يراد به الكامل في التصديق»^(٣٨٧).

قلت:

وسواء كان المراد هذا أو ذاك فليس إلا أمير المؤمنين عليه السلام.

ولولا أن أبا ذرّ الغفاري - رضي الله عنه - من شيعته لما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم في حقّه: «ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذرّ»^(٣٨٨)، ولما حسده عمر بن الخطّاب على ذلك^(٣٨٩).

٦ - ومع ذلك كلّه، فلم يسمّ الجمهور بـ«الصديق» عليّاً ولا أبا ذرّاً!! وجعلوه لقباً لأبي بكر، مع اعترافهم بعدم ورود ذلك عن رسول الله فيه بسند معتبر، فخالفوه صلى الله عليه وآله وسلّم مرتين!!

ثم حاول بعضهم توجيه ذلك بأنّه لكون أبي بكر أوّل من آمن وصدّق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، وهذا أوّل الكلام؛ فقد ثبت وتحقّق في محلّه أن أوّل من أسلم وصدّق هو: أمير المؤمنين

(٣٨٤) الجامع لأحكام القرآن ٥ : ٢٧١.

(٣٨٥) التفسير الكبير ١٠ : ١٧١.

(٣٨٦) أخرجه الحاكم وصحّحه على شرطهما في المستدرک على الصحيحين ٣ : ١١٢، وهو بسند صحيح عند ابن ماجة في سننه ١ : ٨٩ / ١٢٠، وفي الخصائص - للنسائي - : ١٠١ / ٦٧، وله مصادر كثيرة.

(٣٨٧) منهاج السنّة ٤ : ٢٦٦.

(٣٨٨) الجامع الكبير ٦ : ١٣٤ / ٣٨٠١، مسند أحمد ٢ : ٣٤٧ / ٦٤٨٣، المستدرک على الصحيحين ٣ : ٣٤٢ وصحّحه على شرط مسلم وأقرّه الذهبي، سنن ابن ماجة ١ : ١٠٣ / ١٥٦.

(٣٨٩) الجامع الكبير ٦ : ١٣٥ / ٣٨٠٢.

علي بن أبي طالب، وأما أبو بكر فقد جاء في الرواية الصحيحة عن محمد بن سعد بن أبي وقاص: «قال: قلت لأبي: أكان أبو بكر أولكم إسلاماً؟ فقال: لا، ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين»^(٣٩٠).

٧ - والكلام في أنّ الذين يسمّون أنفسهم «أهل السنّة» يحبّون ويحترمون آل البيت عليهم السلام طويلاً، وليس هذا موضعه، غير أنّنا نقول لصاحب هذا الكلام:

أولاً: إنّ حبّ النبي والآل يقتضي الإطاعة والاتباع، قال الله تعالى: (قل إن كنتم تحبّون الله فاتبعوني يحببكم الله)^(٣٩١).

وثانياً: كيف يمكن الجمع بين حبّ أهل البيت واحترامهم، وبين حبّ واحترام من ظلمهم بشتّى أنواع الظلم؟!

وثالثاً: هل من الحبّ والاحترام قول بعضهم في استشهاد الإمام السبط عليه السلام: «إنّ الحسين قتل بسيف جدّه»^(٣٩٢)؟!

وهل من الحبّ والاحترام قول بعضهم في الإمام الصادق عليه السلام: «في نفسي منه شيء»^(٣٩٣)؟!

وكذا قول بعضهم نحو ذلك في غيره من أئمّة أهل البيت!!

وهل من الحبّ والاحترام ما نفّوه به ابن تيميّة في أمير المؤمنين وأهل البيت أجمعين، ممّا لا يطاق

نقله؟!

أترى أنّ كتابه هو منهاج السنّة كما سمّي به أو لا؟!

الحقيقة: إنّ «السنّة» التي عليها هؤلاء القوم هي السنّة الأمويّة لا السنّة المحمديّة!

وهذا حال كلّ من ينكر مناقب أهل البيت ومقاماتهم، ومنهم هذا المتقول على السيّد، والذي قال

في بعض البحوث المتقدّمة: «من أين الدليل على أنّ قول الباقر والصادق هنا صحيح!!»

٨ - وأمّا ما في كلامه من سوء الأدب مع السيّد، فلا نقابله بالمثل، ونوكل أمره إلى الله، وهو الحكم

العدل.

* * *

(٣٩٠) تاريخ الطبري ٢ : ٣١٦.

(٣٩١) سورة آل عمران ٣ : ٣١.

(٣٩٢) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير ١ : ٢٠٥ حيث أورد هذا الكلام عن ابن العربي المالكي، والضوء اللامع ٤ : ١٤٧ بترجمة

ابن خلدون، حيث أورد هذا الكلام عنه بترجمته.

(٣٩٣) الكاشف - للذهبي - ١ : ١٣٠ عن القطان.

آية الولاية

قوله تعالى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ)^(٣٩٤).

قال السيّد طاب ثراه:

«ألم يجعل لهم الولاية العامّة؟ ألم يقصرها بعد الرسول عليهم؟! فاقراً: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ)».

وقال في الهامش:

«أجمع المفسّرون - كما اعترف به القوشجي، وهو من أئمّة الأشاعرة، في مبحث الإمامة من شرح التجريد - على أنّ هذه الآية إنّما نزلت في عليّ، حين تصدّق راکعاً في الصلاة. وأخرج النسائي في صحيحه نزولها في عليّ، عن عبد الله بن سلام. وأخرج نزولها فيه أيضاً صاحب الجمع بين الصحاح الستّة، في تفسير سورة المائدة. وأخرج الثعلبي في تفسيره الكبير نزولها في أمير المؤمنين، كما سنوّضه عند إيرادها»^(٣٩٥).

فقبل:

قول المؤلّف: «أجمع المفسّرون... على أنّ هذه الآية إنّما نزلت في عليّ...»، من جنس قول سلفه ابن المطهر الحليّ في منهاج الكرامة، والردّ عليه هو ما ردّ به شيخ الإسلام ابن تيميّة على ابن المطهر في منهاج السنّة النبوية ٤ / ٣ - ٩، فقد قال رحمه الله من جملة ردّه: قوله: أجمعوا أنّها نزلت في عليّ.

(٣٩٤) سورة المائدة ٥ : ٥٥ و ٥٦.

(٣٩٥) المراجعات: ٢٨.

من أعظم الدعاوي الكاذبة، بل أجمع أهل العلم بالنقل على أنها لم تنزل في علي بخصوصه، وأن علياً لم يتصدّق بخاتمته في الصلاة، وأجمع أهل العلم بالحديث على أن القصة المروية في ذلك من الكذب الموضوع.

وأما ما نقله من تفسير الثعلبي، فقد أجمع أهل العلم بالحديث أن الثعلبي يروي طائفة من الأحاديث الموضوعات، كالحديث الذي يروي في أول كل سورة عن أبي أمامة في فضل تلك السورة وكأمثال ذلك، ولهذا يقولون: هو كحاطب ليل، وهكذا الواحدي تلميذه، وأمثالهما من المفسرين ينقلون الصحيح والضعيف، ولهذا لما كان البغوي عالماً بالحديث، أعلم به من الثعلبي والواحدي، وكان تفسيره مختصر تفسير الثعلبي، لم يذكر في تفسيره شيئاً من الأحاديث

الموضوعة التي يرويها الثعلبي، ولا ذكر تفاسير أهل البدع التي ذكرها الثعلبي، مع أن الثعلبي فيه خير ودين، لكنّه لا خبرة له بالصحيح والسقيم من الأحاديث، ولا يميز بين السنة والبدعة في كثير من الأقوال. وأما أهل العلم الكبار، أهل التفسير، مثل تفسير محمد بن جرير الطبري، وبقية بن مخلد، وابن أبي حاتم، وابن المنذر، وعبدالرحمن بن إبراهيم دُحيم، وأمثالهم، فلم يذكروا فيها مثل هذه الموضوعات، دع من هو أعلم منهم، مثل تفسير أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، ولا يذكر مثل هذا عند ابن حميد، ولا عبدالرزاق - مع أن عبدالرزاق كان يميل إلى التشيع، ويروي كثيراً من فضائل علي، وإن كانت ضعيفة، لكنّه أجلّ قدرًا من أن يروي مثل هذا الكذب الظاهر - .

وقد أجمع أهل العلم بالحديث على أنه لا يجوز الاستدلال بمجرد خبر يرويهِ الواحد من جنس الثعلبي، والنقاش، والواحدي، وأمثال هؤلاء المفسرين، لكثرة ما يروونه من الحديث، ويكون ضعيفاً، بل موضوعاً....

وإنما المقصود هنا بيان افتراء هذا المصنّف أو كثرة جهله حيث قال: قد أجمعوا أنها نزلت في عليّ، فياليت شعري من نقل هذا الإجماع من أهل العلم العالمين بالإجماع في مثل هذه الأمور؟! فإنّ نقل الإجماع في مثل هذا لا يقبل من غير أهل العلم بالمنقولات وما فيها من إجماع واختلاف، فالمتكلم والمفسر والمؤرّخ ونحوهم، لو ادّعى أحدهم نقلاً مجرداً بلا إسناد ثابت، لم يعتمد عليه، فكيف إذا ادّعى إجماعاً؟! (٣٩٦).

هذا، وقد ذكر الواحدي هذا الحديث من رواية محمد بن مروان السدي، عن محمد بن السائب عن أبي صالح، عن ابن عباس، عن عبدالله بن سلام.

أما أبو صالح باذام أو باذان:

فقد قال ابن معين: ليس به بأس، وإذا روى عنه الكلبي فليس بشيء.

(٣٩٦) منهاج السنة ٧ : ١١ - ١٤.

وقال النسائي: ليس بثقة.

وقال ابن عدي: عامة ما يرويه تفسيرا، وما أقل ما له من المسند، وفي ذلك التفسير ما لم يتابعه عليه أهل التفسير، ولم أعلم أحداً من المتقدمين رصيه.

وقال ابن حبان: يحدث عن ابن عباس ولم يسمع منه.

وأما محمد بن السائب الكلبى، فنكتفى هنا بما قاله عنه أبو حاتم الرازي حيث قال: الناس مجمعون على ترك حديثه، هو ذاهب الحديث، لا يشتغل به.

وقال النسائي: ليس بثقة، ولا يكتب حديثه.

وقال ابن حبان: وضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه، روى عن أبي صالح التفسير، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس، لا يحل الاحتجاج به.

وقال الساجي: متروك الحديث، وكان ضعيفاً جداً، لفرطه في التشيع، وقد اتفق ثقات أهل النقل على ذمة وترك الرواية عنه في الأحكام والفروع.

قلت: ومن أراد الاستزادة من الكلام على محمد بن السائب فليراجع تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، فقد جمع فأوعى.

وأما محمد بن مروان السدي، قال عبدالسلام بن حازم عن جرير بن عبدالحميد: كذاب.

وقال ابن معين: ليس بثقة.

وقال ابن نمير: ليس بشيء.

وقال صالح بن محمد: كان ضعيفاً وكان يضع.

وقال أبو حاتم: ذاهب الحديث، متروك الحديث، لا يكتب حديثه ألبتة.

أقول:

اعلم أن السيد رحمه الله سيتعرض للاستدلال بهذه الآية المباركة في المراجعة رقم ٤٠ فما بعد، وهو ما أشار إليه بقوله: «كما سنوضحه عند إيرادها».

وقد ذكر هناك أسماء عدة من الأئمة الرواة لحديث نزول الآية في الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وبين وجه الاستدلال بها على إمامته وولايته العامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصورة مفصلة... .

أما هنا، فاكتفى بما يلي:

أولاً: إجماع المفسرين.

وذكر اعتراف القوشجي بقيام الإجماع على نزول الآية في قضية تصدق الإمام في الصلاة، في كتابه المعروف شرح التجريد.

والقوشجي هو: علاء الدين علي بن محمد الحنفي السمرقندي، المتوفى سنة ٨٧٩. قال قاضي القضاة الشوكاني بترجمته:

«علي بن محمد القوشجي. بفتح القاف وسكون الواو وفتح الشين المعجمة بعدها جيم وياء النسبة، ومعنى هذا اللفظ بالعربية: حافظ البازي، وكان أبوه من خدام ملك ماوراء النهر يحفظ البازي. قرأ على علماء سمرقند ثم رحل إلى الروم، وقرأ على قاضي زاده الرومي ثم رحل إلى بلاد كرمان فقرأ على علماءها وسود هناك شرحه للتجريد... ولما قدم قسطنطينية أول قدمه تلقاه علماءها... وله تصانيف منها شرح التجريد الذي تقدمت الإشارة إليه وهو شرح عظيم سائر في الأقطار كثير الفوائد... وهو من مشاهير العلماء»^(٣٩٧).

وذكر شرحه على التجريد في كشف الظنون، حيث قال تحت عنوان تجريد الكلام:

«وهو كتاب مشهور اعتنى عليه الفحول، وتكلموا فيه بالرد والقبول، له شروح كثيرة وحواش عليها» إلى أن قال: «ثم شرح المولى المحقق علاء الدين علي بن محمد الشهير بقوشجي - المتوفى سنة ٨٧٩ - شرحاً لطيفاً ممزوجاً... وقد اشتهر هذا الشرح بالشرح الجديد»، ثم ذكر كلامه في ديباجته، ثم قال: «وإنما أوردته ليعلم قدر المتن والماتن، وفضل الشرح والشارح»، ثم ذكر الحواشي على هذا الشرح الجديد، بما يطول ذكره، فراجع^(٣٩٨).

وهذه عبارة القوشجي في نزول الآية المباركة:

وبيان دلالتها على الامامة لأمير المؤمنين:

«بيان ذلك: انها نزلت باتفاق المفسرين في حق علي بن أبي طالب حين أعطى السائل خاتمه وهو راعح في صلاته...» ثم إنّه - وإن حاول المناقشة في الاستدلال - لم ينكر اتفاق المفسرين على نزولها في الإمام عليه السلام، فراجع^(٣٩٩).

أقول:

(٣٩٧) البدر الطالع ١ : ٤٩٥ - ٤٩٦.

(٣٩٨) كشف الظنون ١ : ٣٤٨ - ٣٥٠.

(٣٩٩) شرح تجريد العقائد: ٣٦٨.

وممن اعترف من أئمة أهل السنة الأعلام بإجماع المفسرين واتفاقهم على نزول الآية المباركة في أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام:

١ - القاضي عضد الدين الإيجي^(٤٠٠)، المتوفى سنة ٧٥٦، في كتابه **المواقف في علم الكلام**^(٤٠١)، فقد قال في معرض الاستدلال بالآية:

«وأجمع أئمة التفسير أنّ المراد عليّ»^(٤٠٢).

٢ - الشريف الجرجاني^(٤٠٣)، المتوفى سنة ٨١٦، فقد قال بشرح **المواقف**^(٤٠٤):

«وقد أجمع أئمة التفسير على أنّ المراد بـ: (الذين يقيمون الصلاة) إلى قوله تعالى: (وهم راعون) عليّ، فإنّه كان في الصلاة راعياً، فسأله سائل فأعطاه خاتمه، فنزلت الآية»^(٤٠٥).

٣ - سعد الدين التفتازاني^(٤٠٦) المتوفى سنة ٧٩٣، فقد قال في **شرح المقاصد**^(٤٠٧).

(٤٠٠) وصفوه بتراجمه بأوصاف ضخمة: «قاضي قضاة المشرق» و«شيخ العلماء» و«شيخ الشافعية» قالوا: «كان إماماً في المعقولات، محققاً، مدققاً، قائماً بالأصول والمعاني والعربية، مشاركاً في الفقه وغيره من الفنون»... «أنجب تلاميذ أشتهروا في الآفاق».

الدرر الكامنة ٢ : ٣٢٢، البدر الطالع ١ : ٣٢٦، شذرات الذهب ٦ : ١٧٤، طبقات الشافعية - للأسنوي - ٢ : ١٠٩، بغية الوعاة ٢ : ٧٥ رقم ١٤٧٦.

(٤٠١) قال في كشف الظنون ٢ : ١٨٩١: «المواقف في علم الكلام، وهو كتاب جليل القدر، رفيع الشأن، اعتنى به الفضلاء، فشرحه السيّد الشريف، وشرحه شمس الدين محمد بن يوسف الكرمانى...» ثمّ ذكر الشروح والحواشي عليها... قال: «وهي كثيرة جداً».

وقال الشوكاني بترجمة الإيجي: «له: المواقف في علم الكلام ومقدماته، وهو كتاب يقصر عنه الوصف، لا يستغني عنه من رام تحقيق الفن».

ولاحظ أيضاً كلمات الشريف الجرجاني في وصف المواقف في مقدّمة شرحه.

(٤٠٢) المواقف في علم الكلام ٣ : ٦٠١.

(٤٠٣) وصفوه بـ: «عالم بلاد الشرق»... «كان علامة دهره»... «صار إماماً في جميع العلوم العقلية وغيرها، متفرداً بها، مصنفّاً في جميع أنواعها، متبحراً في دقيقتها وجليلها، وطار صيته في الآفاق، وانتفع الناس بمصنّفاته في جميع البلاد، وهي مشهورة في كلّ فنّ، يحتجّ بها أكابر العلماء وينقلون منها، ويوردون ويصدرون عنها» فذكروا فيها شرح المواقف.

انظر: الضوء اللامع ٥ : ٣٢٨، البدر الطالع ١ : ٤٨٨، الفوائد البهية: ٢١٢ رقم ٢٦٩، بغية الوعاة ٢ : ١٩٦ رقم ١٧٧٧، مفتاح السعادة ١ : ١٩٢، وغيرها.

(٤٠٤) انظر: كشف الظنون ٢ : ١٨٩١.

(٤٠٥) شرح المواقف ٨ : ٣٦٠.

(٤٠٦) قال الحافظ السيوطي: «الإمام العلامة، عالم بالنحو والتصريف والمعاني والبيان والأصليين والمنطق وغيرها، أخذ عن القطب والعضد، وتقدّم في الفنون، واشتهر ذكره وطار صيته، وانتفع الناس بتصانيفه، وكان في لسانه لكنة، وانتهت إليه معرفة العلوم بالمشرق».

وكذا قال ابن حجر وابن العماد والشوكاني وأضاف: «وبالجملّة، فصاحب الترجمة متفرد بعلمه في القرن الثامن، لم يكن له في أهله نظير فيها، وله من الحظ والشهرة والصيت في أهل عصره فمن بعدهم ما لا يلحق به غيره، ومصنّفاته قد طارت في حياته إلى جميع البلدان، وتنافس الناس في تحصيلها...» البدر الطالع ٢ : ٣٣٠، بغية الوعاة ٢ : ٢٨٥ رقم ١٩٩٢، شذرات الذهب ٦ : ٣١٩، الدرر الكامنة ٤ : ٣٥٠.

(٤٠٧) ذكره صاحب كشف الظنون ٢ : ١٧٨٠ فقال: «المقاصد في علم الكلام... وله عليه شرح جامع» ثمّ ذكر بعض الحواشي عليه.

«نزلت باتفاق المفسرين في علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - حين أعطى السائل خاتمه وهو راکع في صلاته»^(٤٠٨).

ثانياً: الأخبار.

فأشار إلى رواية النسائي في صحيحه، ورواية صاحب الجمع بين الصحاح الستة، ورواية الثعلبي في تفسيره.

أقول:

رواية النسائي هي - كما في جامع الأصول عن رزين، وهو صاحب الجمع بين الصحاح الستة - :
«عبدالله بن سلام - رضي الله عنه - قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ورهط من قومي، فقلنا: إن قومنا حادونا، لما صدقنا الله ورسوله، وأقسموا لا يكلمونا، فأنزل الله تعالى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا)، ثم أذن بلال لصلاة الظهر، فقام الناس يصلون، فمن بين ساجد وراكع، إذا سائل يسأل، فأعطاه علي خاتمه وهو راکع. فأخبر السائل رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم - فقرأ علينا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ). أخرج رزين»^(٤٠٩).

و«رزين» هو: رزين بن معاوية العبدي، المتوفى سنة ٥٣٥ كما في سير أعلام النبلاء، وقد وصفه ب: «الإمام المحدث الشهير»^(٤١٠).

وقال ابن الأثير: «وتلاههم آخرأ أبو الحسن رزين بن معاوية العبدي السرقسطي، فجمع بين كتب البخاري ومسلم والموطأ لمالك وجامع أبي عيسى الترمذي وسنن أبي داود السجستاني وسنن أبي عبد الرحمن النسائي، رحمة الله عليهم. ورتب كتابه على الأبواب دون المسانيد».

قال: «وأما الأحاديث التي وجدتها في كتاب رزين - رحمه الله - ولم أجدتها في الأصول، فإنني كتبتها نقلاً من كتابه على حالها في مواضعها المختصة بها، وتركتها بغير علامة، وأخليت لذكر اسم من أخرجها موضعاً، لعلي أتتبع نسخاً أخرى لهذه الأصول وأعثر عليها، فأثبت اسم من أخرجها»^(٤١١).

وأشار السيد إلى رواية الثعلبي في تفسيره.

(٤٠٨) شرح المقاصد في علم الكلام ٥ : ٢٧٠.

(٤٠٩) جامع الأصول ٨ : ٦٦٤ / ٦٥١٥.

(٤١٠) سير أعلام النبلاء ٢٠ : ٢٠٤.

(٤١١) جامع الأصول ١ : ٤٨ و ص ٥٥.

وقد ترجمنا للثعلبي في البحوث السابقة. وتفسيره فيه الغثُّ والسمن كأيِّ مؤلَّفٍ آخر، حتَّى ما سَمِّي من الكتب بالصَّحاح!!

* لكنَّ خبر نزول الآية المباركة في شأن أمير المؤمنين عليه السلام لا ينحصر بما عند الثعلبي أو الواحدي أو غيرهما من المفسِّرين الذين طعن فيهم إمام النواصب ابن تيميَّة الحرَّاني، بل جاء بأسانيد معتبرة كثيرة اضطرَّ بعض أتباع ابن تيميَّة إلى الاعتراف بصحَّتها... .

* وحتَّى إنَّ ابن كثير الذي أورد بتفسير الآية جملةً من الروايات، وطعن في بعضها، قال بعد واحد منها: «هذا إسناد لا يقدر به».

* كما سكت على آخر، وهو ما أخرجه ابن أبي حاتم:

«حدَّثنا أبو سعيد الأشج، حدَّثنا الفضل بن دكين أبو نعيم الأحول، حدَّثنا موسى بن قيس الحضرمي، عن سلمة بن كهيل، قال: تصدَّق عليٌّ بخاتمه وهو راعٍ، فنزلت (إنَّما وليكم الله ورسوله الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون)»^(٤١٢).

أقول:

«عبدالرحمن بن أبي حاتم» غنيٌّ عن التعريف^(٤١٣).

و«أبو سعيد الأشج» هو: عبدالله بن سعيد الكندي، ثقة، من رجال الصحاح الستَّة^(٤١٤).

و«الفضل بن دكين» من رجالها كذلك، وهو ثقة ثبت، من كبار شيوخ البخاري^(٤١٥).

و«موسى بن قيس الحضرمي» قال الحافظ: «يلقب: عصفور الجنة، صدوق، رُمي بالتشيع»^(٤١٦).

و«سلمة بن كهيل» ثقة، من رجال الصحاح الستَّة^(٤١٧).

* وكان ممَّا طعن فيه ابن كثير الحديث التالي:

«روى ابن مردويه، من طريق سفيان الثوري، عن أبي سنان، عن الضحَّاك، عن ابن عبَّاس، قال: كان

عليٌّ بن أبي طالب قائماً يصلي، فمرَّ سائل وهو راعٍ، فأعطاه خاتمه، فنزلت (إنَّما وليكم الله ورسوله) الآية».

قال ابن كثير: «الضحَّاك لم يلق ابن عبَّاس»^(٤١٨).

(٤١٢) تفسير القرآن العظيم ٢ : ٦٤ طبع دار القلم - بيروت، تصحيح فضيلة الشيخ خليل الميس.

(٤١٣) سير أعلام النبلاء ١٣ : ٢٦٣ رقم ١٢٩.

(٤١٤) تقريب التهذيب ١ : ٤١٩.

(٤١٥) تقريب التهذيب ٢ : ١١٠.

(٤١٦) تقريب التهذيب ٢ : ٢٨٧.

(٤١٧) تقريب التهذيب ١ : ٣١٨.

(٤١٨) تفسير القرآن العظيم ٣ : ١٣٨.

قلت:

إذا كان هذا فقط هو المطعن فالأمر سهل:

أما أولاً: فإنه - وإن قال بعضهم: «لم يلق ابن عباس» - قد ورد حديثه عنه في ثلاثة من الصحاح^(٤١٩).

وأما ثانياً: فإنه لو كانت روايته عن ابن عباس مرسلَةً، فالواسطة معلومة حتى عند القائل بإرسالها، فقد رووا عن شعبة، قال: «حدّثني عبدالمك بن ميسرة، قال: الضحّاك لم يلق ابن عباس، إنّما لقي سعيد بن جبير بالريّ، فأخذ عنه التفسير»^(٤٢٠).

وعليه، فرواياته عن ابن عباس في التفسير مسندة غير مرسلّة، إذ كلّها بواسطة «سعيد بن جبير» الثقة الثبت بالاتفاق، غير إنّه كان لا يذكر الوسطة لدى النقل تحفظاً على سعيد، لكونه مشرّداً مطارداً من قبل جلاوزة الحجاج الثقفي، وتحفظاً على نفسه أيضاً، لكونه قصد سعيداً في الريّ للأخذ عنه، وجعل يروي ما أخذه عنه وينشر رواياته بين الناس، لا سيّما مثل هذا الخبر الذي يُعدّ من جلائل مناقب أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام.

هذا، واعلم أنّ «ابن سنان» الراوي عن «الضحّاك» هو - بقريّة الراوي والمروي عنه - : «سعيد بن سنان البرجمي الكوفي، نزيل الريّ» قال الحافظ: «صدوق له أوهام» وعلم عليه علامة: مسلم، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه^(٤٢١).

ولا أستبعد أن يكون «ابن سنان» هذا أيضاً من المشردين اللاجئيين إلى الريّ خوفاً من الحجاج، وأن يكون إسقاط اسم «سعيد بن جبير» منه... والله العالم.

وكيف كان، فالرواية من الأسانيد المعتمدة الواردة في الباب.

فما بال أتباع ابن تيميّة يتغافلون عن هذه الأحاديث المعتمدة حتى عند تلميذه ابن كثير

الدمشقي؟!!

وما بالهم يتغافلون - خاصّة - عمّا رواه ابن أبي حاتم الذي ذكره ابن تيميّة - في كلامه الذي اعتمده مقلّده المفتري - في عداد «أهل العلم الكبار، أهل التفسير» الذين «لم يذكروا الموضوعات» في تفاسيرهم؟!!

(٤١٩) تهذيب الكمال ١٣ : ٢٩١.

(٤٢٠) تهذيب الكمال ١٣ : ٢٩٣.

(٤٢١) تقريب التهذيب ١ : ٢٩٨.

بل لقد عرفت أنّ المفسّرين مجمعون على نزول الآية المباركة في أمير المؤمنين عليه السلام، وأنّ كبار أئمة القوم معترفون بهذا الإجماع، وإنكاره من ابن تيميّة ومن على شاكلته «من أعظم الدعاوي الكاذبة».

وسياتي تفصيل الكلام على الآية المباركة، من الجهات المختلفة، في المراجعة رقم ٤٠، فانتظر، وبالله التوفيق.

* * *

آية المغفرة لمن اهتدى

قوله تعالى: (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى)^(٤٢٣).

قال السيّد:

«ألم يجعل المغفرة لمن تاب وآمن وعمل صالحاً، مشروطة بالاهتداء إلى ولايتهم، إذ يقول: (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى)؟!».

فقال في الهامش:

«قال ابن حجر في الفصل الأوّل من الباب ١١ من صواعقه ما هذا لفظه: الآية الثامنة قوله تعالى: (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى) قال: قال ثابت البناني: اهتدى إلى ولاية أهل بيته صلى الله عليه وآله [وآله] وسلّم.

قال: وجاء ذلك عن أبي جعفر الباقر أيضاً.

ثمّ روى ابن حجر أحاديث في نجاة من اهتدى إليهم عليهم السلام. وقد أشار بما نقله عن الباقر إلى قول الباقر عليه السلام للحارث بن يحيى: يا حارث! ألا ترى كيف اشترط الله، ولم تنفع إنساناً التوبة ولا الإيمان ولا العمل الصالح حتّى يهتدي إلى ولايتنا. ثمّ روى عليه السلام بسنده إلى جدّه أمير المؤمنين، قال: والله لو تاب رجل وآمن وعمل صالحاً ولم يهتد إلى ولايتنا ومعرفة حقنا ما أغنى ذلك عنه شيئاً. انتهى.

وأخرج أبو نعيم الحافظ، عن عون بن أبي جحيفة، عن أبيه، عن علي، نحوه.

وأخرج الحاكم عن كلّ من الباقر والصادق وثابت البناني وأنس بن مالك، مثله^(٤٢٣).

فقليل:

«هذه الآية من سورة طه، وهي مكّية، نزلت حيث لم يكن علي رضي الله عنه قد تزوّج بفاطمة، ولم ينقل هذا الرأي عن غير ثابت البناني، وعلى فرض صحّة النقل إلى ثابت البناني، فمن أدرانا

(٤٢٢) سورة طه ٢٠ : ٨٢.

(٤٢٣) المراجعات: ٢٨ - ٢٩.

أنه يريد بـ«أهل بيته صلى الله عليه [وآله] وسلّم» ما تريده الرافضة، من قصر مدلوله على أبناء علي وفاطمة فحسب.

أما الأحاديث التي رواها ابن حجر في صواعقه، فقد أشار إليها المؤلّف إشارةً مجملة، وهي أحاديث هالكة لا يحتجّ بها، ومنها: ما أخرجه الديلمي مرفوعاً: إنّما سمّيت ابنتي فاطمة لأنّ الله فطمها ومحبيها عن النار. قال فيه ابن الجوزي: فيه محمّد بن زكريا الفلابي^(٤٣٤) وهو من عمله. وقال ابن عراق: وفيه أيضاً: بشر بن إبراهيم الأنصاري. وجاء من حديث علي: قلت: يا رسول الله، لمسمّيت فاطمة؟ قال إنّ الله فطمها وذريّتها عن النار يوم القيامة. أخرجه ابن عساكر، وفي سنده من ينظر فيه. والله أعلم. تنزيه الشريعة ١ / ٤١٣».

أقول:

إنّ «أهل البيت» بمقتضى الكتاب - كما في آية التطهير - هم: النبيّ وعلي وفاطمة والحسن والحسين، وكذا سائر الأئمّة الاثني عشر، بمقتضى حديث الثقلين وحديث السفينة، ومن هنا صرح غير واحد من حفاظ القوم - بشرح الحديثين - بضرورة وجود من يكون منهم أهلاً للتمسك به والاهتداء والنجاة به في كلّ زمان.

فهذا ما دلّت عليه آيات الكتاب وأحاديث السنّة النبويّة القطعيّة، وليس شيئاً ترتبه أو تريده الشيعة، كما أنّه ليس مقصوراً على أبناء علي وفاطمة - أي الحسن والحسين - فحسب، كما جاء في كلام المفتري.

وحينئذ نقول: إنّ الله تعالى جعل المغفرة لمن تاب وآمن وعمل صالحاً مشروطة بالاهتداء إلى ولاية أهل البيت، سواء كان أهل البيت كلّهم أو بعضهم موجودين في عصر المهتدي إلى ولايتهم أو لا، كما في زماننا إذ لا يوجد منهم إلّا المهدي عليه السلام وهو غائب.

إنّ الاهتداء إلى ولاية أهل البيت كالاhtداء إلى الإيمان برسالة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم، من حيث إنّ الواجب على كلّ فرد مسلم هو الإيمان برسالته، وبكونه الأولى بالمؤمنين من أنفسهم، والاختداء به في جميع الأحوال، سواء كان معاصراً له أو في زمان متأخّر . . إلى يوم القيامة . . فكذلك الاهتداء إلى ولاية أهل بيته، فإنّ معناه اتّخاذهم أئمّة من بعده، وجعلهم القدوة في جميع الأحوال، وفي كلّ الأقوال والأفعال . .

(٤٣٤) كذا، والصحيح: الغلابي.

على أنه لو فرض ضرورة وجودهم عند نزول الآية المباركة، فقد كان رسول الله وعلي وفاطمة عليهم الصلاة والسلام موجودين في ذلك الوقت، ولم يكن الاهتداء إلى ولايتهم مشروطاً بتزوّج علي من فاطمة، وبوجود الحسنين، كما تبين ممّا ذكرنا.

و«ثابت البناني» لا يريد إلا هذا المعنى، وهو من رجال الصحاح الستة، وعن أحمد بن حنبل: «كان محدثاً، من الثقات المأمونين، صحيح الحديث»^(٤٢٥).

ووصفه الذهبي بـ«الإمام القدوة، شيخ الإسلام»، قال: «وكان من أئمة العلم والعمل»^(٤٢٦).

وقال الحافظ ابن حجر: «ثقة عابد»^(٤٢٧).

هذا، والسند إليه صحيح:

قال الحافظ الحاكم الحسكاني: «أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد الفقيه، قال: أخبرنا عبد الله بن محمد بن جعفر، قال: حدّثنا موسى بن هارون، قال: حدّثنا إسماعيل بن موسى الفزاري، قال: حدّثنا عمر بن شاعر البصري، عن ثابت البناني، في قوله: (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى)، قال: إلى ولاية أهل بيته»^(٤٢٨).

* فأما «الحاكم الحسكاني» فقد ترجمنا له في البحوث السابقة.

* وأما «أحمد بن محمد بن أحمد الفقيه» فهو: أبو بكر التميمي الأصفهاني النيسابوري، المتوفى

سنة ٤٣٠:

١ - قال الحافظ عبدالغافر الفارسي النيسابوري: «أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن الحارث، الإمام أبو بكر التميمي الأصبهاني، المقريء، الأديب، الفقيه، المحدث، الدين، الزاهد، الورع، الثقة، الإمام بالحقيقة، فريد عصره في طريقته وعلمه وورعه، لم يعهد مثله، ورد من أصبهان سنة ٤٠٩، فحضر مجالس النظر وأعجب الكلّ حسن بيانه وسكونه وتفنّنه في العلوم، وكان عارفاً بالحديث، كثير السماع، صحيح الأصول، فأخذ في الرواية إلى آخر عمره مقيماً بنيسابور...»

قرأت بخط الحسكاني - وكان من المكثرين عنه، المختصين بالاستفادة منه - أنه قال: توفي أبو الشيخ

بأصبهان سنة ٣٦٩ وهو ابن ٩٧ سنة»^(٤٢٩).

(٤٢٥) تهذيب الكمال ٤ : ٣٤٦.

(٤٢٦) سير أعلام النبلاء ٥ : ٢٢٠.

(٤٢٧) تقريب التهذيب ١ : ١١٥.

(٤٢٨) شواهد التنزيل ١ : ٣٧٦ / ٥٢٠.

(٤٢٩) المنتخب من السياق: ٨٩ / رقم ١٩٤.

٢ - وقال الذهبي: «أحمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن الحرث التميمي، أبو بكر الأصبهاني، المقرئ النحوي، سكن نيسابور، وتصدر للحديث ولأقراء العربية. وروى عن أبي الشيخ وجماعة، وروى السنن عن الدارقطني، توفي في ربيع الأول وله ٨١ سنة»^(٤٣٠).

٣ - وقال ابن العماد كذلك^(٤٣١).

* وأما «عبدالله بن محمد بن جعفر» فهو: أبو الشيخ الأصبهاني، المتوفى سنة ٣٦٩:

١ - قال الخطيب البغدادي: «كان أبو الشيخ حافظاً ثبتاً متقناً»^(٤٣٢).

٢ - وقال ابن مردويه: «ثقة مأمون»^(٤٣٣).

٣ - وقال أبو نعيم: «كان أحد الأعلام... وكان ثقة»^(٤٣٤).

٤ - وقال الذهبي: «أبو الشيخ: الإمام الحافظ الصادق...»^(٤٣٥).

* وأما «موسى بن هارون» فهو: موسى بن هارون بن عبدالله بن مروان الحمال، المتوفى سنة ٢٩٤:

١ - قال الخطيب: «كان ثقة عاملاً حافظاً»^(٤٣٦).

٢ - وقال الذهبي: «الإمام الحافظ الكبير الحجة الناقد، محدث العراق...»^(٤٣٧).

* وأما «إسماعيل بن موسى الفزاري» الكوفي، المتوفى سنة ٢٤٥:

١ - قال أبو حاتم: «صدوق»^(٤٣٨).

٢ - وذكره ابن حبان في الثقات^(٤٣٩).

٣ - وقال الذهبي: «صدوق شيعي»^(٤٤٠).

(٤٣٠) العبر في خبر من غير - حوادث سنة ٤٣٠ - ٢ : ٢٦٢.

(٤٣١) شذرات الذهب ٣ : ٢٤٥.

(٤٣٢) سير أعلام النبلاء ١٦ : ٢٧٨.

(٤٣٣) سير أعلام النبلاء ١٦ : ٢٧٨.

(٤٣٤) سير أعلام النبلاء ١٦ : ٢٧٩.

(٤٣٥) سير أعلام النبلاء ١٦ : ٢٧٦.

(٤٣٦) تاريخ بغداد ١٣ : ٥٠.

(٤٣٧) سير أعلام النبلاء ١٢ : ١١٦.

(٤٣٨) الجرح والتعديل ٢ : ١٩٦ رقم ٦٦٦.

(٤٣٩) الثقات - لابن حبان ٨ - ١٠٤ : ١٠٥.

(٤٤٠) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ١ : ٧٨، رقم ٤١٤.

٤ - وقال المزي: «روى عنه: البخاري في كتاب أفعال العباد. وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وأبو يعلى، و...»^(٤٤١).

* وأما «عمر بن شاعر البصري» فإنه:

١ - من رجال الترمذي، وقد قال: «شيخ بصري، يروي عنه غير واحد من أهل العلم»^(٤٤٢).

٢ - وذكره ابن حبان في الثقات^(٤٤٣).

٣ - وقال البخاري: «مقارب الحديث»^(٤٤٤).

بقي الكلام حول شواهد تفسير الآية:

هذا، ويشهد بذلك أحاديث كثيرة، ومن ذلك:

الأحاديث التي رواها ابن حجر في صواعقه، وهذا كلامه بطوله:

«الآية الثامنة: قوله تعالى: (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى)، قال ثابت البناني: اهتدى إلى ولاية

أهل بيته صلى الله عليه [وآله]

وسلم، وجاء ذلك عن أبي جعفر الباقر أيضاً.

وأخرج الديلمي مرفوعاً: إنما سميت ابنتي فاطمة لأن الله فطمها ومحبيها عن النار.

وأخرج أحمد، إنه صلى الله عليه [وآله] وسلم أخذ بيد الحسنين، وقال: من أحبني وأحب هذين

وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة. ولفظ الترمذي - وقال: حسن غريب - : كان معي في

الجنة.

ومعنى المعية هنا معية القرب والشهود، لا معية المكان والمنزل.

وأخرج ابن سعد عن علي: أخبرني رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: إن أول من يدخل الجنة

أنا و فاطمة والحسن والحسين. قلت: يا رسول الله: فمحبونا؟ قال: من ورائكم»^(٤٤٥).

أقول:

فهذه عدة أحاديث أوردها ابن حجر المكي في ذيل الآية المباركة، لتكون شواهد لقول ثابت البناني.

(٤٤١) تهذيب الكمال ٣ : ٢١٠.

(٤٤٢) صحيح الترمذي ٤ : ١١٠ / ٢٢٦٠.

(٤٤٣) الثقات ٥ : ١٥١.

(٤٤٤) هامش تهذيب الكمال ٢١ : ٣٨٥.

(٤٤٥) الصواعق المحرقة: ٢٣٥.

قال المفتري:

«وهي أحاديث هالكة لا يحتجُّ بها، ومنها ما أخرجه الديلمي...».

قلت:

الأحاديث المذكورة ثلاثة، أحدها: ما أخرجه الديلمي... والثاني: ما

أخرجه أحمد والترمذي... والثالث: ما أخرجه ابن سعد... .

وكُلُّها أحاديث هالكة لا يحتجُّ بها!؟

إنَّ هذا الموضوع ممَّا يذكِّرنا قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - في الحديث المتفق عليه - :

«إذا لم تستح فاصنع ما شئت».

ونحن نتكلَّم باختصار حول الحديث في **المسند وصحيح الترمذي**، ثمَّ نتعرَّض لما قاله حول ما

أخرجه الديلمي:

* لقد جاء في المسند ما نصّه: «حدَّثنا عبدالله، حدَّثني نصر بن علي الأزدي، أخبرني علي بن جعفر بن محمَّد بن علي بن الحسين بن علي، حدَّثني أخي موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمَّد، عن أبيه، عن علي بن الحسين - رضي الله عنه - ، عن أبيه، عن جدّه، أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [وأله] أخذ بيد حسن و حسين - رضي الله عنهما - فقال: من أحبَّني وأحبَّ هذين وأباهما وأمَّهما كان معي في درجتي يوم القيامة»^(٤٤٦).

وجاء في **صحيح الترمذي**: «حدَّثنا نصر بن علي الجهضمي، أخبرنا علي بن جعفر...»^(٤٤٧).

أمَّا «عبدالله» فهو الإمام الحافظ الثبت عند جميعهم بلا كلام، وكذا «الترمذي».

وأما «نصر بن علي» فهو الجهضمي الثقة الثبت بالاتفاق.

وأما «علي بن جعفر» فمقبول عندهم كما نصَّ عليه الحافظ^(٤٤٨) وشارح الترمذي^(٤٤٩).

وهو يرويه عن آبائه الطاهرين أمّة أهل البيت عليه السلام، الذين لا يتكلَّم في واحد منهم إلا من

خبثت طينته ولم تطب ولادته!!

* وأمَّا ما أخرجه الديلمي مرفوعاً:

(٤٤٦) مسند أحمد ١ : ١٢٥ / ٥٧٧.

(٤٤٧) الجامع الكبير ٦ : ٩٢ / ٣٧٣٣ باب مناقب أمير المؤمنين عليه السلام.

(٤٤٨) تقريب التهذيب ٢ : ٣٣.

(٤٤٩) تحفة الأhoodي ١٠ : ٢٣٧.

فقد رواه الخطيب البغدادي بإسناده عن ابن عباس - في حديث - قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «وإنما سماها فاطمة لأن الله تعالى...» ثم قال:

«في إسناده هذا الحديث من المجهولين غير واحد، وليس بثابت»^(٤٥٠).

وغاية هذا أن يكون الحديث بهذا الإسناد ضعيفاً، وأما كونه موضوعاً وبجميع أسانيده فكذب وزور، والخطيب لا يقول ذلك... فما رواه ابن حجر ليس موضوعاً.

لكن ابن الجوزي ذكره في الموضوعات على عادته في التسرع بالحكم بالوضع، وخاصة في ما يتعلّق بأهل البيت عليهم السلام.

ثم ذكر بعده ما رواه بإسناده عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما سميت فاطمة لأن الله تعالى فطم محبيها عن النار».

فقال بعد هذا الحديث: «هذا عمل الغلابي، وقد ذكرنا عن الدارقطني أنه كان يضع الحديث»^(٤٥١).

قلت:

قد ذكرنا في البحوث السابقة أن «الغلابي» - وهو شيخ الحافظ الطبراني - مؤرخ محدث لا سبيل للطعن فيه، وإنما تكلم فيه من تكلم لتشيعه لأهل البيت، وقد ثبت أن التشيع لا يضر بالوثاقة، كما نص عليه القوم كالحافظ ابن حجر في مقدّمة فتح الباري.

لكن ابن الجوزي معروفاً بالتعصب والتعنّت، وقد نصّ غير واحد من أئمة القوم كابن الصلاح والنووي والسيوطي على أن كتابه الموضوعات اشتمل على ما ليس بموضوع بكثرة، ولذا تعقّب غير واحد من الحفاظ كالسيوطي في كتابه اللآلئ المصنوعة والتعقبات على الموضوعات.

وفي هذا الموضوع أيضاً تعقّب السيوطي في اللآلئ المصنوعة^(٤٥٢) وكذا ابن عراق في تنزيه الشريعة^(٤٥٣) ورداً عليه الحكم بوضع هذه الأحاديث... .

لكن المفتري لا يشير إلى شيء من ذلك، بل يوهم أن ابن عراق موافق لابن الجوزي في الحكم على هذه الأحاديث بالوضع!!

ثم إن من أحاديث الباب ما عن ابن مسعود وغيره، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فاطمة أحصنت فرجها فحرّم الله ذريتها على النار».

(٤٥٠) تاريخ بغداد ١٢ : ٣٣١.

(٤٥١) الموضوعات ١ : ٤٢١ - ٤٢٢.

(٤٥٢) اللآلئ المصنوعة ١ : ٤٠٠ - ٤٠١.

(٤٥٣) تنزيه الشريعة المرفوعة ١ : ٤١٣.

وقد أدرجه أيضاً ابن الجوزي في **الموضوعات**، بل قال إمام أهل الضلال ابن تيمية في منهاجه: «كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث»^(٤٥٤).

لكن هذا الحديث مما صححه الحاكم في **مستدرکه**^(٤٥٥).

وأخرجه الجهم الغفير من أئمة الحديث، ونحن نكتفي بما ذكره العلامة المحقق المغفور له السيد عبدالعزيز الطباطبائي، تقديراً لجهده، وتخليداً لذكوره، فإنه قال: «حديث: إن فاطمة أحصت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار.

أخرجه البزار في مسنده ٥ / ٢٢٣ ح ١٨٢٩، وأبو يعلى في مسنده الكبير كما في المطالب العالية ٤ / ٧٠ ح ٣٩٨٧، والطبراني في المعجم الكبير ٢٢ / ٤٠٦ ح ١٠١٨.

وأخرجه الحافظ ابن شاهين في كتاب فضائل فاطمة بثلاثة طرق: ح ١٠ و ح ١١ و ح ١٢، وليس في الأخيرين عمر بن غياث، وأخرجه في كتاب السنة كما يأتي من السيوطي.

وأخرجه الدارقطني في العلل ٥ / ٦٥ سؤال ٧١٠، والحاكم في المستدرک ٣ / ١٥٢، وأخرجه تمام الرازي في فوائده بثلاثة طرق (الروض البسام ٤ / ٣١٥ - ٣١٨ رقم ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٤ / ١٨٨، والمهرواني في فوائده كما في الروض البسام ٤ / ٣١٧ و ٣١٨.

وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٣ / ٥٤، وابن المغازلي في كتاب مناقب أمير المؤمنين عليه السلام: ٣٥٣ ح ٤٠٣، والخطيب الخوارزمي في مقتل الحسين عليه السلام ١ / ٥٥، والحافظ ابن عساكر في تاريخه ج ٥ ق ٢٣ / ب و ج ١٧ ق ٣٨٦ / ب.

وأخرجه المزني في تهذيب الكمال ٣٥ / ٢٥١، والمحجب الطبري: ٢٦ و ٤٨، والكنجي في كفاية الطالب: ٢٢٢ من الطبعة الأولى و ص ٣٦٦ من الطبعة الثانية، والزرندي في نظم درر السمطين: ١٨٠، والذهبي في تهذيب تهذيب الكمال في ترجمتها عليها السلام، والخزرجي في خلاصته ٣ / ٣٨٩، والحافظ العسقلاني في زوائد مسند البزار وفي المطالب العالية النسخة المسندة: ق ١٥٥ / ب، والسيوطي في الثغور الباسمة: ٤٦، وفي إحياء الميت: ح ٣٨، قال: أخرج البزار وأبو يعلى والعقيلي وابن شاهين في السنة... .

والمتقي في كنز العمال: ح ٣٤٢٢٠، والزرقاني في شرح المواهب اللدنية ٣ / ٢٠٣، والصبان في إسعاف الراغبين: ١٢٠، والشبلنجي في نور الأبصار: ٤١، والدوسري في الروض البسام ٤ / ٣١٥»^(٤٥٦).

(٤٥٤) منهاج السنة ٤ : ٦٢.

(٤٥٥) المستدرک على الصحيحين ٣ : ١٥٢.

(٤٥٦) تعليقة الغدير ٣ : ٢٤٩ الطبعة الحديثة.

شواهد أُخرى:

هذا، وهناك شواهد أخرى كثيرة في الأحاديث النبوية، وكلها صريحة في أن الله سبحانه جَعَلَ المغفرة مشروطة بولاية أهل البيت عليهم السلام، وأنَّ الله سبحانه يغفر لشيعتهم، والملائكة تستغفر لمذنبهم، وأنَّ الجنة محرمة على من آذاهم وأبغضهم وخالفهم... ومن ذلك:

* وما أخرجه أحمد والحاكم - وصحَّه - وجماعة، عن عمَّار، عن رسول الله.

قال الحاكم: «أخبرنا أحمد بن جعفر القطيعي، ثنا عبدالله بن أحمد

ابن حنبل، قال: حدَّثني أبي حدَّثنا سعيد بن محمَّد الوراق، عن علي بن الحزور، قال: سمعت أبا مريم الثقفي يقول: سمعت عمَّار بن ياسر - رضي الله عنه - يقول: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول لعلي:

يا علي! طوبى لمن أحبَّك وصدَّقَ فيك، وويل لمن أبغضك وكذَّبَ فيك.

هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»^(٤٥٧).

وتكلَّم في «سعيد بن محمَّد الوراق»، وقد وثَّقه الحاكم وابن حبان، وأخرج له الترمذي وابن ماجه،

وهو من مشايخ أحمد بن حنبل.

وفي «علي بن الحزور»، وقد بيَّن الحافظ السبب بقوله: «متروك، شديد التشيع»^(٤٥٨)، مع أنه قد

نصَّ في مقدمة فتح الباري على أن التشيع بل الرفض غير مضرَّ بالوثاقة.

* وروى الحافظ ابن كثير في تاريخه، قال: «وقال غير واحد عن أبي الأزهر أحمد بن الأزهر: ثنا

عبدالرزاق، ثنا معمر، عن الزهري، عن عبدالله ابن عبيدالله، عن ابن عباس، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

[وآله] وسلَّم نظر إلى علي فقال: أنت سيِّد في الدنيا سيِّد في الآخرة، من أحبَّك فقد أحبَّني، وحببيكحبيب

الله، ومن أبغضك فقد أبغضني، وبغيضك بغيض الله، وويل لمن أبغضك من بعدي»^(٤٥٩).

رواه ابن كثير ولم يتكلَّم عليه بشيء بالرغم من تكلمه في كثير غيره.

* وأخرجه الحافظ الهيثمي عن ابن عباس باختلاف، فقال: «رواه

الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات».

(٤٥٧) المستدرک علی الصحیحین ٣ : ١٣٥.

(٤٥٨) تقریب التهذیب ٢ : ٣٣.

(٤٥٩) البداية والنهاية ٧ : ٣٥٥.

لكنه - بعد الشهادة بصحته - لم تطق نفسه فقال: «إلا أن في ترجمة أبي الأزهر أحمد بن الأزهر النيسابوري أن معمرًا كان له ابن أخ رافضي، فأدخل هذا الحديث في كتبه، وكان معمرًا مهيباً لا يراجع، وسمعه عبدالرزاق»^(٤٦٠).

فانظر كيف يطعن في عدّة من أئمة الحديث ليطعن في حديث من فضائل أمير المؤمنين!! وهذا أسلوب آخر يتبعونه بعض الأحيان لإسقاط أخبار مناقب الوصي، أما مناقب غيره المزعومة فلا مجال فيها لمثل هذا الأسلوب!!

ثم إن مما يزيد في التعجب: أن يكون «ابن كثير» هنا أقل من «الهيثمي» في التعصب!! * وروى الهيثمي «عن عبدالله بن نجى، أن علياً أتي يوم النضير بذهب وفضة فقال: ابصّي واصفري وغمري وغمري، غري أهل الشام غداً إذا ظهروا عليك، فشقّ قوله ذلك على الناس، فذكر ذلك له، فأذن في الناس، فدخلوا عليه، قال: إن خليلي صلى الله عليه [وآله] وسلّم قال: يا علي! إنك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين، ويقدم عليه عدوك غضاباً مقمحين، ثم جمع يده إلى عنقه يريهم الإقماح».

قال الهيثمي: «رواه الطبراني في الأوسط. وفيه جابر الجعفي، وهو ضعيف»^(٤٦١).

وهذا من التعصب أيضاً! فإن جابراً من رجال ثلاثة من الصحاح، فقد أخرج عنه أبو داود والترمذي وابن ماجه، وروى عنه من الأئمة الأعلام: إسرائيل بن يونس، وزهير بن معاوية، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وشريك بن عبدالله، وشعبة بن الحجاج، ومعمر بن راشد، وأبو عوانة، وآخرون.

ثم رووا عن سفيان: «كان جابر ورعاً في الحديث، ما رأيت أروع في الحديث منه».

وعن شعبة: «جابر صدوق في الحديث».

وعن زهير بن معاوية: «إذا قال سمعت، أو سألت، فهو من أصدق الناس».

وعن وكيع: «مهما شككتكم في شيء فلا تشكّوا في أن جابراً ثقة».

وعن سفيان الثوري أنه قال لشعبة: «لئن تكلمت في جابر الجعفي لأتكلمنّ فيك»^(٤٦٢).

لكن جابراً من علماء الشيعة، قال الذهبي: «جابر بن يزيد [د، ت، ق] بن الحارث الجعفي

الكوفي، أحد علماء الشيعة»^(٤٦٣)، وكان يشتم أصحاب النبي^(٤٦٤) وكان يؤمن بالرجعة^(٤٦٥).

(٤٦٠) مجمع الزوائد ٩ : ١٣٣، المعجم الأوسط - للطبراني - ٥ : ١٦٦ ح ٤٧٥١.

(٤٦١) مجمع الزوائد ٩ : ١٣١.

(٤٦٢) تهذيب الكمال ٤ : ٤٦٧.

(٤٦٣) ميزان الاعتدال ١ : ٣٧٩.

(٤٦٤) ميزان الاعتدال ١ : ٣٨٣.

(٤٦٥) ميزان الاعتدال ١ : ٣٨٠.

إذًا، لا بُدَّ من جرحه وإسقاط أحاديثه!

قال ابن عديّ: «له حديث صالح، وقد روى عنه الثوري الكثير، مقدار خمسين حديثاً، وشعبة أقلّ رواية عنه من الثوري، وقد احتمله الناس ورووا عنه، وعمامة^(٤٦٦) ما قذفوه به أنّه كان يؤمن بالرجعة. ولم يختلف أحد في الرواية عنه، وهو مع هذا كلّه أقرب إلى الضعف منه إلى الصدق»^(٤٦٧).

إلاً أنّهم وقعوا في مشكلة شديدة؛ فإنّ الرجل لم يختلفوا في الرواية عنه، والكلمات التي يروونها في حقّه كلمات جليّة، من رجال عظماء، كسفيان الثوري، ومعمّر، وشعبة... حتّى إنّهم يروون أنّ بعض الأكابر كسفيان بن عيينة كان من أشدّهم قولاً فيه، أو نهى عن السماع منه، لعقيدته، ومع ذلك لم يترك الرواية عنه، وقد حدّث عنه الحديث الكثير... .

فابتدعوا هنا أسلوباً آخر، فقال أحدهم - وهو في معرض جرح الرجل - : «وأما شعبة وغيره من شيوخنا - رحمهم الله تعالى - فإنّهم رأوا عنده أشياء لم يصبروا عنها وكتبوها ليعرفوها، فرمّا ذكر أحدهم عنه الشيء بعد الشيء على جهة التعجّب، فتداوله الناس بينهم»^(٤٦٨).

فانظر كيف يتلاعبون بالروايات والسُنن... .

فتارةً يقولون: إنّ «معمراً» كان له ابن أخ رافضي، فأدخل الحديث أو الأحاديث في كتب معمّر، فلم يشعر معمّر بذلك ولا تلامذته كعبدالرزاق ابن همام، ولا غيرهم... حتّى وصلت إلينا بأسانيد صحيحة...!!

وأخرى يقولون: إنّ شعبة ومعمراً وغيرهما كتبوا أحاديث جابر وهم غير مصدّقين بها، وإمّا ليعرفوها! ثمّ جعلوا يحدثون بها لتلامذتهم على جهة التعجّب، لكنّ التلامذة كتبوها غير ملتفتين إلى ذلك، وتداولها الناس بينهم... حتّى وصلت إلينا بأسانيد صحيحة...!!

ثمّ يأتي دور القسّم، فإنّهم بعدما رأوا أنّ السند صحيح، ولا مجال للطعن فيه بشكل من الأشكال، قالوا: «لا والله»، ومن ذلك قول الذهبي - بعد حديث في مناقب الصديقة الطاهرة بضعة الرسول، صحّحه الحاكم في كتاب المستدرک - : «لا والله بل موضوع»^(٤٦٩).

(فويلّ لهم ممّا كتبت أيديهم وويلّ لهم ممّا يكسبون)^(٤٧٠).

(٤٦٦) كذا، ولعلّه: وغاية.

(٤٦٧) تهذيب الكمال ٤ : ٤٦٩.

(٤٦٨) كتاب المجروحين - لابن حبان - ١ : ٢٠٩، عنه في هامش تهذيب الكمال ٤ : ٤٧٠.

(٤٦٩) المستدرک على الصحيحين ٣ : ١٥٣.

(٤٧٠) سورة البقرة ٢ : ٧٩.

* * *

آية عرض الأمانة

قوله تعالى: (إنا عرضنا الأمانة...) (٤٧١)

قال السيّد طاب ثراه:

«أم تكن ولايتهم من الأمانة التي قال الله تعالى: (إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً).

فقال في الهامش:

«راجع معنى الآية في الصافي وتفسير علي بن إبراهيم وما رواه ابن بابويه في ذلك عن كل من الباقر والصادق والرضا، وما أورده العلامة البحريني في تفسيرها من حديث أهل السنة، في الباب ١١٥ من كتابه غاية المرام» (٤٧٢).

أقول:

كتاب الصافي هو تفسير للقرآن الكريم بالأخبار الواردة عن الأمة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام، وهو من تأليف الشيخ محمد محسن الفيض الكاشاني، المتوفى سنة ١٠٩١.

وكذا تفسير الشيخ علي بن إبراهيم القمي.

* وابن بابويه هو: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين القمي، المتوفى سنة ٣٨١.

ويلقب عند الإمامية ب: (الصدوق) و(رئيس المحدثين).

ترجم له الخطيب في تاريخه إذ قال: «محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، أبو جعفر القمي، نزل بغداد وحديث بها عن أبيه، وكان من شيوخ الشيعة ومشهوري الرافضة، حدثنا عنه محمد بن طلحة النعالي...» (٤٧٣).

(٤٧١) سورة الأحزاب ٣٣ : ٧٢.

(٤٧٢) المراجعات: ٢٩.

وقال الذهبي: «ابن بابويه، رأس الإمامية، أبو جعفر محمد بن العلامة علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، صاحب التصانيف السائرة بين الرافضة. يضرب بحفظه المثل. يقال: له ٣٠٠ مصنف... . وكان أبوه من كبارهم ومصنفيهم. حدّث عن أبي جعفر جماعة، منهم: ابن النعمان المفيد، والحسين بن عبدالله بن الفخّام، وجعفر بن حسنكيه القمي»^(٤٧٤).

قلت:

والنعالي - شيخ الخطيب - هو: محمد بن طلحة بن محمد بن عثمان، المتوفى سنة ٤١٣: قال الخطيب: «كتبت عنه، وكان رافضياً» قال: «حدّثني أبو القاسم الأزهرى، قال: ذكر ابن طلحة بحضرتي يوماً معاوية بن أبي سفيان فلعنه»^(٤٧٥).
* وأما علي بن إبراهيم - صاحب التفسير - فقد ترجم له ابن حجر العسقلاني وقال: «رافضي جلد، له تفسير فيه مصائب. يروي عن: ابن أبي داود وابن عقدة وجماعة». وهو علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، ذكره أبو جعفر الطوسي في مصنفي الإمامية، وذكره محمد بن إسحاق النديم في الفهرست»^(٤٧٦).

أقول:

المقصود أنّهم ترجموا لعلي بن إبراهيم ولابن بابويه، وهم وإن أوجزوا - كما هي عادتهم عندما يترجمون لعلماء الإمامية - لم يطعنوا فيهما ولم يجرحوا... .

* * *

(٤٧٣) تاريخ بغداد ٣ : ٨٩.

(٤٧٤) سير أعلام النبلاء ١٦ : ٣٠٣.

(٤٧٥) تاريخ بغداد ٥ : ٣٨٤.

(٤٧٦) لسان الميزان ٤ : ١٩١.

آية الدخول في السلم

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان)^(٤٧٧).

قال السيّد:

«ألم تكن من السلم الذي أمر الله بالدخول فيه فقال: (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان)؟!».

فقال في الهامش:

«أخرج العلامة البحريني في الباب ٢٢٤ من كتابه غاية المرام اثني عشر حديثاً من صحاحنا في نزولها بولاية علي والأئمة من بنيه، والنهي عن أتباع غيرهم. وذكر في الباب ٢٢٣ أنّ الأصفهاني الأموي روى ذلك عن علي من عدة طرق»^(٤٧٨).

أقول:

«الأصفهاني الأموي» هو: أبو الفرج علي بن الحسين صاحب كتاب (الآغاني) وكتاب (مقاتل الطالبين) المتوفى سنة: ٣٥٦، ينتهي نسبه إلى مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، وكان أديباً فاضلاً، عالماً بأيام الناس والأنساب والسير، روى عنه جماعة من كبار الأئمة، كالدارقطني، وصنّف كتباً كثيرة، أشهرها ما ذكرناه، وهما مطبوعان منتشران، ومصنفاته الأخرى مخطوطة أو مفقودة، منها كتاب ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين عليه السلام وهو الكتاب الذي نقل عنه السيّد البحراني المتوفى سنة ١١٠٧ في كتابه غاية المرام بلا واسطة ممّا يدلّ على وجوده عنده، وقد ذكر هذا الكتاب لأبي الفرج الشيخ أبو جعفر الطوسي، حيث ترجم له فقال: «له كتاب الآغاني، كبير. وكتاب مقاتل الطالبين، وغير ذلك من الكتب، وكتاب ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين وأهل بيته عليهم السلام، وكتاب فيه كلام فاطمة عليها

(٤٧٧) سورة البقرة ٢: ٢٠٨.

(٤٧٨) المراجعات: ٢٩.

السلام في فذك. وغير ذلك من الكتب» ثم قال الشيخ أبو جعفر: «أخبرنا عنه جماعة منهم أحمد بن عبدون بجميع كتبه ورواياته. وروى عنه الدوري»^(٤٧٩).

وكذا سماه شيخنا الطهراني في الذريعة^(٤٨٠) وسماه ابن شهرآشوب باسم: كتاب التنزيل في أمير المؤمنين^(٤٨١) وتبعه بعض المؤلفين في التراجم كصاحب ريحانة الأدب في المعروفين بالكنية واللقب.

* * *

(٤٧٩) الفهرست: ٥٤٤ رقم ٨٩٩.

(٤٨٠) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ١٩ : ٢٨.

(٤٨١) معالم العلماء: ١٤١.

آية السؤال عن النعيم

قوله تعالى: (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم)^(٤٨٢)

قال السيّد:

«أليست هي النعيم الذي قال الله تعالى: (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم)؟!».

فقال في الهامش:

«أخرج العلامة البحريني في الباب ٤٨ من كتابه غاية المرام ثلاثة أحاديث من طريق أهل السُنَّة في أنّ النعيم هو ما أنعم الله على الناس بولاية رسول الله وأمير المؤمنين وأهل البيت، وأخرج في الباب ٤٩ اثني عشر حديثاً من صحاحنا في هذا المعنى، فراجع»^(٤٨٣).

ف قيل - بعد الآية التي فيها ذكر «الأمانة» - :

«لم يقل أحد من المفسرين الذين يعتدّ بأقوالهم أنّ الولاية - بمفهوم الرافضة - من الأمانة، ولهذا أحال المؤلف في الحواشي على تفاسير الرافضة وكتبهم، ومنها: الصافي وبلوغ المرام^(٤٨٤)، وهي ليست حجة».

وكمثال على ذلك: فإنّ صاحب الصافي هذا ممّن يقول بتحريف القرآن الكريم، وممّن يسبّ الصحابة سباً مقدعاً، بل ويكفرهم في تفسيره المذكور.

راجع: التعليق على هذه المراجعة، منهج الشيعة في التفسير».

أقول:

(٤٨٢) سورة التكاثر ١٠٢ : ٨.

(٤٨٣) المراجعات: ٢٩.

(٤٨٤) كذا، والصحيح: غاية المرام.

هذا كلامه في التعليق على الاستدلال بالآية التي فيها ذكر «الامانة»، أما الآيتين؛ التي فيها الأمر بالدخول في «السلم»، والتي فيها السؤال عن «النعيم» فلم يعلق عليهما بشيء، مع أن السيد لم يرجع فيهما إلى شيء من تفاسير غير الإمامية.

وأما إرجاع السيد إلى كتاب غاية المرام فإنه هو للوقوف على روايات أهل السنة الموجودة فيه، فإنه كتاب جامع بين روايات الخاصة والعامة في كل مورد، ولذا سماه مؤلفه - المحدث الثقة الجليل السيد هاشم بن سليمان البحراني، المتوفى سنة ١١٠٧ أو ١١٠٩ - ب: غاية المرام في حجة الخصام عن طريق الخاص والعام، وقال في مقدمته: «إني ذاك في هذا الكتاب ما هو الحجة على الخاص والعام في النص على الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ بالنص من الرسول برواية الصحابة والتابعين عن النبي، بأن الإمام بعده أمير المؤمنين علي... من طرق العامة والخاصة، عن المشايخ الثقات عند الفريقين، مما سطره في مصنفاتهم المعلومة عند الفتيين، وكتابي هذا يطلعك على ما ذكرت لك، مروى من صحاح العامة المتفق على صحتها عندهم، فهم لا يتهمون في نقل ذلك المروي عن ثقافتهم وفحول رجالهم...».

إذن، فإن الإرجاع إلى غاية المرام في الحقيقة إرجاع إلى الكتب السنية المنقولة رواياتها فيه، إلى جنب روايات الخاصة المنقولة عن الكتب المعتمدة عندهم... وليس إرجاعاً إلى كتاب من كتب الإمامية كي لا يكون حجة عند الخصم.

على أنه إذا لم تكن كتب الشيعة حجة عند أهل السنة، فكتب أهل السنة أيضاً ليست بحجة عند الشيعة، فلماذا لا نجد في بحوث هؤلاء المتطقلين إلا الاجترار والتكرار المخزي لما جاء في كتب أبناء تيمية وكثير والجوزي؟!.

وعلى الجملة، فإن تفسير «الامانة» و«السلم» و«النعيم» بـ«ولاية أهل البيت» وارد في كتب الفريقين وبروايات الطرفين، وهذا هو المقصود إثباته.

ولا يقدح في ذلك كون صاحب الصافي «يسبُ الصحابة» أو يقول «بتحريف القرآن». على أن أحداً من الإمامية - لا صاحب الصافي ولا غيره - لا يسبُ الصحابة، وإنما هو اللعن للمنافقين منهم، وهذا أمر واجب كتاباً وسنةً، بل هو ضروري من ضروريات الإسلام. كما إننا قد أشرنا - في موضعه سابقاً - إلى مسألة تحريف القرآن، وإن أهل العلم والفضل من المسلمين يعرفون القائل به من النافي له، وقد حققنا ذلك في كتاب مستقل منتشر، أسميناه ب: التحقيق في نفي التحريف عن القرآن الشريف، فمن شاء التفصيل فليرجع إليه.

هذا، ولكنَّ الغرض من التعرُّض لمثل هذه الأمور في مثل هذا المقام هو التحريف والتغفيل كما هو
شأن أهل الغواية والتضليل.
والله الهادي إلى سواء السبيل.

* * *

آية التبليغ

قوله تعالى: (يا أيها الرسول بلِّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلِّغ رسالته...) (٤٨٥).

قال السيّد:

«ألم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتبليغها؟! ألم يضيّق عليه في ذلك بما يشبه التهديد من الله عزّ وجلّ حيث يقول: (يا أيها الرسول بلِّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلِّغ رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين)».

ثمّ قال في الهامش:

«أخرجه غير واحد من أصحاب السنن، كالإمام الواحدي في سورة المائدة من كتابه أسباب النزول عن أبي سعيد الخدري، قال: نزلت هذه الآية يوم غدیر خمّ في عليّ بن أبي طالب. وأخرجه الإمام الثعلبي في تفسيره بسندين. ورواه الحموي الشافعي في فرائده بطرق متعددة عن أبي هريرة مرفوعاً. ونقله أبو نعیم في كتابه نزول القرآن بسندين، أحدهما عن أبي رافع، والآخر عن الأعمش عن عطية، مرفوعين.

وفي غاية المرام تسعة أحاديث من طريق أهل السنّة، وثمانية صحاح من طريق الشيعة بهذا المعنى، فراجع منه باب ٣٧ وباب ٣٨» (٤٨٦).

فقیل:

«الخبر الذي ساقه الواحدي هو: أخبرنا أبو سعيد محمد بن عليّ الصفّار، قال: أخبرنا الحسن بن أحمد المخلّدي، قال: أخبرنا محمد بن حمدون، قال: حدّثنا محمد إبراهيم الخلوّقي (٤٨٧)، قال: حدّثنا

(٤٨٥) سورة المائدة ٥ : ٦٧.

(٤٨٦) المراجعات: ٢٩ - ٣٠.

(٤٨٧) كذا، والصحيح: الحلواني.

الحسن بن حمّاد سجّادة، قال: حدّثنا عليّ بن عابس، عن الأعمش وأبي حجاب^(٤٨٨)، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: نزلت هذه الآية: (يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك) يوم غدِير خَمّ في عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. أسباب النزول: ١٣٥.

وعطيّة هو العوفي، قال عنه الإمام أحمد: ضعيف الحديث، ثمّ قال: بلغني أنّ عطية كان يأتي الكلبى ويسأله عن التفسير، وكان يكتّبه بأبي سعيد فيقول: قال أبو سعيد. وقال أبو حاتم: ضعيف.

وقال ابن عدّي: وكان يعدّ مع شيعة الكوفة.

وقال ابن حبان - بعد أن ذكر قصّته مع الكلبى - : لا يحلّ كتب حديثه إلاّ على سبيل التعجّب.

وقال أبو داود: ليس بالذي يعتمد عليه.

وقال الساجي: كان يقدّم عليّاً على الكلّ^(٤٨٩).

وقال ابن حجر في التّريب: صدوق، يخطئ كثيراً، كان شيعياً مدلساً^(٤٩٠).

وأما عليّ بن عابس الأسدي، فقال عنه ابن معين: كأنّه ضعيف، وفي رواية عنه: ليس بشيء.

وقال ابن حبان: فحش خطاؤه فاستحقّ الترك.

وقال ابن عدّي: له أحاديث حسان، ويروي عن أبان بن تغلب وغيره أحاديث غرائب^(٤٩١).

ومن هذا يتبيّن أن احتفال المؤلّف بهذا الحديث لن يغنيه شيئاً. وقد عرفت سابقاً أنّ الواحدى وشيخه الثعلبي قد ملئا كتابيهما بالأحاديث الضعيفة والموضوعة فلا يعتدّ بهما.

وفي عدّه الواحدى من أصحاب السنن مجازفة، وهو وشيخه ليسا من أئمّة الحديث ولا من علمه

في شيء. والله المستعان.

وأقول:

اعلم أنّ السيّد رحمه الله قد استدلّ بهذه الآية المباركة مرّة أخرى، وذلك في المراجعة رقم ٥٦،

ونصّ هناك على أنّ: «أخبارنا في ذلك متواترة عن أئمّة العترة الطاهرة».

أمّا من أهل السنّة فاكتفى في الموضوعين بالنقل عن الإمام أبي إسحاق الثعلبي، المتوفّى سنة ٤٢٧

أو ٤٣٧، والإمام أبي الحسن الواحدى، المتوفّى سنة ٤٦٨، والحافظ أبي نعيم الأصفهاني، المتوفّى سنة ٤٣٠،

(٤٨٨) كذا، والصحيح: جحاف.

(٤٨٩) تهذيب التهذيب ٧: ٢٠١ - ٢٠٢.

(٤٩٠) تقريب التهذيب ٢: ٢٤.

(٤٩١) تهذيب التهذيب ٧: ٣٠١ - ٣٠٢.

والإمام الحموي الشافعي، المتوفى سنة ٧٢٢. وقد نصّ في المراجعة ٥٦ على صحّة بعض أسانيد هذه الروايات... .

فأقول - تعقيباً لكلامه وتتميماً لمرامه - :

أولاً: إنّه قد اكتفى بالنقل عن هؤلاء الأئمّة لغرض الاختصار، وإلاّ فرواة نزول الآية المباركة يوم غدیر خمّ من أعلام أئمة أهل السنّة كثيرون، ومنهم:

- ١ - أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري، المتوفى سنة ٣١٠.
- ٢ - ابن أبي حاتم: عبدالرحمن بن محمّد بن إدريس الرازي، المتوفى سنة ٣٢٧.
- ٣ - أبو عبدالله الحسين بن إسماعيل المحاملي، المتوفى سنة ٣٣٠.
- ٤ - أبو بكر أحمد بن عبدالرحمن الفارسي الشيرازي، المتوفى سنة ٤٠٧ أو ٤١١.
- ٥ - أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصفهاني، المتوفى سنة ٤١٠.
- ٦ - أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني، المتوفى سنة ٤٣٠.
- ٧ - أبو الحسن عليّ بن أحمد الواحدي، المتوفى سنة ٤٦٨.
- ٨ - أبو سعيد مسعود بن ناصر السجستاني، المتوفى سنة ٤٧٧.
- ٩ - أبو القاسم عبدالله بن عبيدالله الحاكم الحسكاني.
- ١٠ - أبو بكر محمّد بن مؤمن الشيرازي، صاحب كتاب ما نزل في علي وأهل البيت.
- ١١ - أبو الفتح محمّد بن عليّ بن إبراهيم النطنزي، المتوفى حدود سنة ٥٥٠.
- ١٢ - أبو القاسم عليّ بن الحسن بن عساكر الدمشقي، المتوفى سنة ٥٧١.
- ١٣ - أبو سالم محمّد بن طلحة النصيبي الشافعي، المتوفى سنة ٦٥٢.
- ١٤ - فخر الدين محمّد بن عمر الرازي، المتوفى سنة ٦٥٣.
- ١٥ - عزّ الدين عبدالرزاق بن رزق الله الرسعني الموصلي، المتوفى سنة ٦٦١.
- ١٦ - نظام الدين الحسن بن محمّد النيسابوري، صاحب التفسير.
- ١٧ - السيّد عليّ بن شهاب الدين الهمداني، المتوفى سنة ٧٨٦.
- ١٨ - نور الدين عليّ بن محمّد بن الصبّاغ المالكي، المتوفى سنة ٨٥٥.
- ١٩ - بدر الدين محمود بن أحمد العيني، المتوفى سنة ٨٥٥.
- ٢٠ - جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١.
- ٢١ - القاضي محمّد بن عليّ الشوكاني، المتوفى سنة ١٢٥٠.

٢٢ - السيّد شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي، المتوفّى سنة ١٢٧٠.

٢٣ - الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي، المتوفّى سنة ١٢٩٣.

وقد أوردنا نصوص روايات جمع منهم في قسم حديث الغدير من كتابنا الكبير^(٤٩٣).
وثانياً؛ الروايات المعتبرة سنداً في نزول الآية المباركة يوم غدير خم كثيرة كذلك، ومنها:

١ - رواية الحبري:

قال: «حدّثنا حسن بن حسين، قال: حدّثنا حبان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، في قوله: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين):»

نزلت في عليّ عليه السلام.

أمر رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم أن يبلغ فيه، فأخذ رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم بيد عليّ عليه السلام فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه»^(٤٩٣).

أقول:

وهذا سند معتبر، وقد بيّنا ذلك في بحوثنا الماضية فلا نعيد.

٢ - رواية أبي نعيم:

قال: «حدّثنا أبو بكر بن خلّاد، قال: حدّثنا محمّد بن عثمان بن أبي شيبة، قال: حدّثنا إبراهيم بن محمّد بن ميمون، قال: حدّثنا عليّ بن عابس، عن أبي الجحّاف عن الأعمش، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم في عليّ بن أبي طالب عليه السلام: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك)»^(٤٩٤).

* أمّا «أبو بكر بن خلّاد» فهو: أبو بكر أحمد بن يوسف البغدادي، المتوفّى سنة ٣٥٩، ترجم له

الخطيب في تاريخه، والذهبي في سيره، وغيرهما:

قال الخطيب: «كان لا يعرف من العلم شيئاً، غير أنّ سماعه كان صحيحاً».

(٤٩٢) نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار ٨ : ١٩٥ - ٢٥٣.

(٤٩٣) تفسير الحبري: ٢٦٢.

(٤٩٤) خصائص الوحي المبين - للشيخ يحيى بن الحسن الحلبي، المعروف بابن البطريق، المتوفّى سنة ٦٠٠ - : ٥٣، عن كتاب ما نزل من القرآن في عليّ، للحافظ أبي نعيم الأصفهاني.

وقال أبو نعيم: «كان ثقة».

وكذا وثقه أبو الفتح بن أبي الفوارس^(٤٩٥).

ووصفه الذهبي ب: «الشيخ الصدوق، المحدث، مسند العراق»^(٤٩٦).

* وأما «محمد بن عثمان بن أبي شيبة»، المتوفى سنة ٢٩٧، فقد ترجم له الذهبي، ووصفه ب: «الإمام الحافظ المسند» ثم قال: «وجمع وصنف، وله تاريخ كبير، ولم يرزق حظاً، بل نالوا منه، وكان من أوعية العلم».

وقال: «قال صالح جزرة: ثقة».

وقال ابن عدي: «لم أر له حديثاً منكراً فأذكر».

ثم نقل تكلم بعض معاصريه فيه، وهم عبدالله بن أحمد، المتوفى سنة ٢٩٠، وابن خراش، المتوفى سنة ٢٨٣، ومطين، المتوفى سنة ٢٩٧^(٤٩٧)، والظاهر وجود اختلافات بينهم وبينه، مما أدى إلى أن يذكره بسوء، لا سيما ما كان بينه وبين أبي جعفر مطين، إذ كان كل منهما يذكر الآخر بسوء وينال منه. ومن هنا فقد نص غير واحد من الحفاظ - كالذهبي - على أن كلام الأقران بعضهم في بعض غير مسموع.

* وأما «إبراهيم بن محمد بن ميمون»، فقد ذكره ابن حبان في الثقات قائلاً: «إبراهيم بن محمد بن ميمون الكندي الكوفي، يروي عن سعيد بن حكيم العبسي وداود بن الزبرقان. روى عنه أحمد بن يحيى الصوفي»^(٤٩٨).

ولم أجد له ذكراً في كتب الضعفاء...

وقد ينقم عليه روايته لفضائل أمير المؤمنين عليه السلام، وكم له من نظير! فقد ذكر الذهبي بترجمة أحمد بن الأزهر: «وهو ثقة بلا تردد، غاية ما نقموا عليه ذاك الحديث في فضل علي رضي الله عنه»^(٤٩٩).

يعني: ما رواه عن عبدالرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة، عن

ابن عباس، قال:

(٤٩٥) تاريخ بغداد ٥ : ٢٢٠ - ٢٢١.

(٤٩٦) سير أعلام النبلاء ١٦ : ٦٩.

(٤٩٧) سير أعلام النبلاء ١٤ : ٢١ - ٢٢.

(٤٩٨) الثقات ٨ : ٧٤.

(٤٩٩) سير أعلام النبلاء ١٢ : ٣٦٤.

«نظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي بن أبي طالب، فقال: أنت سيد في الدنيا، سيد في الآخرة، حبيبك حبيبي، وحببي حبيب الله، وعدوك عدوي، وعدوي عدو الله، فالويل لمن أبغضك بعدي».

قال الحاكم: «حدّث به ابن الأزر ب بغداد في حياة أحمد وابن المديني وابن معين، فأنكره من أنكره، حتّى تبيّن للجماعة أنّ أبا الأزر بريء الساحة منه، فإنّ محلّه محلّ الصادقين»^(٥٠٠).

ولهذا الحديث قصّة، فإنّه لأجله ذكر أحمد بن الأزر في ميزان الاعتدال في نقد الرجال^(٥٠١) بل ذكر فيه عبدالرزاق بن همام أيضاً^(٥٠٢).

لكنّ أحمد بن الأزر «ثقة بلا تردّد» و«محلّه محلّ الصادقين»، وعبدالرزاق بن همام من رجال الصحاح السنّة وشيخ البخاري^(٥٠٣) ... ومع ذلك فالحديث كذب!!

«لمّا حدّث أبو الأزر بحديثه عن عبدالرزاق في الفضائل، أخبر يحيى بن معين بذلك، فبينما هو عند يحيى في جماعة أهل الحديث إذ قال يحيى: من هذا الكذاب النيسابوري الذي حدّث بهذا عن عبدالرزاق؟! فقام أبو الأزر فقال: هو ذا أنا. فتبسّم يحيى بن معين، وقال: أما إنك لست بكذاب؛ وتعجّب من سلامته وقال: الذنب لغيرك فيه!»^(٥٠٤).

فرواة الحديث كلّهم أمّة ثقات.

ومع ذلك فهو كذب!!

وقال الذهبي: في النفس من آخره شيء^(٥٠٥)!! يعني جملة: «فالويل لمن أبغضك بعدي»!!

ولا يخفى السبب في ذلك!!

فما الحيلة في ردّه، مع صحّة سنده؟!

قالوا: إنّ معمراً كان له ابن أخ رافضي، وكان معمراً مكّنه من كتبه فأدخل عليه هذا الحديث، وكان معمراً

رجلاً مهيباً لا يقدر عليه أحد في السؤال

والمراجعة، فسمعه عبدالرزاق في كتاب ابن أخي معمراً، وحدّث به أبا الأزر وخصّه به دون

أصحابه^(٥٠٦)!!

(٥٠٠) سير أعلام النبلاء ١٢ : ٣٦٦.

(٥٠١) ميزان الاعتدال ١ : ٨٢.

(٥٠٢) ميزان الاعتدال ٢ : ٦٠٩.

(٥٠٣) تقريب التهذيب ١ : ٥٠٥.

(٥٠٤) سير أعلام النبلاء ١٢ : ٣٦٦.

(٥٠٥) ميزان الاعتدال ٢ : ٦١٣.

(٥٠٦) تاريخ بغداد ٤ : ٤٢.

قال الذهبي بعد نقله:

«قلت: ولتشيّع عبدالرزاق سرّ بالحديث وكتبه، وما راجع معمرًا فيه، ولكنه ما جسر أن يحدث به
لمثل أحمد وابن معين وعليّ، بل ولا خرّجه في تصانيفه، وحَدَّث به وهو خائف يترقّب»^(٥٠٧).

هذا موجز هذه القصة... والشاهد من حكايتها أنّهم كثيراً ما ينقمون على الرجل - مع اعترافهم
بثقته - روايته حديثاً في فضل أمير المؤمنين عليه السلام أو الطعن في أعدائه ومبغضيه، ويضطربون أشدّ
الاضطراب، فإن أمكنهم التكلّم في وثاقته فهو، وإلّا عمدوا إلى تحريف لفظ الحديث، أو بتره، وإلّا وضعوا
شيئاً في مقابلته، وإلّا نسبوا وضعه إلى مثل «ابن أخ معمر» و«كان رافضياً» و«كان معمر يمكّنه من كتبه»
بأنّه دسّ الحديث في الكتاب، ولم يشعر بذلك لا معمر، ولا عبدالرزاق، ولا غيرهما!!

ولكن من هو هذا الشخص؟! وما الدليل على كونه رافضياً؟! وكيف كان يمكّنه معمر من كتبه وأن
يكتب له؟ مع علمه بكونه رافضياً أو كان جاهلاً بذلك؟!

وعلى الجملة، فإنّ «إبراهيم بن محمّد بن ميمون» ثقة، بتوثيق ابن حبان من دون معارض، غير
أنّه من رواة فضائل أمير المؤمنين عليه السلام.

* وكذلك شيخه «عليّ بن عابس» فإنّه من رجال صحيح الترمذي^(٥٠٨)،

لكنهم تكلموا فيه لا لشيء، وإمّا لروايته هذا الحديث وأمثاله من الفضائل والمناقب، وممّا يشهد بذلك
قول ابن عدّي: «له أحاديث حسان، ويروي عن أبان بن تغلب وعن غيره أحاديث غرائب، وهو مع
ضعفه يكتب حديثه»^(٥٠٩).

وإذا عرفنا أنّ «أبان بن تغلب» من أعلام الإماميّة الاثني عشرية الثقات^(٥١٠) عرفنا لماذا تكون
روايته «أحاديث غرائب»! وعرفنا أنّهم لا يضعّفون «عليّ بن عابس» إلّا لروايته تلك الأحاديث، وأمّا في
غيرها فهو ثقة في نفسه ولذا «يكتب حديثه»!

أي: عدا الفضائل وهي «أحاديث غرائب» كما وصفها، ولو كان الرجل كذاباً لما جاز قوله: «يكتب
حديثه» أصلاً!!

(٥٠٧) سير أعلام النبلاء ١٢ : ٣٦٧.

(٥٠٨) تقريب التهذيب ٢ : ٣٩.

(٥٠٩) الكامل في الضعفاء ٦ : ٣٢٢ ذيل رقم ١٣٤٧.

(٥١٠) هو من رجال مسلم والأربعة، وثقوه وقالوا: هو من أهل الصدق في الروايات وإن كان مذهبه مذهب الشيعة، وفي الميزان: شيعي

جلد لكّنه صدوق، فلنا صدقه وعليه بدعته. وهو عند الجوزجاني الناصبي: مذموم المذهب، مجاهر زائغ!

وانظر: الكامل في الضعفاء ٢ : ٦٩ رقم ٢٠٧، أحوال الرجال: ٦٧ رقم ٧٤.

* وكذلك شيخه «أبو الجَحَاف» داود بن أبي عوف، فهو من رجال أبي داود والنسائي وابن ماجه، ووثقه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وقال أبو حاتم: صالح الحديث، وقال النسائي: ليس به بأس^(٥١١) ومع ذلك، فالرجل مَمَّن لا يحتجَّ به عند ابن عدي! وهو يعترف بعدم تكلم أحد فيه! ولماذا؟! ..

استمع إليه ليذكر لك السبب، فقد قال: «ولأبي الجَحَاف أحاديث غير ما ذكرته، وهو من غالبية أهل التشيع، وعامة حديثه في أهل البيت، ولم أرَ لمن تكلم في الرجال فيه كلاماً، وهو عندي ليس بالقوي، ولا مَمَّن يحتجَّ به في الحديث»^(٥١٢). * وأما «الأعمش» فهو من رجال الصحاح الستة^(٥١٣).

وتلخص:

إنَّ حديث أبي نعيم معتبر، ولا مجال للتكلم في أحد من رجال إسناده، ولو كان بعضهم من الشيعة فهو ثقة، وقد تقرَّر أن التشيع، بل الرفض عندهم غير مضرٌّ بالوثاقة، وهذا ما كررنا نقله عن الحافظ ابن حجر العسقلاني وغيره. * وأما «عطية»... فسيأتي.

٣ - رواية ابن عساكر:

قال: «أخبرنا أبو بكر وجيه بن طاهر، أنبأنا أبو حامد الأزهرى، أنبأنا أبو محمد المخلدي نامحمد بن إبراهيم الحلواني، أنبأنا الحسن بن حماد سجادة، أنبأنا علي بن عابس، عن الأعمش وأبي الجَحَاف، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: نزلت هذه الآية: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) على رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم يوم غدیر خمّ في علي بن أبي طالب»^(٥١٤). * أمّا «وجيه بن طاهر»، المتوفى سنة ٥٤١:

قال ابن الجوزي: «كان شيخاً صالحاً، صدوقاً، حسن السيرة، منور الوجه والشيبة، سريع الدمعة، كثير الذكر. ولي منه إجازة بمسموعاته ومجموعاته»^(٥١٥).

(٥١١) ميزان الاعتدال ٢ : ١٨.

(٥١٢) الكامل في الضعفاء ٣ : ٥٤٤ - ٥٤٥ ذيل رقم ٦٢٥.

(٥١٣) تقريب التهذيب ١ : ٣٣١.

(٥١٤) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٢٣٧.

(٥١٥) المنتظم ١٨ : ٥٤.

وقال السمعياني: «كتبت عنه الكثير، وكان يملئ في الجامع الجديد بنيسابور كلَّ جمعة مكان أخيه، وكان خير الرجال، متواضعاً متودّداً، أوفياً، دائم الذكر، كثير التلاوة، وصولاً للرحم، تفرّد في عصره بأشياء...»^(٥١٦).

وقال الذهبي: «الشيخ العالم، العدل، مسند خراسان»^(٥١٧).

* وأما «أبو حامد الأزهري» أحمد بن الحسن النيسابوري، المتوفّي سنة ٤٦٣:

قال الذهبي: «الأزهري، العدل، المسند، الصدوق، أبو حامد أحمد ابن الحسن بن محمّد بن الحسن بن أزهري، النيسابوري، الشروطي، من أولاد المحدثين. سمع من أبي محمّد المخلدي... حدّث عنه: زاهر ووجيه ابنا طاهر... توفّي في رجب سنة ٤٦٣»^(٥١٨).

* أمّا «أبو محمّد المخلدي» الحسن بن أحمد النيسابوري، المتوفّي سنة ٣٨٩:

قال الحاكم: «هو صحيح السماع والكتب، متقن في الرواية، صاحب الإملاء في دار السنّة، محدّث عصره، توفّي في رجب سنة ٣٨٩»^(٥١٩).

وقال الذهبي: «المخلدي، الإمام الصدوق، المسند أبو محمّد... العدل،

شيخ العدالة، وبقية أهل البيوتات...»^(٥٢٠).

* أمّا «أبو بكر محمّد بن حمدون» النيسابوري، المتوفّي سنة ٣٢٠:

قال الحاكم: «كان من الثقات الأثبات الجوالين في الأقطار، عاش ٨٧ سنة»^(٥٢١).

وقال الخليلي: «حافظ كبير»^(٥٢٢).

وقال الذهبي: «الحافظ الثبت المجوّد»^(٥٢٣).

* أمّا «محمّد بن إبراهيم الحلواني»^(٥٢٤)، المتوفّي سنة ٢٧٦^(٥٢٥):

(٥١٦) سير أعلام النبلاء ٢٠ : ١١٠.

(٥١٧) سير أعلام النبلاء ٢٠ : ١٠٩.

(٥١٨) سير أعلام النبلاء ١٨ : ٢٥٤.

(٥١٩) سير أعلام النبلاء ١٦ : ٥٤٠.

(٥٢٠) سير أعلام النبلاء ١٦ : ٥٣٩.

(٥٢١) سير أعلام النبلاء ١٥ : ٦١.

(٥٢٢) سير أعلام النبلاء ١٥ : ٦١.

(٥٢٣) سير أعلام النبلاء ١٥ : ٦١.

(٥٢٤) قرية من قرى نيسابور. معجم البلدان.

(٥٢٥) المنتظم ١٢ : ٢٧٩.

قال الخطيب: «محمد بن إبراهيم بن عبد الحميد، أبو بكر الحلواني، قاضي بلخ، سكن بغداد، وحدّث بها... روى عنه: إسماعيل بن محمد الصفار، ومحمد بن عمرو الرزاز، وأبو عمرو بن السمك، وحمزة بن محمد الدهقان. وكان ثقة»^(٥٢٦).

وقال ابن الجوزي: «وكان ثقة»^(٥٢٧).

* أمّا «الحسن بن حماد سجادة»، المتوفى سنة ٢٤١:

فهو من رجال أبي داود والنسائي وابن ماجه.

وقال أحمد بن حنبل: «صاحب سنة، ما بلغني عنه إلا خير»^(٥٢٨).

وقال الذهبي: «كان من جلة العلماء وثقاتهم في زمانه»^(٥٢٩).

وقال ابن حجر: «صدوق»^(٥٣٠).

* وأمّا «علي بن عابس» و«أبو الجحاف» و«الأعمش» فقد تقدّم الكلام عليهم.

* وبقي «عطية».

٤ - رواية الواحدى:

وهما ذكرنا تظهر صحّة إسناده الواحدى في أسباب النزول، كما أشار السيّد رحمه الله، وذلك لأنّه السند المتقدّم نفسه، وشيخه «أبو سعيد محمد بن عليّ الصفار» الراوى عن «الحسن بن أحمد المخلى» إلى آخر السند، ترجم له الحافظ أبو الحسن عبدالغافر الفارسي، المتوفى سنة ٥٢٩، قال:

«محمد بن عليّ بن محمد بن أحمد بن حبيب الصفار، أبو سعيد، المعروف بالخشاب، ابن أخت أبي سهل الخشاب اللحياني، شيخ مشهور بالحديث، من خواصّ خدم الشيخ أبي عبدالرحمن السلمى، وكان صاحب كتب، أوصى له الشيخ بعد وفاته وصار بعده بدار كتب الحديث بنيسابور، وأكثر أقرانه سماعاً وأصلاً، وقد رزق الإسناد العالى، وكتبه الأصول، وجمع الأبواب، وإفادته الصبيان، والرواية إلى آخر عمره، وبيته بيت الصلاح والحديث.

ولد سنة ٣٨١، وتوفى في ذي القعدة سنة ٤٥٦»^(٥٣١).

(٥٢٦) تاريخ بغداد ١ : ٣٩٨.

(٥٢٧) المنتظم ١٢ : ٢٧٩.

(٥٢٨) سير أعلام النبلاء ١١ : ٣٩٣.

(٥٢٩) سير أعلام النبلاء ١١ : ٣٩٣.

(٥٣٠) تقريب التهذيب ١ : ١٦٥.

(٥٣١) تاريخ نيسابور: ٥٤ رقم ١٠٣.

وذكره الذهبي وابن العماد في وفيات سنة ٤٥٦ من العبر وشذرات الذهب.

* ترجمة عطية:

وأما «عطية العوفي» فقد ترجمنا له بالتفصيل في بعض بحوثنا^(٥٢٢)، وذكرنا: أنه من مشاهير التابعين، وقد قال الحاكم النيسابوري - في كلام له حول التابعين - : «فخير الناس قرناً بعد الصحابة من شافه أصحاب رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم، وحفظ عنهم الدين والسنن، وهم قد شهدوا الوحي والتنزيل»^(٥٢٣).

وأنه من رجال البخاري في كتابه الأدب المفرد.

وأنه من رجال صحيح أبي داود، الذي قال أبو داود: «ما ذكرت فيه حديثاً أجمع الناس على تركه» وقال الخطّابي: «لم يصنّف في علم الدين مثله، وهو أحسن وضعاً وأكثر فقهاً من الصحيحين»^(٥٢٤). وأنه من رجال صحيح الترمذي، الذي حكوا عن الترمذي قوله فيه: «صنّفت هذا الكتاب فعرضته على علماء الحجاز فرضوا به، وعرضته على علماء العراق فرضوا به، وعرضته على علماء خراسان فرضوا به. ومن كان في بيته هذا

الكتاب فكأماً في بيته نبي يتكلم».

وأنه من رجال صحيح ابن ماجه، الذي قال أبو زرعة - بعد أن نظر فيه - : «لعله لا يكون فيه تمام ثلاثين حديثاً ممّا في إسناده ضعف»^(٥٢٥).

وأنه من رجال مسند أحمد، وقد قال الحافظ السيوطي عن بعض العلماء: «إنّ أحمد شرط في مسنده الصحيح»^(٥٢٦).

وأنه قد وثّقه ابن سعد، وقال الدوري عن يحيى بن معين: صالح، وقال أبو بكر البزار: يعدّ في التشيع، روى عنه جلة الناس.

وبعد، فمن الذي تكلم في عطية!؟

(٥٢٢) راجع كتابنا: مع الدكتور السالوس في آية التطهير: ٦٥ - ٨٢.

(٥٢٣) معرفة علوم الحديث: ٤٢.

(٥٢٤) مرقاة المفاتيح ١ : ٢٢.

(٥٢٥) تذكرة الحفاظ ٢ : ٦٣٦.

(٥٢٦) تدريب الراوي ١ : ١٨٧.

تكلّم فيه الجوزجاني، الذى نصّ الحافظ ابن حجر العسقلاني على أنّه: «كان ناصبياً منحرفاً عن عليّ»... وتبعه من كان على شاكلته، وقد نصّ الحافظ ابن حجر على أنّه لا ينبغي أن يسمع قول المبتدع^(٥٣٧).

ولماذا تكلّم فيه من تكلّم؟!!

لأنّه كان يقدم أمير المؤمنين عليه السلام على الكلّ، وأنّه عرض على سبّ أمير المؤمنين عليه السلام، فأبى أن يسبّ، فضرب أربعمئة سوط وحلقت لحيته... وكلّ ذلك بأمر من الحجّاج بن يوسف، لعنه الله ولعن من سلك سبيله وأدخله مدخله... .

أقول:

وهنا نقاط:

١ - حديث نزول الآية المباركة يوم الغدير في أمير المؤمنين وولايته عليه السلام، أخرجه كبار الأئمة الأعلام من أهل السُنّة عن عدّة من الصحابة، وهم:

١ - عبدالله بن عباس.

٢ - أبو سعيد الخدري.

٣ - زيد بن أرقم.

٤ - جابر بن عبدالله الأنصاري.

٥ - البراء بن عازب.

٦ - أبو هريرة.

٧ - عبدالله بن مسعود.

٨ - عبدالله بن أبي أوفى.

٢ - قال السيوطي: «وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود، قال: كنّا نقرأ على عهد رسول الله صلّى

الله عليه [وآله] وسلّم: (يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك - أنّ عليّاً مولى المؤمنين - وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس)»^(٥٣٨).

(٥٣٧) مقدّمة فتح الباري: ٣٨٨.

(٥٣٨) الدرّ المنثور ٣: ١١٧.

٣ - إنَّ من رواة هذا الحديث: ابن أبي حاتم الرازي، قال السيوطي: «وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية: (يا أيها الرسول بلِّغ ما أنزل إليك من ربك) على رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم يوم غدِير خَمِّ في عليِّ بن أبي طالب»^(٥٣٩).
و«ابن أبي حاتم» قد نصَّ ابن تيميَّة وأتباعه على أنه لم يخرج في تفسيره حديثاً موضوعاً... وقد أوردنا ذلك في بحوثنا الماضية، كما ستعرفه قريباً أيضاً.

وتلخُّص:

إنَّ القول الحقَّ المتَّفَق عليه بين المسلمين: نزول الآية يوم غدِير خَمِّ في أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام.

● مع ابن تيميَّة الحرَّاني:

لقد استدَلَّ العلامة الحلِّي بالآية المباركة والحديث الوارد في ذيلها عند القوم، فقال:
«البرهان الثاني: قوله تعالى: (يا أيها الرسول بلِّغ ما أنزل إليك من ربك) وإن لم تفعل فما بلغت رسالته). اتَّفَقوا على نزولها في عليِّ.

وروى أبو نعيم الحافظ - من الجمهور - بإسناده عن عطية، قال: نزلت هذه الآية على رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم في عليِّ بن أبي طالب.
ومن تفسير الثعلبي، قال: معناه: (بلِّغ ما أنزل إليك من ربك) في فضل عليِّ، فلمَّا نزلت هذه الآية أخذ رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم بيد عليِّ، فقال: من كنت مولاه فعليِّ مولاه...»^(٥٤٠).

فقال ابن تيميَّة في الجواب:

«إنَّ هذا أعظم كذباً وفريئةً من الأوَّل.
وقوله: اتَّفَقوا على نزولها في عليِّ، أعظم كذباً ممَّا قاله في تلك الآية، فلم يقل لا هذا ولا ذاك أحد من العلماء الذين يدرون ما يقولون.

وأما ما يرويه أبو نعيم في الحلية أو في فضائل الخلفاء والنقَّاش والثعلبي والواحدي ونحوهم في التفسير، فقد اتَّفَق أهل المعرفة على أنَّ في ما يروونه كثيراً من الكذب الموضوع.
واتَّفَقوا على أنَّ هذا الحديث المذكور الذي رواه الثعلبي في تفسيره هو من الموضوع...»

(٥٣٩) الدر المنثور ٣: ١١٧.

(٥٤٠) منهاج الكرامة: ١٤١.

ولكن المقصود هنا أننا نذكر قاعدة فنقول: المنقولات فيها كثير من الصدوق وكثير من الكذب، والمرجع في التمييز بين هذا وهذا إلى أهل علم الحديث... فلكل علم رجال يعرفون به، والعلماء بالحديث أجل هؤلاء قدرًا، وأعظمهم صدقًا، وأعلاهم منزلة، وأكثر دينًا، وهم من أعظم الناس صدقًا وأمانًا وعلماً وخبرةً في ما يذكرونه من الجرح والتعديل... .

فالأصل في النقل أن يرجع فيه إلى أئمة النقل وعلمائه... ومجرد عزوه إلى رواية الثعلبي ونحوه ليس دليلاً على صحته باتفاق أهل العلم بالنقل؛ لهذا لم يروه أحد من علماء الحديث في شيء من كتبهم...».

قال: «أنتم ادّعيتم أنكم أثبتتم إمامته بالقرآن، والقرآن ليس في ظاهره ما يدل على ذلك أصلاً، فإنه قال: (بلغ ما أنزل إليك من ربك) وهذا اللفظ عام في جميع ما أنزل إليه من ربه، لا يدل على شيء معين... فإن ثبت ذلك بالنقل كان ذلك إثباتاً بالخبر لا بالقرآن... .

لكن أهل العلم يعلمون بالاضطرار أن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم لم يبلغ شيئاً في إمامة علي...»^(٥٤١).

أقول:

أما قوله: إن في روايات أبي نعيم والثعلبي والواحي، موضوعات كثيرة؛ فهذا حق ونحن نوافقه عليه، إذ ليس هناك - بعد كتاب الله عز وجل - كتاب خال عن الموضوعات، حتى الكتب المسماة بالصاح... ففي صحيح البخاري - الذي يقدمه أكثر القوم على غيره من الكتب مطلقاً - أكاذيب وأباطيل، ذكرنا بعضها في بعض كتبنا استناداً إلى أقوال كبار الحفاظ من شراحه كابن حجر العسقلاني وغيره.

فالمنقولات، فيها كثير من الصدق وكثير من الكذب، والمرجع في التمييز إلى أهل علم الحديث وعلماء الجرح والتعديل... كما قال.

ولذا فإننا أثبتنا على ضوء كلمات علماء الحديث والرجال صحة أسانيد حديث نزول الآية في الغدير، وكذلك في غير هذا الحديث مما وقع الاستدلال به من قبل صاحب المراجعات وغيره من علمائنا بتوثيق رجالها واحداً واحداً... وإذا ثبت صحة الحديث وجب على الكل القبول به، ومن كذبه حينئذ فقد كذب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ما قال وفعل، وهذا كفر بالله، نعوذ بالله منه.

وعلى الجملة، فليس الاستدلال بمجرد عزو الحديث إلى رواية الثعلبي أو

غيره، بل الاستدلال به يكون بعد تصحيحه على القواعد المقررة في علم الحديث والرجال.

(٥٤١) منهاج السنة ٧ : ٣٣ - ٤٨.

وأما قوله: إنَّ هذا الاستدلال ليس بالقرآن بل هو بالحديث; فهذا تعصّب واضح; لأنَّ ابن تيميَّة نفسه يستدلُّ بقوله تعالى: (إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنَّ الله معنا)^(٥٤٢) لإثبات فضيلة لأبي بكر، فيقول: «إنَّ الفضيلة في الغار ظاهرة بنصِّ القرآن، لقوله تعالى: (إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنَّ الله معنا)... وقد أخرجنا في الصحيحين من حديث أنس عن أبي بكر...»^(٥٤٣).

فجعل الحديث مفسراً للآية، وجعل فيها فضيلة لصاحبه... .

وكذلك: يدعي نزول قوله تعالى: (وسيجنبها الأتقى * الذي يؤتي ماله يتزكى)^(٥٤٤) في أبي بكر مستدلاً ببعض

رواياتهم فيقول:

«وقد ذكر غير واحد من أهل العلم أنَّها نزلت في قصة أبي بكر. وكذلك ذكره ابن أبي حاتم والثعلبي أنَّها نزلت في أبي بكر عن عبدالله وعن سعيد بن المسيَّب. وذكر ابن أبي حاتم في تفسيره: حدَّثنا أبي، حدَّثنا محمد بن أبي عمر العدني، حدَّثنا سفيان، حدَّثنا هشام بن عروة، عن أبيه، قال: أعتق أبو بكر سبعة كلَّهم يعدَّب في الله... قال: وفيه نزلت (وسيجنبها الأتقى) إلى آخر السورة»^(٥٤٥).

وهكذا في مواضع أخرى... .

أما حين يستدلُّ الإمامية بآية: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك...) على

إمامة أمير المؤمنين، بمعونة أحاديث صحيحة رواها ابن أبي حاتم والثعلبي وأمثالهما من المفسرين والمحدثين من أهل السنَّة في تفسيرها وبيان سبب نزولها، يقول: «فمن ادَّعى أنَّ القرآن يدلُّ على أنَّ إمامة عليٍّ ممَّا أمر بتبليغه فقد افتري على القرآن»^(٥٤٦).

مع أنَّ استدلال الإمامية بأحاديث القوم مطابق للقاعدة المقررة في البحث والمناظرة؛ لأنَّهم ملزَمون بما يروونه، بخلاف استدلالاتهم في مقابلة الإمامية؛ لأنَّ أحاديثهم ليس بحجَّة عند الامامية حتَّى لو كانت مخرجةً في ما يسمونه بالصحيح.

فانظر من المفتري؟!!

محاولات يائسة

(٥٤٢) سورة التوبة ٩ : ٤٠ .

(٥٤٣) منهاج السنَّة ٨ : ٣٧٢ .

(٥٤٤) سورة الليل ٩٢ : ١٧ .

(٥٤٥) منهاج السنَّة ٨ : ٤٩٥ .

(٥٤٦) منهاج السنَّة ٧ : ٤٧ .

وهما ذكرنا يظهر سقوط تمحلات المتعصّين لصرف الآية المباركة عن الدلالة على ولاية أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام.

وهناك محاولات عمدها:

١ - الأخذ بالسياق.

٢ - الأحاديث المروية في قبال حديث نزولها في أمير المؤمنين يوم الغدير.

ولا بُدّ قبل الدخول في البحث من أن نعلم بأن الآية المباركة من سورة المائدة، وأن هذه السورة هي آخر ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باتفاق الفريقين. فلاحظ: تفسير القرطبي، وتفسير الخازن، والإتقان في علوم القرآن ١: ١٠٤، وغيرها من كتب العامّة.

وفي تهذيب الأحكام لشيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي - بسند صحيح عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنّها نزلت قبل أن يقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشهرين أو ثلاثة^(٥٤٧). وقال العياشي في تفسيره: إنّها آخر ما نزل من القرآن^(٥٤٨).

وحينئذ نقول: كما جعل الأولون آية التطهير ضمن آيات زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، واتخذ أتباعهم ذلك أساساً للقول بنزولها في الزوجات، كذلك الحال في آية التبليغ فقد وضعت في سياق آيات الكلام مع اليهود والنصارى، ثم جاء اللّاحقون واستندوا إلى سياق الآية فراراً من الإذعان للحقيقة: قال الرازي: «إعلم أنّ هذه الروايات وإن كثرت، إلا أنّ الأولى حملة على أنّه تعالى آمنه من مكر اليهود والنصارى، وأمره بإظهار التبليغ من غير مبالاة منه بهم، وذلك لأنّ ما قبل هذه الآية بكثير وما بعدها بكثير، لما كان كلاماً مع اليهود والنصارى، امتنع إلقاء هذه الآية الواحدة في البين على وجه تكون أجنبيّة عمّا قبلها وما بعدها»^(٥٤٩).

وكأنّ الرازي قد غفل عن أنّ الآية في سورة المائدة، وهي إنّما نزلت في أخريات حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حين لم يكن يهاب اليهود ولا النصارى ولا قريشاً، وأنّ السياق إنّما يكون قريشاً إذا لم يكن في مقابله نصّ معتبر، وقد صرح الفخر الرازي نفسه بأنّ نزول الآية في فضل أمير المؤمنين عليه السلام هو قول ابن عباس والبراء بن عازب والإمام محمد بن عليّ الباقر عليه السلام، في حين أنّه لم يعضد القول الذي حمل الآية عليه - ولا غيره من الأقوال التي ذكرها - بقول أيّ أحد من الصحابة.

(٥٤٧) تهذيب الأحكام ١: ٣٦١.

(٥٤٨) تفسير العياشي ٢: ٣ / ١١٦١.

(٥٤٩) التفسير الكبير ١٢: ٥٠.

وأما الأحاديث التي يروونها في المقام في مقابلة حديث نزول الآية المباركة في الإمام عليه السلام، فإن شئت الوقوف عليها فراجع تفسير الطبري والدر المنثور للسيوطي - ولعل الثاني هو أجمع الكتب لها - وستجدها متناقضة فيما بينها، فضلاً عن كونها مردودة بإجماع الفريقين على نزول سورة المائدة في الأيام الأخيرة من حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

فمن ذلك ما أخرجه الطبراني وأبو الشيخ وأبو نعيم في الدلائل وابن مردويه وابن عساکر، عن ابن عباس، قال: «كان النبي صلى الله عليه وآله [وآله] وسلم يُحرس، وكان يرسل معه عمه أبو طالب كل يوم رجلاً من بني هاشم يحرسونه.

فقال: يا عم! إن الله قد عصمني، لا حاجة لي إلى من تبعث»^(٥٥٠).

أورده السيوطي في ذيل الآية المباركة، وهو - إن كان له علاقة بنزول الآية المباركة - خبر مكذوب؛ لأنه يفيد نزولها في مكة، وهو قول مردود بالإجماع.

وما أخرجه ابن مردويه والضياء في المختارة، عن ابن عباس، قال: «سئل رسول الله صلى الله عليه وآله [وآله] وسلم: أي آية أنزلت من السماء أشد عليك؟ فقال: كنت بمنى أيام موسم، واجتمع مشركو العرب وأفناء الناس في الموسم، فنزل عليّ جبرئيل فقال: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس).

قال: فقامت عند العقبة فناديت: يا أيها الناس! من ينصرنى على أن أبُلِّغرسالة ربي ولكم الجنة؟

أيها الناس! قولوا: لا إله إلا الله وأنا رسول الله إليكم، تنجحوا ولكم الجنة.

قال: فما بقي رجل ولا امرأة ولا صبي إلا يرمون عليّ بالتراب والحجارة، ويبصقون في وجهي، ويقولون: كذاب صابئ! فعرض عليّ عارض فقال: يا محمد! إن كنت رسول الله فقد أن لك أن تدعو عليهم كما دعا نوح على قومه بالهلاك.

فقال النبي صلى الله عليه وآله [وآله] وسلم: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون، وانصرنى عليهم أن يجيبوني إلى طاعتك.

فجاء العباس عمه فأنقذه منهم وطردهم عنه.

قال الأعمش: فبذلك تفتخر بنو العباس، ويقولون: فيهم نزلت (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من

يشاء) هو النبي صلى الله عليه وآله [وآله] وسلم أبا طالب، وشاء الله عباس بن عبدالمطلب»^(٥٥١).

(٥٥٠) الدر المنثور ٣ : ١١٨.

(٥٥١) الدر المنثور ٣ : ١١٧.

قلت:

وآيات الكذب على هذا الحديث لائحة.

ومن الأحاديث المذكورة في ذيل الآية: أحاديث أن أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم كانوا دائماً يحرسونه، حتى نزلت الآية المباركة ففرقهم:

أخرج ابن جرير وأبو الشيخ، عن سعيد بن جبير، قال: «لما نزلت (يا أيها الرسول) إلى قوله: (والله يعصمك الناس) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا تحرسوني! إن ربي قد عصمني»^(٥٥٢).

وأخرج ابن جرير وابن مردويه، عن عبدالله بن شقيق، قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يتعقبه ناس من أصحابه، فلما نزلت (والله يعصمك من الناس) فخرج فقال: أيها الناس! الحقوا بملاحقكم، فإن الله قد عصمني من الناس»^(٥٥٣).

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ، عن محمد بن كعب القرظي، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما زال يُحرس، يحارسه أصحابه، حتى أنزل الله (والله يعصمك من الناس) فترك الحرس حين أخبره أنه سيعصمه من الناس^(٥٥٤).

وأخرج أبو نعيم في الدلائل، عن أبي ذر، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينام إلا ونحن حوله من مخافة الغوائل، حتى نزلت آية العصمة: (والله يعصمك من الناس)»^(٥٥٥).

وأخرج الطبراني وابن مردويه، عن عصمة بن مالك الخطمي، قال: «كنا نحرس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالليل حتى نزلت (والله يعصمك من الناس) فترك الحرس»^(٥٥٦).

قلت:

وهذه الأحاديث ليس فيها ذكر سبب نزول الآية، ولا تعارض حديث نزولها يوم الغدير في علي عليه السلام.

وبهذه الأحاديث يرد ما زعموا من نزولها في أعرابي أراد قتله وهو نائم تحت شجرة، ورووا فيه حديثاً عن محمد بن كعب القرظي، مع ما هنالك من قرائن الكذب!

(٥٥٢) الدر المنثور ٣ : ١١٩ .

(٥٥٣) الدر المنثور ٣ : ١١٩ .

(٥٥٤) الدر المنثور ٣ : ١١٩ .

(٥٥٥) الدر المنثور ٣ : ١١٨ .

(٥٥٦) الدر المنثور ٣ : ١١٨ .

ومما ذكره القوم في ذيل الآية ما جاء في تفسير الإمام أبي الحسن الواحدي: «وقال ابن الأنباري: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجاهر ببعض القرآن أيام كان بمكة، ويخفي بعضه إشفافاً على نفسه من تسرع المشركين إليه وإلى أصحابه»^(٥٥٧).

وهذا كذب بلا شك ولا ريب! لكنَّ العجيب أن ينسب هذا القول إلى الإمامية، كما في تفسير القرطبي، حيث قال: «وقبح الله الروافض حيث قالوا: إنَّه صلى الله عليه وآله وسلم كتم شيئاً - مما أوحى الله إليه - كان بالناس حاجة إليه»^(٥٥٨)، وكما في شرح القسطلاني: «قالت الشيعة: إنَّه قد كتم أشياء على سبيل التقيّة»^(٥٥٩).

فانظر كيف يفترون على الله والرسول، ثمَّ لمَّا التفتوا إلى قبحه نسبوه زوراً وبهتاناً إلى غيرهم... وكم له من نظير!! وإلى الله المشتكى، وهو المستعان.

قلت:

وهمة أحاديث يروونها بتفسير الآية المباركة غير منافية للصحيح في سبب نزولها إن لم نقل بجواز الاستدلال بها كذلك، باحتمال أن الراوي لم تسمح له الظروف بالتصريح بنزولها في يوم الغدير، أو صرح وحرّف لفظه، كالحديث التالي:

أخرج أبو الشيخ، عن الحسن: «إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: إنَّ الله بعثني برسالة، فضقت بها ذرعاً وعرفت أنَّ الناس مكذّبي، فوعدي لأبلغنَّ أو ليعذبني، فأنزل: (يا أيها الرسول بلِّغ ما أنزل إليك من ربك)»^(٥٦٠).

والحديث: أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ، عن مجاهد، قال: «لمَّا نزلت: (يا أيها الرسول بلِّغ ما أنزل إليك من ربك)، قال: يا رب! إنَّما أنا واحد كيف أصنع؟! ليجتمع الناس! فنزلت: (وإن لم تفعل فما بلِّغ رسالتك)»^(٥٦١).

هذا موجز الكلام على هذه الآية، وبه الكفاية لمن أراد الهداية، والله وليّ التوفيق.

(٥٥٧) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٢ : ٢٠٨.

(٥٥٨) الجامع لأحكام القرآن ٦ : ٢٤٣.

(٥٥٩) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٧ : ١٠٦.

(٥٦٠) الدر المنثور ٣ : ١١٦.

(٥٦١) الدر المنثور ٣ : ١١٧.

آية إكمال الدين

قوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)^(٥٦٢).

قال السيّد:

«ألم يصدع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بتبليغها عن الله يوم الغدير حيث هضب خطابه، وعبَّ عبا به، فأنزل الله يومئذ: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)؟!».

فقال في الهامش:

«نصّ على ذلك الإمام أبو جعفر الباقر وخلفه الإمام أبو عبدالله الصادق في ما صحَّ عنهما عليهما السلام. وأخرج أهل السنّة ستّة أحاديث بأسانيدهم المرفوعة إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، صريحة في هذا المعنى، والتفصيل في الباب ٣٩ والباب ٤٠ من غاية المرام^(٥٦٣).

ف قيل:

«روى أبو نعيم بإسناده إلى أبي سعيد الخدري، أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دعا الناس إلى غدير خمّ، وأمرونا بحتّ الشجر من الشوك، فقام فأخذ بضبعي عليّ فرفعهما حتّى نظر الناس إلى باطن إبطي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ثمّ لم يتفرّقوا حتّى نزلت هذه الآية: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً).

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الربّ برسالتني وبالولاية لعليّ من بعدي.

ثمّ قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله.

(٥٦٢) سورة المائدة ٥ : ٣.

(٥٦٣) المراجعات: ٢٩ - ٣٠.

وقد ثبت أن الآية نزلت على الرسول صلى الله عليه [وآله] وسلّم وهو واقف بعرفة قبل يوم الغدير بسبعة أيام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن هذه الآية ليس فيها دلالة على عليٍّ ولا على إمامته بوجه من الوجوه، بل فيها إخبار الله بأكمل الدين وإتمام النعمة على المؤمنين، ورضا الإسلام ديناً، فدعوى المدعي أن القرآن يدل على إمامته من هذا الوجه كذب ظاهر، وإن قال: الحديث يدل على ذلك، فيقال: الحديث إن كان صحيحاً فتكون الحجّة من الحديث لا من الآية، وإن لم يكن صحيحاً فلا حجّة في هذا ولا في هذا، فعلى التقديرين لا دلالة في الآية على ذلك. منهاج السنة ٤ : ١٦.

وقال ابن كثير في تفسيره:

قلت: وقد روى ابن مردويه من طريق أبي هارون العبدى، عن أبي سعيد الخدرى، أنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم يوم غدير خمّ حين قال لعليّ: من كنت مولاه فعليّ مولاه.

ثم رواه عن أبي هريرة، وفيه: أنه اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة. يعني: مرجعه عليه السلام من حجّة الوداع.

ولا يصحّ لا هذا ولا هذا.

بل الصواب الذي لا شك فيه ولا مرية، أنها أنزلت يوم عرفة، وكان يوم الجمعة، كما روى ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب، وعليّ بن أبي طالب، وأول ملوك الإسلام معاوية بن أبي سفيان، وترجمان القرآن ابن عبّاس، وسمرّة بن جندب رضي الله عنهم، وأرسله الشعبي وقتادة بن دعامة وشهر بن حوشب وغير واحد من الأئمة والعلماء، واختاره ابن جرير الطبري رحمه الله^(٥٦٤).

أقول:

إنّ رواية حديث نزول هذه الآية المباركة في يوم الغدير - من كبار الأئمة والحفّاظ الأعلام من العامّة - كثيرون جدّاً، نذكر هنا بعضهم:

١ - أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري، المتوفّى سنة ٣١٠.

٢ - أبو الحسن عليّ بن عمر الدارقطني، المتوفّى سنة ٣٨٥.

٣ - أبو حفص بن شاهين، المتوفّى سنة ٣٨٥.

٤ - أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، المتوفّى سنة ٤٠٥.

(٥٦٤) تفسير القرآن العظيم ٣ : ٢٨ - ٢٩.

- ٥ - أبو بكر بن مردويه الأصفهاني، المتوفى سنة ٤١٠.
 - ٦ - أبو نعيم الأصفهاني، المتوفى سنة ٤٣٠.
 - ٧ - أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، المتوفى سنة ٤٥٨.
 - ٨ - أبو بكر الخطيب البغدادي، المتوفى سنة ٤٦٣.
 - ٩ - أبو الحسين بن النقور، المتوفى سنة ٤٧٠.
 - ١٠ - أبو سعيد السجستاني، المتوفى سنة ٤٧٧.
 - ١١ - أبو الحسن بن المغازلي الواسطي، المتوفى سنة ٤٨٣.
 - ١٢ - أبو القاسم الحاكم الحسكاني.
 - ١٣ - الحسن بن أحمد الحدّاد الأصفهاني، المتوفى سنة ٥١٥.
 - ١٤ - أبو بكر بن المزرقي، المتوفى سنة ٥٢٧.
 - ١٥ - أبو الحسن بن قبيس، المتوفى سنة ٥٣٠.
 - ١٦ - أبو القاسم بن السمرقندي، المتوفى سنة ٥٣٦.
 - ١٧ - أبو الفتح النطنزي، المتوفى حدود سنة ٥٥٠.
 - ١٨ - أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي، المتوفى سنة ٥٥٨.
 - ١٩ - الموفق بن أحمد المكي الخوارزمي، المتوفى سنة ٥٦٨.
 - ٢٠ - أبو القاسم بن عساكر الدمشقي، المتوفى سنة ٥٧١.
 - ٢١ - أبو حامد سعد الدين الصالحاني.
 - ٢٢ - أبو المظفر سبط بن الجوزي، المتوفى سنة ٦٥٤.
 - ٢٣ - عبدالرزاق الرسعني، المتوفى سنة ٦٦١.
 - ٢٤ - شيخ الإسلام الحموي الجويني، المتوفى سنة ٧٢٢.
 - ٢٥ - عماد الدين بن كثير الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤.
 - ٢٦ - جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١.
- فهؤلاء أمّة القوم وكبار حقّاطهم في مختلف القرون، قد أخرجوا هذا الحديث في كتبهم، ورووه بأسانيدهم... ونحن نذكر عدّة من تلك الأسانيد، ونوضّح صحّتها:

١ - رواية أبي نعيم الأصفهاني:

قال: «حدَّثنا محمد بن أحمد بن علي بن مخلد، قال: حدَّثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، قال: حدَّثني يحيى الحماني، قال: حدَّثنا قيس بن الربيع، عن أبي هارون العبدى، عن أبي سعيد الخدرى - رضي الله عنه - : أن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلّم دعا الناس إلى علي عليه السلام في غدیر خمّ، وأمر بما تحت الشجر من الشوك فقمّ، وذلك يوم الخميس، فدعا علياً، فأخذ بضبعيه فرفعهما حتّى نظر الناس إلى بياض إبّطي رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم، ثمّ لم يتفرّقوا حتّى نزلت هذه الآية: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)، فقال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم: الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة، ورضا الربّ برسالتى وبالولاية لعليّ من بعدى. ثمّ قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله.

فقال حسّان بن ثابت: ائذن لي يا رسول الله أن أقول في عليّ أبياتاً تسمعهنّ.

فقال: قل على بركة الله.

فقام حسّان فقال: يا معشر مشيخة قريش! أتبعها قولي بشهادة من رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم في الولاية ماضية. ثمّ قال:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم *** بخمّ وأسمع بالغدير المنادى يقول: فمن مولاكم ووليّكم *** فقالوا ولم يبدوا هناك التعاديا

إلهك مولانا وأنت وليّنا *** ولن تجدن منّا لك اليوم عاصيا

فقال له: قم يا عليّ فإنّني *** رضيتك من بعدى إماماً وهاديا

هناك دعا اللهمّ والٍ وليّه *** وكن للذي عادى علياً معادياً^(٥٦٥)

* أمّا «محمد بن أحمد بن عليّ بن مخلد» فهو المعروف بابن محرم، المتوفّى سنة ٣٥٧، من أعيان

تلامذة ابن جرير الطبري وملازميه:

قال الدارقطني: لا بأس به^(٥٦٦).

وكذا قال أبو بكر البرقاني^(٥٦٧).

ووصفه الذهبي بالإمام المفتي المعمر^(٥٦٨).

(٥٦٥) خصائص الوحي المبين: ٦١ - ٦٢، عن كتاب ما نزل في عليّ من القرآن - لأبي نعيم الحافظ الأصفهاني - .

(٥٦٦) سير أعلام النبلاء ١٦ : ٦١ .

(٥٦٧) تاريخ بغداد ١ : ٣٢١، شذرات الذهب ٣ : ٢٦ .

(٥٦٨) سير أعلام النبلاء ١٦ : ٦٠ .

وربما تكلم فيه لوجود بعض الأحاديث المناكير في كتبه.

قلت:

لعلهم يقصدون من ذلك هذا الحديث وأمثاله من المناقب.

* وأما «محمد بن عثمان بن أبي شيبة» فقد تقدّم.

* وأما «يحيى الحماني» فهو من رجال مسلم في صحيحه، ومن مشايخ أبي حاتم ومطين وأمثالهما

من كبار الأئمة.

وحكى غير واحد منهم عن يحيى بن معين قوله فيه: «صدوق ثقة» وكذا وثقه جماعة من أعلام

الجرح والتعديل، قالوا: وهؤلاء - الذين يتكلمون فيه - يحسدونه... وأيضاً: ذكروا أنه كان لا يحب عثمان،

ويقول عن معاوية: «كان معاوية على غير ملة الإسلام»^(٥٦٩).

* وأما «قيس بن الربيع» فمن رجال أبي داود والترمذي وابن ماجه.

قال الحافظ: «صدوق، تغير لما كبر...»^(٥٧٠).

* وأما «أبو هارون العبدي» فهو: عمارة بن جوين، من مشاهير التابعين، ومن رجال البخاري في

خلق أفعال العباد، والترمذي، وابن ماجه، ومن مشايخ الثوري والحمّادين وغيرهم من الأئمة... وقد تكلم

فيه بعضهم لتشيعه.

قال ابن عبد البر: «كان فيه تشيع، وأهل البصرة يفرطون فيمن يتشيع بين أظهرهم لأنهم

عثمانيون»، فقال ابن حجر بعد نقل هذا الكلام: «قلت: كيف لا ينسبونه إلى الكذب، وقد روى ابن عديّ

في الكامل عن الحسن بن سفيان، عن عبدالعزيز بن سلام، عن عليّ بن مهران، عن بهز بن أسد، قال:

أتيت إلى أبي هارون العبدي، فقلت: أخرج إليّ ما سمعت من أبي سعيد.

فأخرج لي كتاباً، فإذا فيه: حدّثنا أبو سعيد: إنّ عثمان أدخل حفرتة وإنّه لكافر بالله.

قال: قلت: تقرّ بهذا؟!!

قال: هو كما ترى!

قال: فدفعت الكتاب في يده وقمت»^(٥٧١).

ومن هنا قال الحافظ في التقريب: «متروك، ومنهم من كذّبه، شيعي»^(٥٧٢).

(٥٦٩) راجع: تهذيب التهذيب ١١ : ٢١٣ - ٢١٨.

(٥٧٠) تقريب التهذيب ٢ : ١٢٨.

(٥٧١) تهذيب التهذيب ٧ : ٣٦١ - ٣٦٢.

لكن الرجل ليس بمتروك، فقد ورد حديثه في كتاب من كتب البخاري، وفي اثنين من الصحاح، كما أن رمية بالكذب قد عرف السب فيه، وهو التشيع، وهو ليس بضائر بالوثاقة كما تقرّر عندهم في كتب رواية الحديث.

تنبيه:

هذا، وإنّ المفترى تعرّض لرواية أبي نعيم هذه، فأوردها مبتورةً منقوصةً، كما أنّه لم يتكلّم على سندها بشيء، ممّا يدلّ على إذعانه بصحتها، ومع ذلك زعم أنّه: «قد ثبت أنّ الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم وهو واقف بعرفة قبل يوم الغدير بسبعة أيّام». لكنّ لحديث نزولها في يوم الغدير أسانيد معتبرة أخرى أيضاً.

٢ - رواية الخطيب البغدادي:

قال: «أبنا عبد الله بن عليّ بن محمّد بن بشران^(٥٧٣)، أبنا عليّ بن عمر الحافظ، حدّثنا أبو نصر حبشون بن موسى بن أيّوب الخلال، حدّثنا عليّ بن سعيد الرملي، حدّثنا ضمرة بن ربيعة القرشي، عن ابن شوذب، عن مطر الورّاق، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة، قال:

من صام يوم ثمان عشرة من ذي الحجّة كتب له صيام ستّين شهراً، وهو يوم غدير خمّ، لما أخذ النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلّم بيد عليّ بن أبي طالب، فقال: ألسنت وليّ المؤمنين؟! قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه.

فقال عمر بن الخطّاب: يخ بخ لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كلّ مسلم. فأنزل الله: (اليوم أكملت لكم دينكم).

ومن صام يوم سبعة وعشرين من رجب كتب له صيام ستّين شهراً، وهو أوّل يوم نزل جبريل على محمّد صلى الله عليه [وآله] وسلّم بالرسالة.

اشتهر هذا الحديث من رواية حبشون، وكان يقال إنّه تفرد به.

(٥٧٢) تقريب التهذيب ٢ : ٤٩.

(٥٧٣) كذا، والصحيح: عليّ بن محمّد بن عبد الله بن بشران، كما ستعرف.

وقد تابعه عليه أحمد بن عبدالله بن النيري، فرواه عن علي بن سعيد، أخبرنيه الأزهرى، حدّثنا محمد بن عبدالله بن أخي ميمي، حدّثنا أحمد بن عبدالله بن أحمد بن العباس بن سالم بن مهران المعروف بابن النيري - إملاءً - ، حدّثنا علي بن سعيد الشامي، حدّثنا ضمرة بن ربيعة، عن ابن شوذب، عن مطر، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة، قال: من صام يوم ثمانية عشر من ذي الحجة... وذكر مثل ما تقدّم أو نحوه»^(٥٧٤).

الطريق الأوّل:

* أمّا «ابن بشران»، المتوفّى سنة ٤١٥، فقد ترجم له الخطيب نفسه:

قال: «علي بن محمد بن عبدالله بن بشران بن محمد بن بشر بن مهران بن عبدالله. أبو الحسين الأموي المعدّل... كتبنا عنه، وكان صدوقاً ثقة ثباتاً، حسن الأخلاق، تامّ المروءة، ظاهر الديانة... وكانت وفاته... سنة ٤١٥...»^(٥٧٥).

وقال الذهبي: «الشيخ العالم المعدّل المسند، أبو الحسين علي بن محمد... .

روى شيئاً كثيراً على سداد وصدق وصحّة رواية، كان عدلاً وقوراً...»^(٥٧٦).

* وأمّا «علي بن عمر الحافظ» فهو الدارقطني، المتوفّى سنة ٣٨٥:

قال الخطيب: «كان فريد عصره، وقريع دهره، ونسيح وحده، وإمام وقته، انتهى إليه علم الأثر والمعرفة بعلل الحديث وأسماء الرجال وأحوال الرواة، مع الصدق والأمانة والفقّه والعدالة وقبول الشهادة وصحّة الاعتقاد وسلامت المذهب... .

سمعت القاضي أبا الطيّب الطبري يقول: كان الدارقطني أمير المؤمنين في الحديث...»^(٥٧٧).

وقال ابن الجوزي: «قد اجتمع له مع علم الحديث والمعرفة بالقراءات والنحو والفقّه والشعر، مع

الأمانة والعدالة وصحّة العقيدة»^(٥٧٨).

وقال الذهبي: «الدارقطني الإمام الحافظ المجوّد، شيخ الإسلام، علم

الجهابذة... كان من بحور العلم ومن أئمة الدنيا، انتهى إليه الحفظ ومعرفة علل الحديث ورجاله...»^(٥٧٩).

(٥٧٤) تاريخ بغداد ٨ : ٢٩٠.

(٥٧٥) تاريخ بغداد ١٢ : ٩٨.

(٥٧٦) سير أعلام النبلاء ١٧ : ٣١١.

(٥٧٧) تاريخ بغداد ١٢ : ٣٤.

(٥٧٨) المنتظم ١٤ : ٣٨٠.

(٥٧٩) سير أعلام النبلاء ١٦ : ٤٤٩.

* وأما «أبو نصر حبشون» ورجال السند إلى آخره، فسيأتي الكلام عليهم عند البحث مع ابن كثير... .

الطريق الثاني:

* أما «الأزهري»، أبو القاسم عبيدالله بن أحمد البغدادي، المتوفى سنة ٤٣٥، فقد ترجم له الخطيب نفسه:

قال: «كان أحد المعنّيين بالحديث والجامعين له، مع صدق وأمانة وصحة واستقامة ودوام درس القرآن، سمعنا منه المصنّفات الكبار، ومات في صفر سنة ٤٣٥»^(٥٨٠).

* وأما «محمد بن عبدالله ابن أخي ميمي»، الدقاق، المتوفى سنة ٣٩٠:

قال الخطيب: «كان ثقة مأموناً، ديناً فاضلاً»^(٥٨١).

وقال الذهبي: «الشيخ الصدوق المسند... أحد الثقات...»^(٥٨٢).

* وأما «أحمد بن عبدالله، المعروف بابن النيري»، المتوفى سنة ٣٢٠:

قال الخطيب: «ثقة»^(٥٨٣).

وقال ابن كثير: «صدوق»^(٥٨٤).

* وأما «علي بن سعيد الشامي» وبقية رجال السند، فسيأتي الكلام عليهم.

تنبيه:

لا يخفى أنّ الخطيب البغدادي لم يتكلم على سند هذا الحديث، بل سياق كلامه - حين سكت عن الطعن فيه بشيء، بل ذكر المتابعة - اعتقاده بصحته، وتأكيده على ذلك.

والخطيب البغدادي قال الذهبي بترجمته: «الخطيب، الإمام الأوحى، العلامة المفتي، الحافظ الناقد، محدث الوقت، وخاتمة الحفاظ... كتب الكثير، وتقدم في هذا الشأن، وبدء الأقران، وجمع وصنف،

(٥٨٠) تاريخ بغداد ١٠ : ٣٨٥.

(٥٨١) تاريخ بغداد ٥ : ٤٦٩.

(٥٨٢) سير أعلام النبلاء ١٦ : ٥٦٤.

(٥٨٣) تاريخ بغداد ٤ : ٢٢٧.

(٥٨٤) البداية والنهاية ٥ : ٢١٤.

وصحَّح وعلَّل، وجرَّح وعدَّل، وأرَّخ وأوضَّح، وصار أحفظ أهل عصره على الإطلاق... ثمَّ ذكر كلمات الأئمَّة في مدحه وإطرائه والثناء الجميل عليه بما يطول ذكره^(٥٨٥).

٣ - رواية ابن عساكر:

رواه بطرق، فأخرج بسنده عن أبي بكر الخطيب، كما تقدَّم عن تاريخ بغداد حرفاً بحرف... ثمَّ قال:

«أخبرناه عالياً أبو بكر بن المزرفي، أنبأنا أبو الحسين بن المهدي، أنبأنا عمر بن أحمد، أنبأنا أحمد بن عبدالله بن أحمد، أنبأنا علي بن سعيد الرقي، أنبأنا ضمرة، عن ابن شوذب، عن مطر الوراق، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة...».

قال: «وأخبرناه أبو القاسم بن السمرقندي، أنبأنا أبو الحسين بن النور، أنبأنا محمد بن عبدالله بن الحسين الدقاق، أنبأنا أحمد بن عبدالله بن أحمد بن العباس بن سالم بن مهران المعروف بابن النيري...»^(٥٨٦).

الطريق الأوَّل:

* أمَّا «أبو بكر بن المزرفي»، المتوفَّى سنة ٥٢٧:

قال ابن الجوزي: «سمعت منه الحديث، وكان ثقةً ثبتاً عالماً، حسن العقيدة»^(٥٨٧).

وقال الذهبي: «كان ثقةً متقناً»^(٥٨٨).

* وأمَّا «أبو الحسين ابن المهدي»، المتوفَّى سنة ٤٦٥:

قال الخطيب: «كان ثقةً نبيلاً».

وقال السمعاني: «كان ثقةً حجّةً، نبيلاً، مكثرًا».

وقال أبي النرسي: «كان ثقةً يقرأ للناس».

وقال الذهبي: «الإمام العالم الخطيب، المحدث، الحجّة، مسند العراق، أبو الحسين محمد بن

علي بن محمد... سيّد بني هاشم في عصره...»^(٥٨٩).

(٥٨٥) سير أعلام النبلاء ١٨ : ٢٧٠ - ٢٩٧.

(٥٨٦) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٢٣٣ - ٢٣٤.

(٥٨٧) المنتظم ١٧ : ٢٨١.

(٥٨٨) سير أعلام النبلاء ١٩ : ٦٣١.

(٥٨٩) هذه الكلمات كلّها في سير أعلام النبلاء ١٨ : ٢٤١.

* وأما «عمر بن أحمد»، فهو ابن شاهين، المتوفى سنة ٣٨٥:

قال الخطيب: «كان ثقة أميناً».

وقال ابن ماكولا: «هو الثقة الأمين».

وقال حمزة السهمي عن الدارقطني: «هو ثقة».

وقال أبو الوليد الباجي: «هو ثقة».

وقال الأزهري: «كان ثقة».

وقال الذهبي: «ابن شاهين الشيخ الصدوق، الحافظ، العالم، شيخ العراق، وصاحب التفسير الكبير،

أبو حفص عمر بن أحمد...»^(٥٩٠).

* وأما «أحمد بن عبدالله بن أحمد»، فهو ابن النيري المتقدم.

* وأما سائر رجال السند فسيأتي الكلام عليهم.

الطريق الثاني:

* أما «أبو القاسم بن السمرقندي»، المتوفى سنة ٥٣٦:

قال ابن عساكر: «كان ثقة مكثرًا».

وقال السلفي: «هو ثقة».

وقال الذهبي: «الشيخ الإمام، المحدث، المفيد، المسند، أبو القاسم إسماعيل بن أحمد...»^(٥٩١).

* وأما «أبو الحسين بن النقور»، المتوفى سنة ٤٧٠:

قال الخطيب: «كان صدوقًا».

وقال ابن خيرون: «ثقة».

وقال الذهبي: «ابن النقور، الشيخ الجليل الصدوق، مسند العراق،

أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن النقور البغدادي البرّاز...»^(٥٩٢).

* وأما «محمد بن عبدالله بن الحسين الدقاق»، فهو ابن أخي ميمي المتقدم.

* وأما «أحمد بن عبدالله... ابن النيري» فقد تقدّم أيضاً.

* وأما سائر رجال السند فسيأتي الكلام عليهم.

(٥٩٠) هذه الكلمات كلّها في سير أعلام النبلاء ١٦ : ٤٣١.

(٥٩١) هذه الكلمات كلّها في سير أعلام النبلاء ٢٠ : ٢٨.

(٥٩٢) هذه الكلمات كلّها في سير أعلام النبلاء ١٨ : ٣٧٢.

● مع ابن تيمية الحراني:

واستدل العلامة الحلبي بالآية المباركة، فقال:

«البرهان الثالث: قوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً).

روى أبو نعيم بإسناده إلى أبي سعيد الخدري، أن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلّم دعا الناس إلى

غدير خمّ...»

فأجاب ابن تيمية مكرراً ما قاله في الآية السابقة:

إنّ مجرد عزوه إلى رواية أبي نعيم لا تفيد الصحة!

وإنّ هذا الحديث من الكذب الموضوع باتّفاق أهل المعرفة بالموضوعات!

وهذا لا يعرفه أهل العلم بالحديث، والمرجع إليهم في ذلك.

وإنّ هذه الآية ليس فيها دلالة على عليّ ولا إمامته بوجه من الوجوه، بل فيها إخبار الله بإكمال

الدين وإتمام النعمة على المؤمنين، ورضا الإسلام ديناً.

فدعوى المدّعي أنّ القرآن يدلّ على إمامته من هذا الوجه كذب ظاهر.

قال: «وإن قال: الحديث يدلّ على ذلك.

فيقال: الحديث إن كان صحيحاً فتكون الحجّة من الحديث لا من الآية، وإن لم يكن صحيحاً

فلا حجّة في هذا ولا في هذا، فعلى التقديرين لا دلالة في الآية على ذلك...»^(٥٩٣).

أقول:

إنّ الاستدلال بالآية المباركة المفسّرة بالحديث الصحيح... فالاستدلال إنّما هو بالقرآن لا بالحديث،

والحديث المفسّر للآية صحيح وليس بموضوع... فما ذكره كذب وتعصّب وتناقض.

● مع ابن كثير الدمشقي في تاريخه:

وأما تلميذه ابن كثير الدمشقي فقد زاد ضخماً على إباله، فقال:

«فأمّا الحديث الذي رواه ضمرة، عن ابن شوذب، عن مطر الوراق، عن شهر بن حوشب، عن

أبي هريرة، قال: لما أخذ رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم بيد عليّ قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه؛

فأنزل الله عزّ وجلّ: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي). قال أبو هريرة: وهو يوم غدير خمّ، من صام

يوم ثمان عشرة من ذي الحجّة كتب له صيام ستين شهراً.

(٥٩٣) منهاج السنّة ٧ : ٥٢ - ٥٥.

فإنه حديث منكر جداً، بل كذب، لمخالفته لما ثبت في الصحيحين عن عمر بن الخطاب أن هذه الآية نزلت في يوم الجمعة يوم عرفة، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واقف بها كما قدمنا. وكذا قوله: إن صيام يوم الثامن عشر من ذي الحجة، وهو يوم غدير خم، يعدل صيام ستين شهراً؛ لا يصح؛ لأنه قد ثبت ما معناه في الصحيح أن صيام شهر رمضان بعشرة أشهر، فكيف يكون صيام يوم واحد يعدل ستين شهراً؟! هذا باطل.

وقد قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي - بعد إيراد هذا الحديث - هذا حديث منكر جداً. ورواه حبشون الخلال وأحمد بن عبد الله بن أحمد النيري - وهما صدوقان - عن علي بن سعيد الرملي، عن ضمرة.

قال: ويروى هذا الحديث من حديث عمر بن الخطاب، ومالك بن الحويرث، وأنس بن مالك، وأبي سعيد، وغيرهم، بأسانيد واهية.

قال: وصدر الحديث متواتر، أتيفن أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاله. وأما: اللهم وال من والاه؛ فزيادة قوية الإسناد.

وأما هذا الصوم فليس بصحيح.

ولا والله ما نزلت هذه الآية إلا يوم عرفة قبل غدير خم بأيام. والله تعالى أعلم»^(٥٩٤).

أقول:

أولاً: هذا الحديث قد عرفت رواته وثقة رجاله، وبقي منهم:

* علي بن سعيد الرملي - وهو علي بن أبي حملة - ، وقد نص الذهبي على ثقته وإنه لم يتكلم فيه أحد، فقال:

«ما علمت به بأساً، ولا رأيت أحداً إلى الآن تكلم فيه، وهو صالح الأمر، ولم يخرج له أحد من أصحاب الكتب الستة مع ثقته»^(٥٩٥).

وقال الحافظ ابن حجر متعقباً له: «وإذا كان ثقة ولم يتكلم فيه أحد فكيف تذكره في الضعفاء... قال البخاري: مات سنة ٢١٦»^(٥٩٦)

* ضمرة بن ربيعة، المتوفى سنة ٢٠٢، وهو من رجال البخاري في الأدب المفرد، والأربعة:

(٥٩٤) البداية والنهاية ٥ : ٢١٣ - ٢١٤.

(٥٩٥) ميزان الاعتدال ٣ : ١٢٥.

(٥٩٦) لسان الميزان ٤ : ٢٢٧.

«قال عبدالله بن أحمد، عن أبيه: رجل صالح، صالح الحديث، من الثقات المأمونين، لم يكن بالشام رجل يشبهه، وهو أحبُّ إلينا من بقية، بقية كان لا يبالي عن من حدّث.

وقال عثمان بن سعيد الدارمي، عن يحيى بن معين، والنسائي: ثقة.

وقال أبو حاتم: صالح.

وقال محمد بن سعد: كان ثقة مأموناً خيراً، لم يكن هناك أفضل منه»^(٥٩٧).

* عبدالله بن شوذب، المتوفى سنة ١٥٦، وهو من رجال أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه:

قال الذهبي: «وثقه جماعة، كان إذا رُئي ذُكرت الملائكة»^(٥٩٨).

وقال ابن حجر: «صدوق عابد»^(٥٩٩).

وقال أيضاً: «قال سفيان: كان ابن شوذب من ثقات مشايخنا.

وقال ابن معين وابن عمّار والنسائي: ثقة.

وقال أبو حاتم: لا بأس به.

وذكره ابن حبان في الثقات...»^(٦٠٠).

* مطر الوراق، المتوفى سنة ١٢٩، ويكفي كونه من رجال البخاري في باب التجارة في البحر من الجامع، ومن رجال مسلم والأربعة»^(٦٠١).

* شهر بن حوشب، المتوفى سنة ١١٢ أو ١١١ أو ١٠٠ أو ٩٨، وهو من رجال البخاري في الأدب المفرد، ومسلم، والأربعة. وهذا كاف في ثقته»^(٦٠٢).

وثانياً: اعتراف الحافظ الذهبي بتواتر صدر الحديث، وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» وكذا بقوة سند قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم وال من والاه» وتقرير ابن كثير وقبوله له، ردُّ لتشكيكات المبطلين، ومكابرات الضالّين، فالحمد لله الذي أجرى الحقّ على لسانيهما... .

وثالثاً: حكمه بالبطان على رواية صيام الثامن عشر من ذي الحجّة، وهو يوم غدیر خمّ؛ هو الباطل، وقد أجبنا عنه بالتفصيل في كتابنا الكبير»^(٦٠٣).

(٥٩٧) تهذيب الكمال ١٣ : ٣١٩ - ٣٢٠، ولاحظ سائر الكلمات في هامشه.

(٥٩٨) الكاشف ٢ : ٨٦.

(٥٩٩) تقريب التهذيب ١ : ٤٢٣.

(٦٠٠) تهذيب التهذيب ٥ : ٢٢٥.

(٦٠١) تهذيب الكمال ٢٨ : ٥٥، تقريب التهذيب ٢ : ٢٥٢.

(٦٠٢) تهذيب الكمال ١٢ : ٥٧٨، تقريب التهذيب ١ : ٣٥٥.

(٦٠٣) نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار ٨ : ٢٧٧ - ٢٨٤.

ويبقى الكلام حول دعوى مخالفة الحديث لما في الصحيحين، وسنتعرض له عند الكلام.

● مع ابن كثير في تفسيره:

فقد قال في تفسيره: «وقوله: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم...» ثم روى أحاديث وأقوالاً منها:

«قال أسباط، عن السدي: نزلت هذه الآية يوم عرفة، فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام، ورجع رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم فمات».

«وقال ابن جرير وغير واحد: مات رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم بعد يوم عرفة بأحد وثمانين يوماً».

«وقال الإمام أحمد: حدثنا جعفر بن عون، حدثنا أبو العميس، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب، قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر ابن الخطاب... فقال عمر: والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله، والساعة التي نزلت فيها على رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم، عشية عرفة في يوم الجمعة».

ورواه البخاري... ورواه أيضاً مسلم والترمذي والنسائي أيضاً من طرق عن قيس بن مسلم، به. ولفظ البخاري عند تفسير هذه الآية من طريق سفيان الثوري عن قيس، عن طارق، قال: «قالت اليهود لعمر: إنكم تقرؤون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً. فقال عمر: إني لأعلم حين أنزلت؟ وأين أنزلت؟ وأين رسول الله حيث أنزلت، يوم عرفة، وإنا - والله - بعرفة».

قال سفيان: وأشكُّ كان يوم الجمعة أم لا».

«وقال ابن مردويه: حدثنا أحمد بن كامل، حدثنا موسى بن هارون، حدثنا: يحيى بن الحماني، حدثنا قيس بن الربيع، عن إسماعيل بن سلمان، عن أبي عمر البزار، عن ابن الحنفية، عن علي، قال: نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم وهو قائم عشية عرفة (اليوم أكملت لكم دينكم)».

«فأما ما رواه ابن جرير وابن مردويه والطبراني من طريق ابن لهيعة، عن خالد بن أبي عمران، عن حنش بن عبد الله الصنعاني، عن ابن عباس، قال:

ولد نبيكم يوم الاثنين، وخرج من مكة يوم الاثنين، ودخل المدينة يوم الاثنين، وأنزلت سورة المائدة يوم الاثنين (اليوم أكملت لكم دينكم)، ورفع الذكر يوم الاثنين».

فإنه أثر غريب وإسناده ضعيف».

«وقال ابن جرير: وقد قيل: ليس ذلك بيوم معلوم عند الناس».

ثم روى من طريق العوفي، عن ابن عباس في قوله: (اليوم أكملت لكم دينكم) يقول: ليس بيوم معلوم عند الناس.

قال: وقد قيل: إنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مسيره إلى حجة الوداع. ثم رواه من طريق أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس.

«قلت: وقد روى ابن مردويه من طريق أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري، أنها أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدیر خمّ حين قال لعليّ: «من كنت مولاه فعليّ مولاه». ثم رواه عن أبي هريرة وفيه: إنه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، يعني مرجعه عليه السلام من حجة الوداع.

ولا يصحّ لا هذا ولا هذا.

بل الصواب الذي لا شك فيه ولا مرية، أنها أنزلت يوم عرفة، وكان يوم الجمعة، كما روى ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب!! وعليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأول ملوك الإسلام معاوية بن أبي سفيان، وترجمان القرآن عبدالله بن

عبّاس، وسمرة بن جندب. وأرسله الشعبي، وقتادة بن دعامة، وشهر بن حوشب، وغير واحد من الأئمة والعلماء، واختاره ابن جرير الطبري رحمه الله^(٦٠٤).

أقول:

أولاً: إذا كان لم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام، فكيف جاءت الآية وسط أحكام لا علاقة لها بها، وبعدها حلال وحرام؟!

إنّ وضعها في هذا الموضع تمهيداً لأن يضع الوضّاعون - بعد ذلك - الأحاديث المختلفة في شأن نزول الآية المباركة؛ حتى تضيع الحقيقة.

وثانياً: إذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد توفّي بعد يوم عرفة بأحد وثمانين يوماً، وذلك في الثاني عشر من ربيع الأول كما يقولون، فإنّ ذلك يتناسب مع نزول الآية يوم غدیر خمّ الثامن عشر من ذي الحجة لا يوم عرفة التاسع منه!

وثالثاً: هل نزلت الآية يوم عرفة؟! يوم الجمعة؟!

في رواية عن عمر: «عشيّة عرفة يوم الجمعة».

وفي رواية أخرى عنه، قال سفيان: «أشكّ كان يوم الجمعة أم لا».

(٦٠٤) تفسير القرآن العظيم ٣ : ٢٦ - ٢٩.

وفي رواية عن عليٍّ - لو صحَّت - : «عشيَّة عرفة» فقط.
وفي رواية عن ابن عباس: «يوم الاثنين» بلا ذكر لـ«يوم عرفة».
وفي رواية عن ابن عباس أيضاً: «ليس بيوم معلوم عند الناس» فلا عرفة، ولا جمعة!
وفي رواية عن أنس بن مالك: «في مسيره إلى حجة الوداع» فلا عرفة، ولا جمعة، كذلك.
وفي رواية عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة: «اليوم الثامن عشر من ذي الحجة» يوم غدیر خمّ.
وفي رواية أخرى عند البيهقي: «أنّها نزلت يوم التروية»^(٦٠٥).
وفي رواية النسائي، عن طارق بن شهاب، عن عمر - وهو سند البخاري نفسه - : «قال عمر: قد علمت اليوم الذي أنزلت فيه والليلة التي أنزلت، ليلة الجمعة، ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وآله [وسلم بعرفات»^(٦٠٦).
فالأحاديث متعارضة...
وحتى التي عن عمر بن الخطاب!!

فالحقّ:

هو ما قاله أئمة أهل البيت عليهم السلام ورواه كبار الحفاظ وأعلام العلماء من أهل السنة عن عدّة من الصحابة، ومن أنّها إنّما نزلت يوم غدیر خمّ، بعدما خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطبته التي قال فيها ما شاء الله أن يقول: وجاء فيها - بعد أن أخذ بيد عليٍّ أمير المؤمنين: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه...».

* * *

(٦٠٥) فتح الباري ٨ : ٢١٨.

(٦٠٦) السنن الكبرى ٢ : ٤٢٠ / ٣٩٩٧.

آية سأل سائل

قوله تعالى: (سأل سائل بعذاب واقع)^(٦٠٧)

قال السيّد:

«ألم تر كيف فعل ربك يومئذ بمن جحد ولايتهم علانيةً، وصادر بها رسول الله صلى الله وآله وسلم جهرَةً؟! فقال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم. فرماه الله بحجر من سجّيل كما فعل من قبل بأصحاب الفيل، وأنزل في تلك الحال: (سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين ليس له دافع)».

قال في الهامش:

«أخرج الإمام الثعلبي في تفسيره الكبير هذه القضية مفصلةً، ونقلها العلامة المصري الشبلنجي في أحوال عليّ من كتابه نور الأبصار، فراجع منه ص ٧١، والقضية مستفيضة، ذكرها الحلبي في أواخر حجة الوداع من الجزء ٣ من سيرته، وأخرجها الحاكم في تفسير المعارج من المستدرک فراجع ص ٥٠٢ من جزئه الثاني»^(٦٠٨).

فقل:

«ما ذكره المؤلّف في سبب نزول هاتين الآيتين باطل باتّفاق أهل العلم من وجوه كثيرة، أهمّها:
١ - الرفضة تعتقد أنّ قصة سبب نزول هاتين الآيتين حصلت بعد يوم غدیر خمّ، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، بعد حجة الوداع، وهم يتّخذون من هذا اليوم عيداً.
وهذه السورة - سورة (سأل سائل) - مكّية، باتّفاق أهل العلم، نزلت بمكّة قبل غدیر خمّ بعشر سنين أو أكثر من ذلك، فكيف نزلت بعده؟!»

٢ - وأيضاً: قوله تعالى (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق...) الآية من سورة الأنفال، وقد نزلت ببدر بالاتّفاق قبل غدیر خمّ بسنين كثيرة؛ وأهل التفسير متفقون على أنّها نزلت بسبب ما قال المشركون للنبيّ قبل الهجرة، كأبي جهل وأمّته. (منهاج السنّة ٤ / ١٣).

(٦٠٧) سورة المعارج ٧٠ : ١.

(٦٠٨) المراجعات: ٣٠.

وأما قول المؤلف في الحاشية: (القضية مستفيضة...)، فقد أخرجها الحاكم، عن سعيد بن جبير، أنه سئل، فقال: (ذي المعارج): ذي الدرجات. (سأل سائل): هو النضر بن الحارث بن كلدة، قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء.
 وأشار الذهبي إليه بـ: (خ). المستدرک ٢ / ٥٠٢.
 فأين دلالة هذه الرواية مما ذهب إليه المؤلف وأوهم به؟!».

أقول:

نذكر أولاً أسماء طائفة من رواة الخبر من أبناء العامة، ليظهر بطلان قول القائل - تقليداً لابن تيمية - : «باطل باتفاق أهل العلم»، فنقول:
 لقد وردت الرواية في كتب القوم عن عدة كبيرة من الأعلام، ورواها الكثيرون من المحدثين والمفسرين المشهورين في كتبهم، وإليك الأسماء:
 ١ - أبو بكر السبيعي، المتوفى سنة ١٢٦.
 ٢ - سفيان بن سعيد الثوري، المتوفى سنة ١٦١.
 ٣ - سفيان بن عيينة، المتوفى سنة ١٩٨.
 ٤ - أبو نعيم الفضل بن دكين، المتوفى سنة ٢١٩.
 ٥ - أبو عبيد الهروي، المتوفى سنة ٢٢٣ أو ٢٢٤.
 ٦ - إبراهيم بن حسين الكسائي، ابن ديزيل، المتوفى سنة ٢٨١.
 ٧ - أبو بكر النقاش الموصلي، المتوفى سنة ٣٥١.
 ٨ - أبو إسحاق الثعلبي، المتوفى سنة ٤٢٧ أو ٤٣٧.
 ٩ - أبو الحسن الواحدي، المتوفى سنة ٤٦٨.
 ١٠ - الحاكم الحسكاني النيسابوري، المتوفى سنة ٤٧٠.
 ١١ - سبط بن الجوزي، المتوفى سنة ٦٥٤.
 ١٢ - أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، المتوفى سنة ٦٧١.
 ١٣ - شيخ الإسلام الحموي الجويني، المتوفى سنة ٧٢٢.
 ١٤ - الشيخ محمد الزرندي المدني الحنفي، المتوفى بعد سنة ٧٥٠.
 ١٥ - ملك العلماء شهاب الدين الدولة آبادي، المتوفى سنة ٨٤٩.
 ١٦ - نور الدين بن الصبّاح المالكي، المتوفى سنة ٨٥٥.

١٧ - نور الدين على بن عبدالله السمهودي، المتوفى سنة ٩١١.

١٨ - شمس الدين الخطيب الشربيني القاهري، المتوفى سنة ٩٧٧.

١٩ - أبو السعود محمد بن محمد العمادي، المتوفى سنة ٩٨٢.

٢٠ - جمال الدين المحدث الشيرازي، المتوفى سنة ١٠٠٠.

٢١ - زين الدين عبدالرؤوف المناوي، المتوفى سنة ١٠٣١.

٢٢ - نور الدين علي بن إبراهيم الحلبي، المتوفى سنة ١٠٤٤.

٢٣ - أحمد بن باكير المكي، المتوفى سنة ١٠٤٧.

٢٤ - شمس الدين الحفني الشافعي، المتوفى سنة ١١٨١.

٢٥ - أبو عبدالله الزرقاني المالكي، المتوفى سنة ١١٢٢.

٢٦ - محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، المتوفى سنة ١١٨٢.

٢٧ - السيد مؤمن الشبنلنجي المصري، المتوفى بعد سنة ١٣٢٢.

٢٨ - الشيخ محمد عبده، المتوفى سنة ١٣٢٣.

القضية كما في الروايات:

والقضية في مجملها كما في الروايات: إنه لما خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطبته في غدِيرِ حَمٍّ، وقال فيها ما شاء الله أن يقول: وذكر أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام حتى قال: «أيها الناس! أليست أولى بكم من أنفسكم؟! قالوا: بلى. قال: فمن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه...»، وبايع القوم علياً...، وطار الخبر في الأقطار، وشاع في البلاد والأمصار، فبلغ الناس الذين لم يكونوا مع رسول الله في حجته... .

أناه رجل^(٦٠٩) على ناقة له، فأناخها على باب مسجده، ثم عقلها، فدخل في

المسجد، ورسول الله جالس وحول أصحابه، فجثا بين يديه، فقال:

يا محمد! إنك أمرتنا أن نشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله؛ فقبلنا منك ذلك.

وإنك أمرتنا أن نصلي خمس صلوات في اليوم والليلة، ونصوم رمضان، ونحج البيت، ونزكي أموالنا؛

فقبلنا منك.

ثم لم ترض بهذا، حتى رفعت بصبعي ابن عمك، وفضلته على الناس، وقلت: من كنت مولاه فعليٌّ

مولاه!

(٦٠٩) سيأتي الكلام في اسم هذا الرجل.

فهذا شيء منك أو من الله؟!

فقال رسول الله - وقد احمرّت عيناه - : والله الذي لا إله إلا هو، إنّه من الله وليس منّي. قالها ثلاثاً. فقام الرجل وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمّد حقّاً، فأرسل علينا حجارةً من السماء، أو اتتنا بعذاب أليم.

قال الراوي: فوالله ما بلغ ناقته حتّى رماه الله من السماء بحجر، فوقع على هامته، فخرج من دبره، ومات. وأنزل الله تعالى: (سأل سائل بعذاب واقع).

■ رواية هذا الخبر من الأئمة عليهم السلام والأصحاب:

وقد جاء هذا الخبر في كتب القوم بأسانيدهم عن:

- ١ - الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.
- ٢ - الإمام محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام.
- ٣ - الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام.
- ٤ - عبد الله بن العباس.
- ٥ - حذيفة بن اليمان.
- ٦ - سعد بن أبي وقاص.
- ٧ - أبي هريرة.

■ من رواته من الأعلام:

ومن رواية الخبر من كبار الأئمة وأعلام القوم:

١ - سفيان بن عيينة:

وهذه نصوص في الثناء الجميل عليه:

قال النووي: «روى عنه: الأعمش، والثوري، ومسعر، وابن جريج، وشعبة، وهمام، ووكيع، وابن المبارك، وابن مهدي، والقطان، وحمام بن زيد، وقيس بن الربيع، والحسن بن صالح، والشافعي، وابن وهب، وأحمد بن حنبل... وأنفقوا على إمامته، وجلالته، وعظيم مرتبته. وُلد سفيان سنة ١٠٧، وتوفي يوم السبت غرة رجب سنة ١٩٨»^(٦١٠).

(٦١٠) تهذيب الأسماء واللغات ١ : ٢٢٤ رقم ٢١٧.

وقال الذهبي: «العلامة الحافظ، شيخ الإسلام، كان إماماً، حجةً، حافظاً، واسع العلم، كبير القدر»^(٦١١).

وقال: «أحد الأعلام، ثقة، ثبت، حافظ، إمام»^(٦١٢).

٢ - سفيان الثوري:

وهذه نصوص في الثناء الجميل عليه:

قال شعبة، وسفيان بن عيينة، وأبو عاصم النبيل، ويحيى بن معين، وغير واحد من العلماء: سفيان أمير المؤمنين في الحديث.

وقال سفيان بن عيينة: أصحاب الحديث ثلاثة: ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه.

وقال عباس الدوري: رأيت يحيى بن معين لا يقدم على سفيان في زمانه أحداً في الفقه، والحديث، والزهد، وكل شيء.

وقال شعبة: إن سفيان ساد الناس بالورع والعلم.

وقال الخطيب: كان إماماً من أئمة المسلمين، وعلماً من أعلام الدين، مجمعاً على أمانته بحيث يستغنى عن تزكياته، مع الإتقان والحفظ والمعرفة والضبط والورع والزهد.

وهو من رجال الصحاح الستة.

واجتمعوا على أنه توفي بالبصرة سنة ١٦١^(٦١٣).

٣ - ابن ديزيل:

ومن رواة هذا الخبر من الأعلام:

أبو إسحاق إبراهيم بن الحسين الهمداني الكسائي، ويعرف بابن ديزيل، المتوفى سنة ٢٨١.

وتوجد ترجمته في: تذكرة الحفاظ ٢ : ٦٠٨، الوافي بالوفيات ٥ : ٣٤٦،

البداية والنهاية ١١ : ٧١، طبقات القراء ١ : ١١، وغيرها... ونحن نكتفي بموجز ما جاء في سير أعلام النبلاء، حيث ترجم له الذهبي قائلاً:

(٦١١) تذكرة الحفاظ ١ : ٢٦٢ رقم ٢٤٩.

(٦١٢) الكاشف ١ : ٣٠١.

(٦١٣) تهذيب الكمال ١١ : ١٦٤ - ١٦٩.

«ابن ديزيل، الإمام الحافظ، الثقة، العابد، سمع بالحرمين ومصر والشام والعراق والجبال، وجمع فأوعى. وُلد قبل المئتين مُدَيِّدة، وسمع أبا نعيم، و... .

حدّث عنه: أبو عوانة، و... .

وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً.

قال الحاكم: هو ثقة، مأمون

وقال ابن خراش: صدوق اللهجة.

قلت: إليه المنتهى في الإتقان. روي عنه أنّه قال: إذا كان كتابي بيدي وأحمد بن حنبل عن يميني

ويحیی بن معین عن شمالي، ما أبالي. يعني: لضبط كتبه.

قال صالح بن أحمد في تاريخ همدان: سمعت جعفر بن أحمد يقول: سألت أبا حاتم الرازي عن

ابن ديزيل، فقال: ما رأيت ولا بلغني عنه إلا صدق وخير...»^(٦١٤).

● نقل القوم عن تفسير الثعلبي واعتمادهم عليه:

وروى كثير من العلماء هذا الخبر عن تفسير الثعلبي مرتضين إيّاه ومعتمدين عليه، في مختلف

الكتب، وإليك بعض عباراتهم:

قال سبط ابن الجوزي: «اتفق علماء السير أنّ قصة الغدير كانت بعد رجوع النبي صلى الله عليه [وآله]

وسلم من حجة الوداع، في الثامن عشر من

ذي الحجة، جمع الصحابة - وكانوا ١٢٠ ألفاً - وقال: من كنت مولا فعلي مولا... الحديث. نص صلى الله

عليه [وآله] وسلم على ذلك بصريح العبارة دون التلويح والإشارة.

وذكر أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره بإسناده: إنّ النبي لما قال ذلك، طار في الأقطار، وشاع في البلاد

والأمصار، وبلغ ذلك الحارث بن النعمان الفهري...»^(٦١٥).

وقال السهودي: «وروى [الإمام] الثعلبي في تفسيره: إنّ سفيان ابن عيينة - رحمه الله - سئل عن

قول الله عزّ وجلّ: (سأل سائل بعذابي واقع) في من نزلت؟ فقال للسائل: سألتني عن مسألة ما سألتني عنها أحد

قبلك؛ حدّثني أبي عن جعفر بن محمّد، عن آبائه: إنّ رسول الله لما كان بغدير خمّ، نادى الناس

فاجتمعوا، فأخذ بيد عليّ، وقال: من كنت مولا فعلي مولا. فشاع ذلك وطار في البلاد، فبلغ ذلك

الحارث بن النعمان...»^(٦١٦).

(٦١٤) سير أعلام النبلاء ١٣ : ١٨٤ - ١٨٦.

(٦١٥) تذكرة الخواص: ٣٧.

(٦١٦) جواهر العقدين - القسم الثاني - ١ : ٩٨.

وقال المناوي: بشرح «من كنت مولاه فعليّ مولاه»: «وفي تفسير الثعلبي عن ابن عيينة: إنّ النبيّ لما قال ذلك طار في الآفاق، فبلغ الحارث بن النعمان، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم فقال: يا محمّد...»^(٦١٧).

وقال الزرقاني: «وفي تفسير الثعلبي عن ابن عيينة: إنّ النبيّ لما قال ذلك طار في الآفاق، فبلغ الحرث بن النعمان، فأتى رسول الله فقال: يا محمّد...»^(٦١٨).

وقال ابن الصبّاغ: «ونقل الإمام أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله في تفسيره:

إنّ سفيان بن عيينة سئل عن قول الله عزّ وجلّ: (سأل سائل بعذاب واقع) فيمن نزلت؟ فقال للسائل...»^(٦١٩).

وقال الزرندي: «ونقل الإمام أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله في تفسيره: إنّ سفيان بن عيينة سئل عن قول الله: (سأل سائل بعذاب واقع) في من نزلت؟...»^(٦٢٠).

● رواية الحمّويّ الجويني عن الثعلبي بالإسناد:

ورواه شيخ الإسلام الحمّويّ بالإسناد عن الواحدي عن الثعلبي، حيث قال: «أخبرني الشيخ عماد الدين عبدالحافظ بن بدران - بمدينة نابلس، في ما أجاز لي أنّ أرويه عنه -، إجازةً عن القاضي جمال الدين أبي القاسم بن عبدالصمد الأنصاري، إجازةً عن عبدالجبار بن محمّد الخواري البيهقي، إجازةً عن الإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، قال: قرأت على شيخنا الأستاذ أبي إسحاق الثعلبي في تفسيره:

إنّ سفيان بن عيينة سئل عن قوله عزّ وجلّ: (سأل سائل بعذاب واقع) في من نزلت؟...»^(٦٢١).

الحمّويّ شيخ الذهبي:

والحمّويّ هذا من مشايخ الحافظ الذهبي، إذ ذكره في معجمه المختصّ، وترجم له قائلاً:

(٦١٧) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٦ : ٢١٨.

(٦١٨) شرح المواهب اللدنيّة ٧ : ١٣.

(٦١٩) الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ٤١.

(٦٢٠) نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرضى والبتول والسبطين: ٩٣.

(٦٢١) فرائد السمطين ١ : ٨٢.

«إبراهيم بن محمّد المؤيّد بن عبد الله بن علي بن محمّد بن حمويه، الإمام الكبير، المحدث، شيخ المشايخ، صدر الدين، أبو المجمع، الخراساني الجويني الصوفي. وُلد سنة ٦٤٤، وسمع بخراسان وبغداد والشام والحجاز، وكان ذا اعتناء بهذا الشأن، وعلى يده أسلم الملك غازان. توفّي بخراسان في سنة ٧٢٢. قرأنا على أبي المجمع إبراهيم بن حمويه سنة ٦٩٥...»^(٦٢٣).

كلمات في الثعلبي وتفسيره:

وهذه كلمات في الثعلبي وتفسيره عن أكابر علماء القوم:

١ - ابن خلكان: «أبو إسحاق أحمد بن محمّد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، المفسّر المشهور، كان أوحده أهل زمانه في علم التفسير، وصنّف التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير...، وقال أبو القاسم القشيري: رأيت ربّ العزّة عزّ وجلّ في المنام وهو يخاطبني وأخاطبه، فكان في أثناء ذلك أن قال الربّ تعالى اسمه: أقبل الرجل الصالح. فالتفتُ فإذا أحمد الثعلبي مقبل!

وذكره عبدالغافر بن إسماعيل الفارسي في كتاب سياق تاريخ نيسابور وأثنى عليه، وقال: هو صحيح النقل موثوق به، حدّث عن أبي طاهر بن خزيمة والإمام أبي بكر بن مهران المقري، وكان كثير الحديث كثير الشيوخ. توفّي سنة ٤٢٧، وقال غيره: توفّي في محرّم سنة ٤٢٧، وقال غيره: توفّي يوم الأربعاء لسبع بقين من المحرم سنة ٤٣٧ رحمه الله تعالى»^(٦٢٣).

٢ - الذهبي: «وفيها توفّي أبو إسحاق الثعلبي، وكان حافظاً، واعظاً، رأساً في التفسير والعربية، متين الديانة»^(٦٢٤).

٣ - الصفدي: «كان حافظاً، عالماً، بارعاً في العربية، موثقاً»^(٦٢٥).

٤ - اليافعي: «المفسّر المشهور، وكان حافظاً، واعظاً، رأساً في التفسير والعربية متين الديانة، فاق بتفسيره الكبير سائر أهل التفاسير»^(٦٢٦).

٥ - ابن قاضي شهبه: «أخذ عنه أبو الحسن الواحدي. روى عن أبي القاسم القشيري. قال الذهبي: كان حافظاً، رأساً في التفسير والعربية، متين الديانة»^(٦٢٧).

٦ - السيوطي: «كان إماماً كبيراً، حافظاً للغة، بارعاً في العربية»^(٦٢٨).

(٦٢٢) المعجم المختص: ٦٥.

(٦٢٣) وفيات الأعيان ١ : ٧٩.

(٦٢٤) العبر في خبر من غير: حوادث سنة ٤٢٧.

(٦٢٥) الوافي بالوفيات ٧ : ٣٠٧.

(٦٢٦) مرآة الجنان: حوادث سنة ٤٢٧.

(٦٢٧) طبقات الشافعية ١ : ٢٠٣.

أسانيد الخبر في شواهد التنزيل:

وقد روى الحافظ الحاكم الحسكاني - المترجم في البحوث السابقة^(٦٢٩) - هذا الخبر بأسانيد عديدة، عن بعض أئمة أهل البيت عليهم السلام، وعدة من الصحابة، فرواه قائلاً:

١ - «أخبرنا أبو عبدالله الشيرازي، أخبرنا أبو بكر الجرجاني، حدّثنا أبو أحمد البصري، قال: حدّثني محمّد بن سهل، حدّثنا زيد بن إسماعيل مولى الأنصاري، حدّثنا محمّد بن أيّوب الواسطي، عن سفيان بن عيينة، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن عليّ...».

٢ - «حدّثونا عن أبي بكر السبيعي، حدّثنا أحمد بن محمّد بن نصر بن جعفر الضبعي، قال: حدّثني زيد بن إسماعيل بن سنان، حدّثنا شريح بن النعمان، حدّثنا سفيان بن عيينة، عن جعفر، عن أبيه، عن عليّ بن الحسين، قال: نصب رسول الله...».

٣ - «ورواه في التفسير العتيق، قال: حدّثنا إبراهيم بن محمّد الكوفي، قال: حدّثني نصر بن مزاحم، عن عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي، عن محمّد بن علي، قال: أقبل الحارث بن عمرو الفهري إلى النبي...».

«وفي الباب عن: حذيفة، وسعد بن أبي وقاص، وأبي هريرة، وابن عباس.».

٤ - «حدّثني أبو الحسن الفارسي، حدّثنا أبو الحسن محمّد بن إسماعيل الحسنّي، حدّثنا عبدالرحمن بن الحسن الأسدي، حدّثنا إبراهيم.».

وأخبرنا أبو محمّد بن محمّد البغدادي، حدّثنا أبو محمد عبدالله بن أحمد بن جعفر الشيباني، حدّثنا عبدالرحمن بن الحسن الأسدي، حدّثنا إبراهيم بن الحسين الكسائي، حدّثنا الفضل بن دكين، حدّثنا سفيان بن سعيد، حدّثنا منصور، عن ربعي، عن حذيفة بن اليمان، قال: لما قال رسول الله لعليّ: من كنت مولاه فهذا مولاه؛ قام النعمان بن المنذر الفهري، فقال...».

٥ - «وأخبرنا عثمان، أخبرنا فرات بن إبراهيم الكوفي، حدّثنا الحسين بن محمّد بن مصعب البجلي، حدّثنا أبو عمارة محمّد بن أحمد المهتدي، حدّثنا محمّد بن معشر المدني، عن سعيد بن أبي سعيد المقري، عن

(٦٢٨) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ١ : ٣٥٦.

(٦٢٩) انظر: ص ٦٢ من هذا الجزء.

أبي هريرة، قال: أخذ رسول الله بعض علي بن أبي طالب...»^(٦٣٠).

أقول:

ولو أردنا تصحيح كل هذه الأسانيد لطال بنا المقام، لكننا نكتفي ببيان صحة واحد منها، وهو الطريق الثاني للخبر الرابع، فنقول:

* أمّا أبو بكر محمد بن محمد البغدادي، فقد قال الحافظ عبدالغافر النيسابوري بترجمته: «محمد بن محمد بن عبدالله بن جعفر العطار الوراق الحنفي الحيري، أبو بكر بن أبي سعيد البغدادي، الفقيه. فاضل، دين، ظريف، قصير القامة، مليح الشمائل، حدّث عن... توفّي سنة ٤١٦»^(٦٣١).

* وأمّا عبدالله بن أحمد بن جعفر الشيباني النيسابوري، فقد ترجم له الخطيب البغدادي، فقال ما ملخصه:

كان له ثروة ظاهرة، فأنفق أكثرها على العلم وأهل العلم وفي الحجّ والجهاد وغير ذلك من أعمال البرّ، وكان من أكثر أقرانه سماعاً للحديث، كتب الناس عنه، روى عنه: يوسف بن عمر القوّاس وابن الثّلاج وإبراهيم بن مخلد بن جعفر، وأبو الحسن بن رزقويه، وغيرهم، وكان ثقة. توفّي سنة ٣٧٢^(٦٣٢).

* وأمّا عبدالرحمن بن الحسن الأسدي، فقد ترجم له الخطيب البغدادي كذلك، فقال:

«عبدالرحمن بن الحسن بن أحمد... الأسدي القاضي. من أهل همدان.

حدّث عن إبراهيم بن الحسين بن ديزيل الهمداني،... وقدم بغداد وحدّث بها، فكتب عن الشيوخ القدماء، وروى عنه: الدارقطني وحدّثنا عنه أبو الحسن بن رزقويه بكتاب تفسير ورقاء وغيره، وحدّثنا عنه أيضاً أبو الحسن بن الحمامي المقرئ، وأبو علي بن شاذان، وأحمد بن علي البادا...»^(٦٣٣).

وجعله الذهبي من (أعلام النبلاء) وترجم له^(٦٣٤).

ووفاته سنة ٣٥٢.

وقد ذكروا تكلم بعض معاصريه فيه بسبب روايته عن إبراهيم بن الحسين بن ديزيل، بدعوى أنّه لم يدركه، ومن هنا أورده الذهبي في ميزان الاعتدال^(٦٣٥)، وأوضح ذلك الحافظ ابن حجر في لسان الميزان

(٦٣٠) شواهد التنزيل ٢: ٢٨٦ - ٢٨٩.

(٦٣١) المنتخب من السياق: ٤٠ رقم ٦٠.

(٦٣٢) تاريخ بغداد ٩: ٣٩١.

(٦٣٣) تاريخ بغداد ١٠: ٢٩٢.

(٦٣٤) سير أعلام النبلاء ١٦: ١٥.

بأنَّ أبا حفص بن عمر والقاسم بن أبي صالح أنكرا روايته عن إبراهيم، وقالوا: بلغنا أنَّ إبراهيم قرأ كتاب التفسير قبل سنة سبعين، وادَّعى هذا - أي: عبدالرحمن بن الحسن الأسدي - أنَّ مولده سنة سبعين، وبلغنا أنَّ إبراهيم قلَّ أن يمرَّ له شيء فيعيده^(٦٣٦).

أقول:

لقد كان الرجل محدثاً جليلاً يروي عنه الدارقطني وأمثاله من الأئمة النقدية المتقنين، وهذا القدر من الكلام فيه لا يضرُّ بوثاقته:

أما أولاً: فلأنَّ كلام المعاصر في معاصره غير مسموع، كما نصَّ عليه الذهبي وابن حجر في غير موضع من كتبهما^(٦٣٧).

وأما ثانياً: فلأنَّ مبنى هذا الكلام هو ولادة عبدالرحمن سنة ٢٧٠، وأنَّ ابن ديزيل قرأ التفسير قبل هذه السنة - كما بلغ القائل -، وأنَّ ابن ديزيل قلَّ أن يعيد قراءة شيء.

لكن إذا كانت ولادته سنة ٢٧٠، ووفاة ابن ديزيل سنة ٢٨١ - كما تقدَّم -، فإنَّ من الجائز أن يكون قد سمع منه ما رواه عنه، أو سمع بعضه وسمَّعه أبوه البعض الآخر، وإذ لا جرح في الرجل من ناحية أُخرى، جاز لنا الاعتماد على خبره، مع رواية الأكابر عنه، ولا يعارض ذلك كلام معاصريه فيه خاصةً إذا كان استناداً إلى «بلغنا» و«بلغنا».

* وأما إبراهيم بن الحسين الكسائي، فهو «ابن ديزيل» وقد تقدَّمت ترجمته.

* وأما الفضل بن دكين، فمن رجال الصحاح الستة. قال ابن حجر الحافظ: «ثقة، ثبت، وهو من كبار شيوخ البخاري»^(٦٣٨).

* وأما سفيان بن سعيد، فهو الثوري، المتقدِّمة ترجمته.

* وأما منصور، فهو منصور بن المعتمر، وهو من رجال الصحاح الستة، قال الحافظ: «ثقة ثبت، وكان لا يدلُّس»^(٦٣٩).

(٦٣٥) ميزان الاعتدال ٢ : ٥٥٦.

(٦٣٦) لسان الميزان ٣ : ٤١١.

(٦٣٧) من ذلك: قول الذهبي في الميزان ١ : ١١١: «كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به، لا سيَّما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد، ما ينجو منه إلا من عصم الله، وما علمت أنَّ عصرًا من الأعصار سلم أهل من ذلك، سوى الأنبياء والصدِّيقين، ولو شئت لسردت من ذلك كرايس»، وقول ابن حجر في اللسان ٥ : ٢٣٤: «ولا نعتد - بحمد الله - بكثير من كلام الأقران بعضهم في بعض».

(٦٣٨) تقريب التهذيب ٢ : ١١٠.

(٦٣٩) تقريب التهذيب ٢ : ٢٧٧.

* وأما ربيعي، فهو ربيعي بن حراش: من رجال الصحاح الستة، قال الحافظ: «ثقة، عابد، مخضرم»^(٦٤٠).

* وأما حذيفة بن اليمان، فهو الصحابي الجليل.

دلالة الخبر على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام:

ثم إنَّ هذا الخبر من أوضح الدلائل على أنَّ قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي أمير المؤمنين يوم الغدير: «من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه»، نصٌّ قطعي على إمامته الكبرى وولايته العظمى من بعده بلا فصل... لأنَّ هذا الكلام من النبيِّ إن كان معناه «الحب» أو «النصرة» أو ما شابه ذلك من المعاني، لم يكن أيَّ اعتراض من ذلك الأعرابي على رسول الله قائلًا: «هذا منك أو من الله؟!». بل إنَّ كلامه: «أمرتنا... وأمرتنا...» ثمَّ لم ترض بهذا، حتَّى رفعت بضبعي ابن عمِّك وفضلته على الناس، وقلت: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه» صريح في دلالة حديث الغدير على الإمامة والخلافة. وإلَّا... فلماذا هذا الاعتراض؟! وبهذه الواقعة؟! حتَّى يضطرَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى أن يحلف قائلًا - وقد احمرَّت عيناه - : «والله الذي لا إله إلا هو إنَّه من الله وليس منِّي»، ويكرِّر ذلك ثلاثًا؟! ثلاثًا؟! ثلاثًا؟!

وإلَّا... فلماذا يناشد عليٌّ الناس بحديث الغدير؟!

وإلَّا... فلماذا يكون في نفس أبي الطفيل شيء؟!

أخرج أحمد بسند صحيح عن أبي الطفيل، قال: «جمع عليٌّ الناس في الرحبة، ثمَّ قال لهم: أنشد الله كلَّ امرئ مسلم سمع رسول الله يقول يوم غدير خمَّ ما سمع، لَمَّا قام؛ فقام ثلاثون من الناس...». قال: فخرجت وكأنَّ في نفسي شيئًا، فلقيت زيد بن أرقم، فقلت له: إنِّي سمعت عليًّا يقول كذا وكذا! قال: فما تنكر؟! قد سمعت رسول الله يقول ذلك له»^(٦٤١).

وإلَّا... وإلَّا... إلى غير ذلك ممَّا سيأتي بحول الله وقوته في مباحث حديث الغدير.

مع ابن تيميَّة:

نعم، لولا دلالة حديث الغدير على إمامة الأمير عليه الصلاة والسلام، لم يعترض ذاك الأعرابي على الله ورسوله، فخرج بذلك عن الإسلام، ولاقى جزاءه في دار الدنيا، ولعذاب الآخرة أشدُّ وأبقى... .

(٦٤٠) تقريب التهذيب ١ : ٢٤٣.

(٦٤١) مسند أحمد بن حنبل ٥ : ٤٩٨ / ١٨٨١٥.

ولولا دلالاته على إمامة الأمير لما تبع ابن تيمية ذاك الأعرابي الجلف الجاف، وزعم أن أهل المعرفة بالحديث قد اتفقوا على أن هذا الحديث من الكذب الموضوع.

وقد ظهر أن للحديث طرقاً كثيرة، بعضها صحيح، ورواته كبار الأئمة والحفاظ والأعلام من أبناء العامة، فهو حديث معتبر مستفيض.

ثم ذكر وجوهاً في إبطال الحديث، كشف بها عن جهله المفرط وتعصبه الشديد، حتى أعرض عنها بعض أتباعه، وجعل أهمها:

١ - كون السورة مكّية.

٢ - كون الآية: (وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ...!) من سورة الأنفال، وهي نازلة ببدر، قبل قضية غدير خمّ بسنين.

وهذا نصّ كلام ابن تيمية المشتغل على المطالبين:

«فيقال لهؤلاء الكذابين: أجمع الناس كلهم على أن ما قاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم بغدير خمّ كان مرجعه من حجة الوداع، والشيعية تسلّم هذا وتجعل ذلك اليوم عيداً، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، والنبي لم يرجع إلى مكّة بعد ذلك، بل رجع من حجة الوداع إلى المدينة، وعاش تمام ذي الحجة والمحرم وصفر، وتوفي في أول ربيع الأول.

وفي هذا الحديث أنه بعد أن قال هذا بغدير خمّ وشاع في البلاد جاء الحرث وهو بالأبطح، والأبطح بمكّة، فهذا كذب جاهل لم يعلم متى كانت قصة غدير خمّ؛ فإن هذه السورة - سورة (سأل سائل) - مكّية باتفاق أهل العلم، نزلت بمكّة قبل الهجرة، فهذه نزلت قبل غدير خمّ بعشر سنين أو أكثر من ذلك، فكيف نزلت بعده؟!»

وأيضاً: قوله: (وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ) في سورة الأنفال، وقد نزلت ببدر بالاتفاق، قبل غدير خمّ بسنين كثيرة، وأهل التفسير متفقون على أنها نزلت بسبب ما قاله المشركون للنبي قبل الهجرة، كأبي جهل وأمّته...»^(٦٤٢).

أقول:

هذا لفظ ابن تيمية، وقد أسقط منه مقلده بعضه لوضوح بطلانه وسقوطه، وحذف منه قوله: «أجمع الناس كلهم»، وبدل لفظ «الشيعية» بـ: «الرافضة»، وغير ذلك من التصرفات.

(٦٤٢) منهاج السنة ٧ : ٤٥.

فكان ممّا أسقط منه: إنّ الأبطح بمكّة... فإنّ هذا جهل من ابن تيميّة، لأنّ الأبطح في اللغة هو: المسيل الواسع فيه دقاق الحصى، كما لا يخفى على من راجع الكتب اللغوية من الصحاح والقاموس والنهاية وغيرها في مادّة «بطح»، قالوا: «ومنه بطحاء مكّة».

بل ذكر السمهودي في كتابه في تاريخ المدينة المنورة في بقاعها ما يسمّى بالبطحاء^(٦٤٣).

● وأما أنّ سورة المعارج مكّية، فالجواب:

أولاً: إنّ كونها مكّية لا يمنع من كون بعضها مدنيّاً، حتّى الآيات الأولى، لوجود نظائر لذلك في القرآن الكريم، كما هو مذكور في كتب هذا الشأن، بل تكفي مراجعة كتب التفسير في أوائل السور، حيث يقولون مثلاً: مكّية إلاّ كذا من أولها، أو الآية الفلانيّة.

وثانياً: إنّهُ لا مانع من تكرّر نزول الآية المباركة، ولهذا أيضاً نظائر في القرآن الكريم، وقد عقد له باب في كتب علوم القرآن، مثل الإتقان للحافظ السيوطي.

● وأما أنّ الآية (وإذ قالو اللّهم...) مدنيّة نزلت في واقعة بدر، فالاعتراض

به عجيب جدّاً، وقد كان على مقلّده أن يسقطه أيضاً، إذ ليس في الرواية عن سفيان بن عيينة ذكرٌ لنزول هذه الآية في قضية غدير خمّ، وإمّا جاء فيها أنّ الأعرابي خرج وهو يقول: اللّهمّ إن كان ما يقوله محمّد حقّاً فأمطر علينا حجارةً من السماء... فما هو وجه الإشكال؟

هذا، وقد تعرّضنا للجواب عن جميع جهات كلام ابن تيميّة في الآية في كتابنا الكبير^(٦٤٤).

وبقي شيء:

وهو: أنّه إذا كانت الآية (وإذ قالو اللّهم...) من (سورة الأنفال)، ونازلة في واقعة بدر، ولا علاقة لها بقضية الأعرابي المعترض على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بعد واقعة غدير خمّ، فلماذا ذكر الحاكم النيسابوري الخبر التالي في تفسير (سورة المعارج) من كتاب التفسير من المستدرک؟! وهذا نصّ عبارته:

«تفسير سورة (سأل سائل). بسم الله الرحمن الرحيم: أخبرنا محمد بن علي الشيباني بالكوفة، ثنا أحمد بن حازم الغفاري، ثنا عبيدالله بن موسى، عن سفيان الثوري، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير: (سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين ليس له دافع * من الله ذي المعارج): ذي الدرجات:

(٦٤٣) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ٢ : ٥٦٠.

(٦٤٤) نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار ٨ : ٣٦٤ - ٣٨١.

(سأل سائل). قال: هو النضر بن الحارث بن كلدة، قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء.

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

ووافقه الذهبي على التصحيح^(٦٤٥).

بل إذا رجعت إلى المستدرک في سورة الأنفال، لا تجد الرواية هناك أصلاً... .

وبماذا يجيب ابن تيمية وأتباعه عن هذا الذي فعله الحاكم والذهبي وهما الإمامان الحافظان

الكبيران؟!

لا سيّما وأنّ راوي هذا الخبر الصحيح هو سفيان الثوري، وقد وقع في طريق خبر صحيح آخر في

القضية - كما تقدّم بالتفصيل -، والمروي عنه هو سعيد بن جبير، ولا بُدّ وأنه أخذ الخبر من ابن عباس،

وهو أحد رواة خبر نزول آية (سأل سائل) في قضية غدير خم... مضافاً إلى أنّ أغلب رواته من الشيعة.

الحقيقة: إنّ هذا الخبر من جملة الأخبار الصحيحة في نزول (سأل سائل) في قضية غدير خم، ويشهد

بذلك كلام بعض المفسرين بتفسير الآية مع ذكر القضية، حيث يذكر عن ابن عباس أنّ السائل للعذاب

بعد قضية غدير خم هو «النضر بن الحارث بن كلدة».

ففي تفسير الخطيب الشربيني ما نصّه: «اختلف في هذا الداعي، فقال ابن عباس: هو النضر بن

الحارث؛ وقيل: الحارث بن النعمان. وذلك أنّه لما بلغه قول النبي: من كنت مولاه فعليّ مولاه...»^(٦٤٦).

وفي تفسير القرطبي: «وهو النضر بن الحارث... قال ابن عباس ومجاهد.

وقيل: إنّ السائل هنا هو الحارث بن النعمان الفهري، وذلك أنّه لما بلغه...»^(٦٤٧).

فذكر قولين، أحدهما مطابق لرواية الحاكم، والآخر مطابق لرواية الثعلبي.

وعن تفسير أبي عبيدة الهروي أنّه: «جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة»^(٦٤٨).

ومنهم من صحّف «الحارث بن النعمان» إلى «النعمان بن المنذر» وهو أيضاً عن سفيان الثوري،

وسنده صحيح^(٦٤٩).

ومنهم من صحّفه إلى «النعمان بن الحارث»^(٦٥٠).

(٦٤٥) المستدرک على الصحيحين ٢ : ٥٠٢.

(٦٤٦) السراج المنير في تفسير القرآن الكريم ٤ : ٣٨٠.

(٦٤٧) الجامع لأحكام القرآن ١٨ : ٢٧٨.

(٦٤٨) الغدير ١ : ٤٦٠.

(٦٤٩) شواهد التنزيل ٢ : ٢٨٨.

(٦٥٠) شواهد التنزيل ٢ : ٢٨٦.

ومنهم من صحّفه إلى «الحارث بن عمرو»^(٦٥١).

ومنهم من قال: «فقام إليه أعرابي»^(٦٥٢).

ومنهم من قال: «بعض الصحابة»^(٦٥٣).

ومنهم من قال غير ذلك... .

والموضوع بحاجة إلى تحقيق أكثر ليس هذا موضعه... .

لكنّ الأكثر على أنّه «الحارث بن النعمان» كما في تفسير الثعلبي.

وهنا اعترض ابن تيميّة قائلاً:

«هذا الرجل لا يُعرف في الصحابة، بل هو من جنس الأسماء التي تذكرها الطريقة».

وهو مردود بأنّ هذا الرجل مرتدّ برّدّه على الله والرسول، وكتب الصحابة قد اشترط أصحابها أن

يذكروا فيها من مات من الصحابة على الإسلام.

وإن كان ابن تيميّة يراه - مع ذلك - مُسليماً، فإنّ كتب الصحابة لم تستوعب كلّ أصحاب رسول الله

صلّى الله عليه وآله وسلّم، وهم على مسلكتهم يعدّون بعشرات الآلاف.

هذا موجز الكلام حول نزول الآية في قضية يوم غدیر خمّ، وبالله التوفيق.

* * *

(٦٥١) شواهد التنزيل ٢ : ٢٨٧.

(٦٥٢) شواهد التنزيل ٢ : ٢٨٩.

(٦٥٣) حاشية الحفني على الجامع الصغير ٢ / ٣٨٧.

قوله تعالى: (وقفوهم إنهم مسؤولون)^(٦٥٤)

قال السيّد رحمه الله:

«وسئسأل الناس عن ولايتهم يوم يبعثون كما جاء في تفسير قوله تعالى: (وقفوهم إنهم مسؤولون)».

قال في الهامش:

«أخرج الديلمي - كما في تفسير هذه الآية من الصواعق - عن أبي سعيد الخدري أنّ النبيّ قال:

(وقفوهم إنهم مسؤولون) عن ولاية عليّ.

وقال الواحدي - كما في تفسيرها من الصواعق أيضاً: روي في قوله تعالى: (وقفوهم إنهم مسؤولون) أي:

عن ولاية علي وأهل البيت... قال: لأنّ الله أمر نبيّه أن يعرف الخلق أنّه لا يسألهم على تبليغ الرسالة أجراً

إلا المودّة في القربى... قال: والمعنى: إنّهم يُسألون هل وآلوهُم حقّ الموالاة كما أوصاهم النبيّ، أم أضاعوها

أو أهملوها؟! فتكون عليهم المطالبة والتبعة. انتهى كلام الواحدي.

وحسبك أنّ ابن حجر عدّها في الباب ١١ من الصواعق في الآيات النازلة فيهم^(٦٥٥)، فكانت الآية

الرابعة، وقد أطال الكلام فيها. فراجع^(٦٥٦).

قوله تعالى: (واسأل من أرسلنا من قبلك)^(٦٥٧)

ثمّ قال السيّد:

«ولا غرو، فإنّ ولايتهم ممّا بعث الله به الأنبياء، وأقام عليه الحجج والأوصياء، كما جاء في تفسير

قوله تعالى: (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا)».

فقال في الهامش:

(٦٥٤) سورة الصافات ٣٧ : ٢٤.

(٦٥٥) انظر: الصواعق المحرقة: ٢٢٩.

(٦٥٦) المراجعات: ٣٠.

(٦٥٧) سورة الزخرف ٤٣ : ٤٥.

«حسبك ما أخرجه في تفسيرها أبو نعيم الحافظ في حليته وما أخرجه كل من الثعلبي والنيسابوري والبرقي في معناها من تفاسيرهم، وما رواه إبراهيم بن محمد الحموي وغيره من أهل السُّنة، ودونك ما رواه أبو علي الطبرسي في تفسيرها من مجمع البيان عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفي الباب ٤٤ والباب ٤٥ من غاية المرام سنن في هذا المعنى تثلج الأوام»^(٦٥٨).

فَقِيلَ:

«قوله: وسيسأل الناس عن ولايتهم يوم يبعثون، كما جاء في تفسير قوله تعالى: (وقفوهم إنهم مسؤولون); ويستند في ذلك إلى ما رواه الديلمي في مسند الفردوس وما ورد في تفسير الواحدي، ومجرد العزو إلى كليهما ممّا لا تقوم به

حجة عند أهل العلم، بل لا بُدَّ من صحّة النقل، وهذا القول في سبب نزول الآية، أو في توجيه معناها، ممّا لم يقل به مَنْ يُحتجُّ برأيه، وما يفسّر القرآن بمثل هذا إلاّ زنديق ملحد، متلاعب بالدين، قاذح في الإسلام، أو جاهل لا يدري ما يقول!!

وسياق الآيات في قريش، وهي نصّ في المشركين المكذّبين بيوم الدين، فهؤلاء يُسألون عن التوحيد والإيمان، ولا مدخل لحبّ عليٍّ ولا لولايته في سؤال هؤلاء... قال الله تعالى: - الزخرف: ٤٥ - (وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون * واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون)... .

واضح من سياق الآية أنها تتحدّث عن الإيمان بالوحي والقرآن. أمّا موضوع السؤال فهو مذكور في الآية وهو قوله تعالى: (أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) فأَيُّ مدخل لعليٍّ - رضي الله عنه -؟! وهل يفسّر القرآن الكريم بمثل هذا الهراء!؟

وقد ردّ الإمام ابن تيمية على هذا الاستدلال بما لا مزيد عليه، فراجعه في (منهاج السُّنة ٤ / ٤٥). هذا، ويشير في حاشيته إلى رواية ضعيفة لا يحتجّ بها، وهي حديث ابن مسعود: قال لي رسول الله: يا عبدالله! أتاني ملك فقال: يا محمد! سل من أرسلنا قبلك من رسلنا على ماذا بعثوا؟ قلت: على ما بعثوا؟ قال: على ولايتك وولاية عليّ بن أبي طالب.

ورمز له ابن عراق برمز الحاكم.

قلت: (أي ابن عراق): لم يبيّن علته.

وقد أورده (أي ابن حجر) في زهر الفردوس من جهة الحاكم، ثمّ قال: ورواه أبو نعيم وقال: تفرّد به علي بن جابر، عن محمد بن فضيل.

(٦٥٨) المراجعات: ٣٠ - ٣١.

وعلي بن جابر ما عرفته.

(تنزيه الشريعة ١ / ٣٩٧).

وراجع ترجمة محمّد بن فضيل في المراجعة ١٦».

أقول:

أما قوله تعالى: (وقفوهم إنهم مسؤولون)

وتفسيره في كتب القوم: أي عن ولاية عليّ... فقد نقل السيّد رحمه الله ذلك بواسطة كتاب الصواعق المحرقة للحافظ ابن حجر المكيّ، عن الديلمي والواحدي، فقد روي ذلك عن بعض الصحابة... وهذا المفترى المعترض عليه لا ينكر وجود تلك الرواية، ولا كون روايتها من علماء أهل السُّنة، غير إنّه يقول: «مجرّد العزو إلى كليهما ممّا لا تقوم به حجة عند أهل العلم، بل لا بُدّ من صحة النقل». ثمّ إنّه يسبّ ويشتم بما هو وأولياؤه أولى به، ونحن لا نجيبه عليه... .

وإنّما نقول:

■ أولاً: لماذا لا تقوم الحجّة بمجرّد عزو الحديث إليهما وهما من كبار محدّثي القوم المعتمدين، كما يظهر ممّا ذكروه بتراجم الرجلين ووصفوهما بالأوصاف الضخمة والألقاب الفخمة؟!

موجز ترجمة الديلمي صاحب «الفردوس»:

و«الديلمي» صاحب فردوس الأخبار هو: شيرويه بن شهردار بن شيرويه، أبو شجاع، وتوجد ترجمته في: تذكرة الحفاظ ٤ : ١٢٥٩، طبقات الشافعية - للسبكي - ٧ : ١١١، النجوم الزاهرة ٥ : ٢١١، وشذرات الذهب ٤ : ٢٣، وغيرها. ووصفه الذهبي بـ: «المحدّث العالم، الحافظ المؤرّخ» في سير أعلام النبلاء ١٩ : ٢٩٤ رقم ١٨٦. توفّي سنة ٥٠٩.

موجز ترجمة الديلمي صاحب «مسند الفردوس»:

وابنه «الديلمي» صاحب مسند الفردوس: شهردار بن شيرويه، محدّث حافظ كبير، ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٠ : ٣٧٥ رقم ٢٥٥، ووصفه بـ: «الإمام العالم، المحدّث المفيد»، وفي العبر ٣ : ٢٩: كان حافظاً، عارفاً بالحديث، فهماً، عارفاً بالأدب، ظريفاً. وتوجد ترجمته في مصادر كثيرة. وتوفّي سنة ٥٥٨.

موجز ترجمة الواحدي:

وأما «الواحدي» فهو: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمّد الواحدي النيسابوري الشافعي، وصفه الذهبي بـ: «الإمام العلامة، صاحب التفسير، وإمام علماء التأويل. لزم الأستاذ أبا إسحاق الثعلبي وأكثر عنه، وكان طويل الباع في العربية واللغات، تصدّر للتدريس مدّةً وعظم شأنه»^(٦٥٩).

وهكذا يوجد الثناء بالجميل، ووصفه بالأوصاف الجليلة الضخمة في

المصادر التالية: معجم الأدباء ١٢ : ٢٥٧، وفيات الأعيان ٣ : ٣٠٣، طبقات الشافعية - للسبكي - ٥ : ٢٤٠، البداية والنهاية ١٢ : ١١٤، طبقات المفسّرين ١ : ٣٩٤، النجوم الزاهرة ٥ : ١٠٤، شذرات الذهب ٣ : ٣٣٠، بغية الوعاة ٢ : ١٤٥، مرآة الجنان ٣ : ٧٤. وتوفّي الواحدي سنة ٤٦٨.

■ وثانياً: متى كان أهل البغي والافتراء ملتزمين بصحّة النقل؟! فكم من حديث صحيح يحتجّ به الإمامية فلا يُقبل احتجاجهم به؟!

وكم من حديث يحتجّ به هؤلاء الضالّون، وعلماءهم ينصّون على عدم جواز الاعتماد عليه؟!

■ وثالثاً: إنّه من الواضح جدّاً أنّ علماءنا إنّما يقصدون من الاحتجاج بروايات القوم إلزامهم بها، وإلّا فإنّ ما يسمّونه بالصحيح من كتبهم غير صحيح عندنا، ولا يجوز لهم الاحتجاج علينا حتّى بأصحّ الأسانيد عندهم أبداً.

■ ورابعاً: إنّ أقلّ ما يترتّب على نقل مثل هذه الروايات عن كتبهم هو بيان كونها واردةً في كتب الفريقين ومنقولةً عن طرق الطرفين، وهذا ممّا يفيد - ولو في الجملة - الوثوق بصدور الحديث وثبوته.

■ وخامساً: إنّ رواية تفسير الآية المباركة بولاية أمير المؤمنين عليه السلام غير منحصرة بالواحدي والديلمى وابن حجر المكيّ، فمن رواها جملة من أعلام المحدثين وكبار الحفاظ، بين من رواها في كتابه أو وقع في طريق إسنادها، ومنهم:

١ - ابن إسحاق، كما في المناقب لابن شهرآشوب.

٢ - الأعمش، كما في المناقب لابن شهرآشوب.

٣ - الشعبي؛ وستأتي الرواية عنه.

٤ - أبو إسحاق السبيعي، كما في شواهد التنزيل والمناقب للخوارزمي.

٥ - ابن جرير الطبري، كما في كفاية الطالب.

٦ - الحسين بن الحكم الحبري؛ وستأتي روايته.

(٦٥٩) سير أعلام النبلاء ١٨ : ٣٣٩ رقم ١٦٠.

- ٧ - أبو نعيم الأصفهاني، كما في كتابه ما نزل في عليّ؛ وسيأتي.
- ٨ - الحاكم الحسكاني؛ وستأتي روايته.
- ٩ - ابن شاهين البغدادي، كما في أسانيد الحسكاني.
- ١٠ - ابن مردويه الأصفهاني، كما في كشف الغمّة في معرفة الأئمّة وغيره.
- ١١ - الخطيب الخوارزمي المكيّ، كما في كتابه مناقب أمير المؤمنين.
- ١٢ - سبط ابن الجوزي، كما في كتابه تذكرة خواصّ الأئمّة.
- ١٣ - أبو عبدالله الكنجي، كما في كتابه كفاية الطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب.
- ١٤ - جمال الدين الزرندي، كما في كتابه نظم درر السمطين.
- ١٥ - الجويني الحمويّ، كما في كتابه فرائد السمطين.
- ١٦ - نور الدين السمهودي؛ كما سنذكر كلامه.
- ١٧ - شهاب الدين الخفاجي؛ كما سنذكر كلامه.
- ١٨ - شهاب الدين الآلوسي؛ كما سنذكر كلامه، مع التنبيه على ما فيه.

■ **وسادساً:** لقد ورد خبر تفسير الآية بولاية أمير المؤمنين في مختلف كتب القوم، فمنهم من رواه بسند أو أسانيد عديدة، ومنهم من أرسله إرسال المسلّم، ومنهم من أضاف إليه بعض الشواهد من الأحاديث الأخرى:

١ - رواية الحبري:

قال الحسين بن الحكم الحبري، المتوفّى سنة ٢٨٦: «حدّثني حسين ابن نصر، قال: أخبرنا القاسم بن عبد الغفّار العجلي، عن أبي الأحوص، عن مغيرة، عن الشعبي، عن ابن عبّاس، عن قوله: (وقفوهم إنهم مسؤولون)، قال: عن ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام»^(٦٦٠).

٢ - رواية أبي نعيم الأصبهاني:

لقد روى الحافظ أبو نعيم الأصفهاني في كتابه ما نزل في عليّ خبر نزول الآية المباركة بشأن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام عن طريق الحبري، حيث رواه عنه بسندين:

* أحدهما: قوله: «حدّثنا محمّد بن المظفّر، قال: حدّثنا أبو الطيّب محمّد بن القاسم البرّاز، قال: حدّثني الحسين بن الحكم...».

(٦٦٠) تفسير الحبري: ٣١٣.

* والثاني: قوله: «حدّثنا محمّد بن عبد الله بن سعيد، قال: حدّثنا الحسين بن أبي صالح، قال: حدّثنا أحمد بن هارون البردعي، قال: حدّثنا الحسين بن الحكم...».

٣ - رواية الحاكم الحسكاني:

ورواه الحافظ الحاكم الحسكاني بأسانيد عديدة^(٦٦١)، منها:

* قوله: «حدّثنا الحاكم الوالد أبو محمّد رحمه الله، قال: أخبرنا عمر بن أحمد بن عثمان - ببغداد -، حدّثنا الحسين بن محمّد بن عفير، حدّثنا أحمد بن الفرات، حدّثنا عبد الحميد الجمّاني، عن قيس، عن أبي هارون، عن أبي سعيد الخدري، عن النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلّم في قوله تعالى: (وقفوهم إنهم مسؤولون)، قال: عن ولاية عليّ بن أبي طالب».

* وقوله: «حدّثنا أبو عبد الرحمن السلمي إملاءً، أخبرنا محمّد بن محمّد بن يعقوب الحافظ، حدّثنا أبو عبد الله الحسين بن محمّد بن عفير، حدّثنا أحمد، حدّثنا عبد الحميد، حدّثنا قيس، عن عطية، عن أبي سعيد، عن النبيّ، في قوله تعالى: (وقفوهم إنهم مسؤولون)، قال: عن ولاية عليّ بن أبي طالب».

* وقوله: «حدّثني أبو الحسن الفارسي، حدّثنا أبو الفوارس الفضل ابن محمّد الكاتب، حدّثنا محمّد بن بحر الرهني - بكرمان -، حدّثنا أبو كعب الأنصاري، حدّثنا عبد الله بن عبد الرحمن، حدّثنا إسماعيل بن موسى، حدّثنا محمّد بن فضيل، حدّثنا عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم: إذا كان يوم القيامة أوقف أنا وعليّ على الصراط، فما يمرّ بنا أحد إلا سألتناه عن ولاية عليّ، فمن كانت معه وإلا ألقيناه في النار، وذلك قوله: (وقفوهم إنهم مسؤولون).

* وقوله: «أخبرنا أبو الحسن الأهوازي، أخبرنا أبو بكر البيضاوي، حدّثنا علي بن العبّاس، حدّثنا إسماعيل بن إسحاق، حدّثنا محمّد بن أبي مرّة، عن عبد الله بن الزبير، عن سليمان بن داود بن حسن بن حسن، عن أبيه، عن أبي جعفر في قوله: (وقفوهم إنهم مسؤولون) قال: عن ولاية عليّ».

(قال): «ومثله عن أبي إسحاق السبيعي، وعن جابر الجعفي في الشواذ».

■ وسابغاً: ومن العلماء الأعلام من أرسل هذا الخبر إرسال المسلّم، وأيده بشواهد من سائر

الأحاديث المعتمدة، وإليك بعض النصوص:

* قال شهاب الدين الخفاجي^(٦٦٢):

(٦٦١) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: ١٦٠ - ١٦٤. طبع مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م. طهران.

(٦٦٢) وهو: شهاب الدين أحمد بن محمّد الخفاجي، المتوفى سنة ١٠٦٩، ترجم له المحبّي في خلاصة الأثر في أعلام القرن الحادي عشر ووصفه بأوصاف جليلة، له مؤلفات منها: حاشية تفسير البيضاوي، شرح الشفاء للقاضي عياض، تفسير آية المودّة، وغير ذلك.

«قال الحافظ جمال الدين الزرندي^(٦٦٣) - عقب حديث: مَنْ كنت مولاه فعليّ مولاه - :

قال الإمام الواحدي^(٦٦٤) - رحمه الله تعالى - : هذه الولاية التي أثبتها النبي صلى الله عليه [وآله]

وسلم لعليّ مسؤول عنها يوم القيامة.

وروى في قوله تعالى: (وقفوهم إنهم مسؤولون) أي: عن ولاية عليّ وأهل البيت; لأنّ الله تعالى أمر نبيّه صلى الله عليه [وآله] وسلم أن يعرّف الخلق أنّه لا يسألهم على تبليغ الرسالة أجراً إلاّ المودّة في القربى. والمعنى: إنهم يُسألون هل والَوْهم حقّ الموالاتة كما أوصاهم النبيّ، أم أضاعوها وأهملوها، فيكون عليهم المطالبة والتبعة؟! انتهى.

وأخرج أبو الحسن ابن المغازلي، عن ثمامة بن عبدالله بن أنس، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: إذا كان يوم القيامة ونصب على شفير جهنّم لم يجز عليه إلاّ من كان معه كتاب ولاية عليّ بن أبي طالب... .

وفي حديث: والذي نفسي بيده، لا يزول قدم عن قدم يوم القيامة حتّى يسأل الله تعالى الرجل عن أربع: عمره فيمّ أفناه، وعن جسده فيمّ أبلاه، وعن ماله ممّن كسبه وفيمّ أنفقه، وعن حبنا أهل البيت. فقال له عمر: يا نبيّ الله! وما آية حبكم؟ فوضع يده على رأس عليّ وهو جالس إلى جانبه وقال: آية حبّي حب هذا من بعدي^(٦٦٥).

* وقال شيخ الإسلام الحموي^(٦٦٦):

«أخبرني الشيخ الإمام العلامة نجم الدين عثمان بن الموفق الأذكاني - في ما أجاز لي أن أرويه - ، عن أبي الحسن المؤيد بن محمّد الطوسي - إجازة - ، أنبأنا عبد الحميد بن محمّد الخواري - إجازة - ، عن أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، قال - بعد روايته حديث: مَنْ كنت مولاه فعليّ مولاه - :

هذه الولاية التي أثبتها النبي لعليّ مسؤول عنها يوم القيامة.

أخبرنا أبو إبراهيم^(٦٦٧) بن أبي القاسم الصوفي، أنبأنا محمّد بن محمّد بن يعقوب الحافظ، أنبأنا أبو عبدالله الحسين بن عبدالله بن محمّد بن عفر، أنبأنا أحمد بن الفرات، حدّثنا عبد الحميد الجمّاني،

(٦٦٣) توجد ترجمته في الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٤ : ٢٩٥، وشذرات الذهب ٦ : ٢٨١ وغيرهما من المصادر... وكان حافظاً، فقيهاً، ولي قضاء المدينة المنورة، ودرّس بالحرم النبوي الشريف، وتوفّي سنة ٧٥٠.
(٦٦٤) تقدّم موجز ترجمته.

(٦٦٥) تفسير آية المودة - للحافظ شهاب الدين الخفاجي - : ٨٢، وانظر: نظم درر السمطين - للحافظ الزرندي - : ١٠٩.
(٦٦٦) المتوفّي سنة ٧٣٠، توجد ترجمته في المعجم المختص للذهبي، وفي الأنساب للسمعاني، وفي الوافي بالوفيات للصفدي، وفي غير هذه الكتب.

(٦٦٧) كذا.

حدَّثنا قيس، عن أبي هارون، عن أبي سعيد، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في قوله عَزَّ وَجَلَّ: (وقفوهم إنهم مسؤولون)، قال: عن ولاية عليِّ بن أبي طالب... .
قال الواحدي: والمعني: إنهم يُسألون هل والوه حقَّ المولاة كما أوصاهم
به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ؟!«^(٦٦٨).
وقال السمهودي^(٦٦٩):

«قال الحافظ جمال الدين الزرندي، عقب حديث: مَنْ كنت مولاة فعليِّ مولاة:
قال الإمام الواحدي: هذه الولاية التي أثبتها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مسؤول عنها يوم
القيامة. وروي في قوله تعالى: (وقفوهم إنهم مسؤولون) أي: عن ولاية عليٍّ وأهل البيت... .
قلت: وقوله: (روي في قوله تعالى...) يشير إلى ما أخرجه الديلمي، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله
عنه - مرفوعاً (وقفوهم إنهم مسؤولون) عن ولاية عليِّ بن أبي طالب... .
ويشهد لذلك قوله - في بعض الطرق المتقدمة - : والله سائلكم: كيف خلفتموني في كتابه وأهل
بيتي؟!»

وأخرج أبو الحسن ابن المغازلي... .
وسأيتني في الذكر العاشر حديث: والذي نفسي بيده، لا يزول قدم عن قدم يوم القيامة حتى يسأل
الله تعالى الرجل عن أربع...«^(٦٧٠).

الشواهد

هذا، وإنَّ لحديث تفسير الآية المباركة بولاية أمير المؤمنين عليه السلام شواهد كثيرة في الروايات
المعتبرة عند الفريقين، وقد أشار إلى بعضها العلماء في كلماتهم المذكورة، ونحن نكتفي بالأحاديث التي
أشاروا إليها:

(٦٦٨) فرائد السمطين ١ : ٧٨ - ٧٩ ح ٤٦ و ٤٧.
(٦٦٩) وهو: الحافظ السيّد علي بن عبد الله الحسني المدني، المتوفى سنة ٩١١، توجد ترجمته في الضوء اللامع ٥ : ٢٤٥، النور السافر: ٨٥
وغيرهما من المصادر.
(٦٧٠) جواهر العقدين ١ : ١٠٨ ط بغداد.

* حديث السؤال عن الكتاب والعترة:

جاء هذا في ألفاظ حديث الثقلين المتواتر بين الفريقين، وإني أذكر هنا أحد ألفاظ الحديث بصورة كاملة، ثم طائفة من مصادر وجود هذه الفقرة:

أخرج الحكيم الترمذي: «حدّثنا نصر بن علي، قال: حدّثنا زيد بن الحسن، قال: حدّثنا معروف بن خرّبوذ المكيّ، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، عن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: لما صدر رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم من حجّة الوداع خطب فقال:

أيّها الناس! إنّه قد نبأني اللطيف الخبير أنّه لن يعمر نبيّ إلاّ مثل نصف عمره الذي يليه من قبل، وإني أظنّ موشك أن أدعى فأجيب، وإني فرطكم على الحوض، وإني سألتكم حين تردون عليّ عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما: الثقل الأكبر كتاب الله، سبب طرفه بيد الله وطرف بأيديكم، فاستمسكوا فلا تضلّوا ولا تبدّلوا، والثقل الأصغر عترتي أهل بيتي، فإني قد نبأني اللطيف الخبير أنّهما لن يتفرقا حتّى يردا عليّ الحوض»^(٦٧١).

ويوجد هذا اللفظ - في «حديث الثقلين» - في كثير من المصادر، منها:

المعجم الكبير ٣ : ٦٥.

حلية الأولياء ١ : ٣٥٥، ٩ : ٦٤.

تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٢١٩ - ٢٢٠.

مجمع الزوائد ٩ : ١٦٤.

البداية والنهاية ٧ : ٣٤٨.

السيرة الحلبية ٣ : ٢٧٤.

الصواعق المحرقة: ٦٥ - ٦٦.

فرائد السمطين ٢ : ٢٧٤.

نظم درر السمطين: ٢٣١.

الفصول المهمّة: ٤٠.

* حديث السؤال عن أربع:

وهذا الحديث من أهمّ الأحاديث وأصحّها؛ قال الحافظ الهيثمي:

(٦٧١) نوار الأصول ١ : ٢٥٨، لمحمد بن علي الحكيم الترمذي، المتوفى سنة ٢٨٥.

«وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم: لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيمَ أفناه، وعن جسده فيمَ أبلاه، وعن ماله فيمَ أنفقه ومن أين اكتسبه، وعن حبنا أهل البيت.

رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه: حسين بن الحسن الأشقر، وهو ضعيف جداً، وقد وثقه ابن حبان مع أنه يشتم السلف.

وعن أبي برزة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم: لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربعة: عن جسده فيمَ أبلاه، وعمره فيمَ أفناه، وماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه، وعن حبنا أهل البيت. قيل: يا رسول الله! فما علامة حبكم؟ فضرب بيده على منكب علي رضي الله عنه. رواه الطبراني في الأوسط»^(٦٧٢).

أقول:

● أولاً: لم يتكلم في سند الحديث الثاني، مع أنه تكلم في الأول.
● وثانياً: السائل: «يا رسول الله! فما علامة حبكم؟» هو: «عمر ابن الخطاب»، وقد جاء هنا: «قيل».

● وثالثاً: في ذيله: «وآية حبي حب هذا من بعدي»؛ ولم يذكره.
● ورابعاً: كلامه في «حسين الأشقر» مردود، وقد أوضحنا وثيقة هذا الرجل في بحوثنا السابقة^(٦٧٣).
و«عن أبي الطفيل، عن أبي ذرّ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم: لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن علمه ما عمل به، وعن ماله ممّا اكتسبه، وفيمَ أنفقه، وعن حب أهل البيت. فقيل: يا رسول الله! ومن هم؟ فأوماً بيده إلى علي بن أبي طالب».

أقول:

أخرجه ابن عساکر؛ «عن مشايخه، عن الباغندي، عن يعقوب بن إسحاق الطوسي، عن الحارث بن محمّد المكفوف، عن أبي بكر بن عيّاش، عن معروف بن خربوذ، عن أبي الطفيل، عن أبي ذرّ»^(٦٧٤).
ولا مساع للطنع في هذا الحديث سنداً.

(٦٧٢) مجمع الزوائد ١٠ : ٣٦٤، وانظر: المعجم الكبير ١١ : ١٠٢ رقم ١١١٧٧، والمعجم الأوسط ٩ : ٢٦٤ - ٢٦٥ ح ٩٤٠٦ وج ٣ : ٩ ح ٢٢١٢.

(٦٧٣) راجع ترجمته في مبحث آية التطهير، في الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٦٧٤) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٢٥٩.

نعم، هو من حيث المتن والدلالة ممّا لا تحتمله نفوس القوم، ولذا تراهم يصفونه بالبطلان، من غير جرح لأحد من رواه!!

فقد عنون الذهبي في ميزانه «الحارث بن محمّد المعكوف»^(٦٧٥) ولم يجرحه بشيء، إلاّ أنّه قال ما نصّه: «أتى بخبر باطل؛ حدّثنا أبو بكر بن عيّاش، عن معروف بن خرّبوذ، عن أبي الطفيل، عن أبي ذرّ مرفوعاً: لا تزول قدما عبد حتّى يسأل عن حبّنا أهل البيت؛ وأوماً إلى عليّ. رواه أبو بكر ابن الباغددي، عن يعقوب بن إسحاق الطوسي، عنه». انتهى^(٦٧٦).

اكتفي بهذا لئلاّ يطول بنا البحث، كما أكتفي بالإشارة إلى أنّ للقوم في هذا الحديث تصرّفات، فلا بُدّ من التحقيق عنه ممّن كان أهلاً لذلك.

* حديثٌ: لا يجوز الصراط إلّا من معه كتابٌ ولاية عليّ:

ونذكر بعض ما ورد في هذا الباب:

١ - حديث أمير المؤمنين... رواه الحافظ أبو الخير الحاکمي الطالقاني، قال: «وبه قال الحاكم... وعن عليّ، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، ونصب الصراط على جسر جهنّم، ما جازها أحد حتّى كانت معه براءة بولاية عليّ بن أبي طالب»^(٦٧٧).

٢ - حديث الإمام جعفر بن محمّد الصادق... رواه مالك بن أنس، عنه، عن آبائه، عن عليّ، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، قال: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، ونصب الصراط على جسر جهنّم، لم يجز أحد إلّا من كانت معه براءة بولاية عليّ بن أبي طالب».

روى هذا الحديث: شيخ الإسلام الحمويّني^(٦٧٨) بسنده، عن الحافظ البيهقي، عن الحاكم النيسابوري بسنده، عن إبراهيم بن عبد الله الصاعدي، عن ذي النون المصري، عن مالك بن أنس، عن جعفر بن محمّد...^(٦٧٩).

أقول:

(٦٧٥) كذا؛ لكن في لسان الميزان ٢ : ١٥٩، وتاريخ دمشق: «المكفوف».

(٦٧٦) ميزان الاعتدال ١ : ٤٤٣.

(٦٧٧) كتاب الأربعين المنتقى من مناقب علي المرتضى: الباب الثالث والثلاثون الحديث رقم ٤٠.

(٦٧٨) تقدّم موجز ترجمته.

(٦٧٩) فرائد السمطين ١ : ٢٨٩.

وهذا الحديث أيضاً لا مجال للطعن في سنده، ولذا ذكره بعض المتعصّبين ووصفه بكونه «خبراً باطلاً متنه»^(٦٨٠)، وادّعى بعضهم أنّ راويه «إبراهيم بن عبدالله الصاعدي»، «متروك الحديث»^(٦٨١)، لكنّه جرحٌ بلا ذكر سبب، وما هو إلا رواية مثل هذا الحديث... .

هذا، وقد تابعه «الهيثم بن أحمد الزيداني»، قال الحافظ أبو نعيم: «حدّث سوار بن أحمد، ثنا علي بن أحمد بن بشر الكسائي، ثنا أبو العباس الهيثم بن أحمد الزيداني، ثنا ذو النون بن إبراهيم المصري، ثنا مالك بن أنس، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله] وسلّم: إذا كان يوم القيامة ونصب الصراط على ظهراي جهنّم، لا يجوزها ولا يقطعها إلاّ من كان معه جواز بولاية علي بن أبي طالب»^(٦٨٢)

٣ - حديث أنس بن مالك... قال الفقيه ابن المغازلي: «أخبرنا أحمد ابن محمد بن عبد الوهّاب - إذناً -، عن القاضي أبي الفرج أحمد بن علي، قال: حدّثنا أبو غانم سهل بن إسماعيل بن بلبل، حدّثنا أبو القاسم الطائي، حدّثنا محمد بن زكريّا الغلابي، حدّثني العباس بن بكّار، عن عبدالله بن المثنّى، عن عمّه ثمامة بن عبدالله بن أنس، عن أبيه، عن جدّه، قال: قال رسول الله: إذا كان يوم القيامة ونصب الصراط على شفير جهنّم، لم يجز إلاّ من معه كتاب ولاية علي بن أبي طالب»^(٦٨٣).

٤ - حديث عبدالله بن مسعود... رواه عنه الحسن البصري؛ روى الموقّق بن أحمد المكيّ الخوارزمي بإسناده، عن الحسن البصري، عن عبدالله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله] وسلّم: «إذا كان يوم القيامة، يقعد عليّ بن أبي طالب على الفردوس - وهو جبل قد علا على الجنّة، وفوقه عرش ربّ العالمين، ومن سفحه تتفجّر أنهار الجنّة وتتفرّق في الجنان - وهو جالس على كرسي من نور، يجري بين يده التسنيم، لا يجوز أحد الصراط إلاّ ومعه براءة بولايته وولاية أهل بيته، يشرف على الجنّة، فيدخل محبّيه الجنّة ومبغضيه النار»^(٦٨٤).

٥ - حديث عبدالله بن عباس... رواه عنه سعيد بن جبیر؛ رواه الحافظ الحاكم الحسكاني، وقد تقدّم نصّه قريباً... .

(٦٨٠) ميزان الاعتدال ١ : ٤٤٣.

(٦٨١) الموضوعات - لابن الجوزي - ١ : ٣٩٩.

(٦٨٢) أخبار أصبهان ١ : ٣٤١.

(٦٨٣) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٤٢ / ٢٨٩.

(٦٨٤) المناقب للخوارزمي: ٧١ / ٤٨.

ورواه عنه مجاهد؛ رواه ابن المغازلي، عن الغندجاني بسنده، عن طريق السدي إلى يزيد بن أبي زياد، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله] وسلّم: «عليّ يوم القيامة على الحوض، لا يدخل الجنة إلاّ من جاء بجواز من عليّ بن أبي طالب»^(٦٨٥).

ورواه عنه طاووس؛ قال ابن عساکر: «قال الخطيب: وأنبأنا أبو نعيم الحافظ: أنبأنا أبو بكر محمد بن فارس المعبدي ببغداد، حدّثني أبي فارس بن حمدان بن عبدالرحمن، حدّثني جدّي، عن شريك، عن ليث، عن مجاهد، عن طاووس، عن ابن عباس، قال: قلت للنبيّ: يا رسول الله! للنار جواز؟! قال: نعم. قلت: وما هن؟! قال: حبّ عليّ بن أبي طالب»... .

قال ابن عساکر: «قال الخطيب: سألت أبا نعيم عنه فقال: كان رافضياً غالباً في الرفض، وكان أيضاً ضعيفاً في الحديث. قال الخطيب: محمد بن فارس بن حمدان... أبو بكر العطشي، ويعرف بالمعبدية...»^(٦٨٦).

٦ - حديث أبي بكر بن أبي قحافة... قال الحافظ محبّ الدين الطبري: «ذكر اختصاصه بأنّه لا يجوز أحد الصراط إلاّ من كتب له عليّ الجواز؛ عن قيس بن أبي حازم، قال: التقى أبو بكر وعليّ بن أبي طالب. فتبسّم أبو بكر في وجه عليّ. فقال له: ما لك تبسّمت؟ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله] وسلّم يقول: لا يجوز أحد الصراط إلاّ من كتب له عليّ الجواز. أخرجه ابن السّمّان في كتاب الموافقة»^(٦٨٧).

أقول:

ذكر الحافظ ابن حجر «قيس بن أبي حازم» ووثّقه، وجعل عليه علامة الكتب الستّة؛ قال: ويقال: له رؤية^(٦٨٨).

الشاهد لحديث الجواز:

ثمّ إنّه يشهد لحديث: «لا يجوز أحد الصراط إلاّ ومعه كتاب بولاية عليّ» أحاديث كثيرة؛ من أشهرها حديث: «عليّ قسيم الجنة والنار»، رواه الدارقطني، وابن عساکر، وابن المغازلي، وابن حجر المكيّ،

(٦٨٥) مناقب علي بن أبي طالب: ١١٩ / ١٥٦.

(٦٨٦) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٢٤٤. تاريخ بغداد ٣ : ١٦١.

(٦٨٧) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: ١٣١.

(٦٨٨) تقريب التهذيب ٢ : ١٢٧.

والمُتَّقِي الهندي، وكثيرون من أعلام المُحدِّثين غيرهم، وربّما نتعرَّض له في الموضوع المناسب، إن شاء اللهُ تعالى.

مناقشات باطلة ومحاولات يائسة

وبعد، فنتأمَّل في كلمات بعض المناوئين لأمير المؤمنين عليه السلام حول حديث السؤال عن ولايته في يوم القيامة... .

● مع ابن تيميَّة:

قال ابن تيميَّة، في جواب الاستدلال العلامة الحلي بالآية المباركة: «قال الرافضي: البرهان الرابع عشر: قوله تعالى: (وقفوهم إنهم مسؤولون)... من طريق أبي نعيم، عن الشعبي، عن ابن عباس، قال في قوله تعالى: (وقفوهم إنهم مسؤولون) عن ولاية عليّ. وكذا في كتاب الفردوس عن أبي سعيد الخدري، عن النبيّ... .

وإذا سئلوا عن الولاية وجب أن تكون ثابتة له، ولم يثبت لغيره من الصحابة ذلك؛ فيكون هو الإمام.

والجواب من وجوه:

أحدها: المطالبة بصحة النقل، والعزو إلى الفردوس وإلى أبي نعيم لا تقوم به حجة باتفاق أهل العلم.

الثاني: إن هذا كذب موضوع بالاتفاق.

الثالث: إن الله تعالى قال: (بد عجت ويسخرون...) فهذا خطاب عن المشركين المكذّبين بيوم الدين... وما يفسر القرآن بهذا ويقول: النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلّم فسره بمثل هذا إلاّ زنديق ملحد، متلاعب بالدين، قادح في دين الإسلام، أو مفرط في الجهل لا يدري ما يقول.

وأبيّ فرق بين حبّ عليّ وطلحة والزبير وسعد وأبي بكر وعمر وعثمان؟!!

الرابع: إنّ قوله: (مسؤولون) لفظ مطلق لم يوصل به ضمير يخصّه بشيء، وليس في السياق ما يقتضي ذكر حبّ عليّ. فدعوى المدّعي دلالة اللفظ على سؤالهم عن حبّ عليّ من أعظم الكذب والبهتان.

الخامس: إنّه لو ادّعى مدّع أنهم مسؤولون عن حبّ أبي بكر وعمر لم يكن إبطال ذلك بوجه إلاّ وإبطال السؤال عن حبّ عليّ أقوى وأظهر». انتهى^(٦٨٩).

(٦٨٩) منهاج السنّة ٧: ١٤٣ - ١٤٦.

أقول:

يكفي في جوابه أن يقال:

أولاً: إن هذا الحديث رواه كبار الأئمة وأعلام الحديث بطرق متعدّدة، وقد ذكرنا أسامي بعضهم وجملته من أسانيدهم في روايته، فإن كان هؤلاء كلّهم زنادقة، ملحدين، متلاعبين بالدين، قادحين في الإسلام، أو مفرطين في الجهل لا يدرون ما يقولون... فما ذنبنا؟!
ثانياً: قد ظهر ممّا تقدّم صحّة بعض أسانيد هذا الحديث، وإنّ له شواهد عديدة في كتب القوم بأسانيد معتبرة... .

وحينئذ لا أثر للسياق، ولا مجال للسؤال عن الفرق بين حبّ عليّ وحبّ غيره من صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم، وبه يظهر بطلان دعوى السؤال عن حبّ غيره في يوم القيامة.
وبهذا الموجز يظهر أن ليس لهذا المفتري في مقابل هذا الاستدلال برهان معقول ولا قول مقبول.

● **مع ابن روزبهان:**

وقال ابن روزبهان في جواب الاستدلال ما نصّه: «ليس هذا من رواية أهل السنّة. ولو صحّ دلّ على أنّه من أولياء الله تعالى، فالوليّ هو المحبّ المطيع، وليس هو بنصّ في الإمامة»^(٦٩٠).

أقول:

قد عرفت أنّه من رواية أهل السنّة... .

وقد عرفت أنّه صحيح... .

فما هو الجواب عن قول العلامة: «وإذا سُئلوا عن الولاية وجب أن تكون ثابتة له، ولم يثبت لغيره من الصحابة ذلك، فيكون هو الإمام»؟!
إنّه لا جواب له عن هذا، كما لم يُجب عنه ابن تيميّة!!

● **مع الآلوسي:**

وقال الآلوسي في تفسير الآية المباركة: «وروى بعض الإمامية عن ابن جبير، عن ابن عبّاس: يُسألون عن ولاية عليّ كرم الله تعالى وجهه. ورووه أيضاً عن أبي سعيد الخدري... .
(قال): «وأولى هذه الأقوال: إنّ السؤال عن العقائد والأعمال، ورأس ذلك لا إله إلا الله، ومن أجله ولاية عليّ كرم الله تعالى وجهه، وكذا ولاية إخوانه الخلفاء الراشدين»^(٦٩١).

(٦٩٠) كتاب إبطال الباطل، لاحظ: دلائل الصدق ٢ : ١٥٠.

(٦٩١) روح المعاني ٢٣ : ٨٠.

أقول:

أولاً: لقد روى الإمامية خبر يُسألون عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، لكنّ انحصار تلك الرواية بهم - كما هو ظاهر عبارة الألوسي - دعوى كاذبة.
وثانياً: كون «أولى الأقوال...»; لا دليل عليه، بل الدليل من السُّنَّة النبوية على خلافه، فما بال القوم يخالفون السُّنَّة ويزعمون أنّهم من أهلها!!
وثالثاً: ولاية أمير المؤمنين عليه السلام قام الدليل عليها كتاباً وسُنَّةً، أمّا ولاية غيره فما الدليل عليها!؟!

● مع صاحب مختصر التحفة الاثني عشرية^(٦٩٢):

وقال صاحب مختصر التحفة الاثني عشرية في ذكر أدلّة الإمامية: «ومنها: قوله تعالى: (وقفوهم إنهم مسؤولون)، قالت الشيعة في الاستدلال بها: روي عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً أنّه قال: (وقفوهم إنهم مسؤولون) عن ولاية عليّ بن أبي طالب.
ولا يخفى أنّ نحو هذا التمسك في الحقيقة بالروايات لا بالآيات، وهذه الرواية واقعة في فردوس الدلمي الجامع للأحاديث الضعيفة الواهية، ومع هذا قد وقع في سندها الضعفاء والمجاهيل الكثيرون، بحيث سقطت عن قابلية الاحتجاج بها، لا سيّما في هذه المطالب الأصولية. ومع هذا فإنّ نظم الكتاب مكذّب لها؛ لأنّ هذا الحكم في حقّ المشركين... ولئن سلّمنا صحة الرواية وفكّ النظم القرآني يكون المراد بالولاية المحبّة، وهي لا تدلّ على الزعامة الكبرى التي هي محلّ النزاع، ولو كانت الزعامة الكبرى مراداً أيضاً لم تكن هذه الرواية مفيدة للمدّعي؛ لأنّ مفاد الآية وجوب اعتقاد إمامة الأمير في وقت من الأوقات، وهو عين مذهب أهل السُّنَّة...»^(٦٩٣).

أقول:

أولاً: لم يذكر هذا الرجل وجه استدلال أصحابنا بالآية المباركة، وقد تقدّمت عبارة العلامة الحليّ في وجهه، فما هو الجواب!؟

(٦٩٢) محمود شكري الألوسي البغدادي.

(٦٩٣) مختصر التحفة الاثني عشرية: ١٧٧ - ١٧٨.

وثانياً: لم يقل أحد من أصحابنا بأن الاستدلال لإمامة الأمير هو بالآيات وحدها، وكذا لم يدّع أحد من المخالفين دلالة شيء من القرآن الكريم وحده على إمامة غيره، وإنما يكون الاستدلال بالآيات بمعونة الروايات المفسرة لها.

وثالثاً: لم تكن الرواية منحصرةً بما في فردوس الأخبار، وبما عن أبي سعيد الخدري... .

فكلّ ما ذكره إلى هنا ما هو إلا تلبيس وتخديع.

ورابعاً: الاستدلال بالنظم القرآني وسياق الآيات الكريمة لا يقاوم الاستدلال بالسنة النبوية الشريفة الواردة عن طرق الفريقين في تفسيرها، وبعبارة أخرى: فإنه متى قام الدليل على معنى آية من الآيات، فإنه بالدليل تُرفع اليد عن مقتضى السياق، ولا يجوز العكس بالإجماع.

وخامساً: قد تقدّم وجه استدلال العلامة الحلي بالآية المباركة، وما ذكره هذا الرجل لا يصلح للجواب عنه كما هو واضح.

وسادساً: دعوى أنّ المفاد إمامة أمير المؤمنين عليه السلام في وقت من الأوقات، يُقال بأنّ وقتها هو بعد عثمان، تخالف ظواهر الروايات، وتتوقّف كذلك على ثبوت إمامة المشايخ قبله، ولا دليل عليها ألبتّة.

هذا تمام الكلام على استدلال أصحابنا الكرام بقوله تعالى: (وقفهم إنهم مسؤولون)، ونقد ما اعترض به

المعترضون، فأيهما أحرى بالأخذ وأولى بالقبول يا منصفون!!

* * *

وأما قوله تعالى: (واسأل من أرسلنا من قبلك)

فقد أشار السيّد رحمه الله تعالى إلى ما جاء في جملة من كتب الفريقين بتفسير هذه الآية المباركة، ونحن نوضّح المطلوب - الآن - على ضوء كتب العامّة فحسب... .

فنقول:

ظاهر هذه الآية أنّها أمر من الله تعالى لرسوله أن يسأل المرسلين الذين أرسلوا إلى أممهم من قبله صلى الله عليه وآله وسلّم... .

فهذا أمرٌ من الله، والمأمور بالسؤال هو: النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلّم، والمسؤول منهم هم: المرسلون السابقون، والسؤال: ما هو؟

فها هنا أسئلة:

كيف يسأل الرسل وقد ماتوا قبله!!!

وهل سألهم أو لا!!!

وعلى الأوّل، فما كان السؤال؟! وما كان جوابهم!؟

وهذا الموضوع من المواضع التي اضطربت فيها كلمات القوم فيه بشدّة:

يقول ابن الجوزي في تفسيره: «إن قيل: كيف يسأل الرسل وقد ماتوا قبله؟ فعنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: إنّهُ لما أُسري به، جُمع له الأنبياء فصلّى بهم، ثمّ قال له جبريل: (واسأل من أرسلنا من قبلك...)

الآية... فقال: لا أسأل، قد اكتفيت... .

رواه عطاء، عن ابن عبّاس، وهذا قول سعيد بن جبیر، والزهری، وابن زید؛ قالوا: جمع له الرسل

ليلة أُسري به فلقبهم، وأمر أن يسألهم، فما شكّ ولا سأل.

والثاني: إنّ المراد: أسأل مؤمني أهل الكتاب من الذين أرسلت إليهم الأنبياء... .

روي عن ابن عبّاس، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي، في آخرين. قال ابن الأنباري:

والمعنى: سل أتباع من أرسلنا قبلك، كما تقول: السخاء حاتم، أي: سخاء حاتم، والشعر زهير. أي: شعر

زهير. وعند المفسرين إنه لم يسأل على القولين. وقال الزجاج: هذا سؤال تقرير، فإذا سأل جميع الأمم لم يأتوا بأن في كتبهم: أن اعبدوا غيري.

والثالث: إن المراد بخطاب النبي صلى الله عليه [وآله] وسلّم: خطاب أُمَّته، فيكون المعنى: سلوا. قاله الزجاج. «هذا تمام ما ذكره ابن الجوزي^(٦٩٤)».

أقول:

فهذه ثلاثة أجوبة - وتجدها في التفاسير الأخرى أيضاً - أولها حمل على ظاهر الآية؛ فهو جواب على الحقيقة، والتاليان حمل على خلاف الظاهر؛ فهما جوابان على المجاز... ولعل المختار عند ابن الجوزي - بقرينة التقديم في الذكر - هو الأول. واختار الآلوسي الجواب الثاني كما سيأتي، وعندهم أجوبة أخرى على المجاز، وهي باختصار:

١ - إن الخطاب للنبي، والسؤال مجاز عن النظر في أديانهم: هل جاءت عبادة الأوثان قط في ملّة من ملل الأنبياء؟!^(٦٩٥) وهو الذي اختاره الزمخشري، وتبعه بعضهم كالنسفي، ثم قال الزمخشري: «وكفاه نظراً وفحصاً نظره في كتاب الله المعجز المصدّق لما بين يديه، واخبار الله فيه بأنهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً، وهذه الآية في نفسها كافية لا حاجة إلى غيرها»^(٦٩٦).

أقول: فلم أمر بالسؤال؟!

٢ - إن الخطاب ليس للنبي، بل هو للسامع الذي يريد أن يفحص عن الديانات، ف قيل له: اسأل أيها الناظر أتباع الرسل، أ جاءت رسلكم بعبادة غير الله؟! فإنهم يخبرونك أنّ ذلك لم يقع، ولا يمكن أن يأتوا به، واختاره أبو حيّان الأندلسي^(٦٩٧).

أقول كما قال الآلوسي فيه: ولعمري إنه خلاف الظاهر جدّاً.

٣ - إن الخطاب للنبي، والسؤال على الحقيقة، لكنّ المسؤول هو الله تعالى، فالمعنى: واسألنا عن من أرسلنا... .

نقله أبو حيّان عن بعضهم واستبعده.

(٦٩٤) زاد المسير ٧ : ٣١٩ - ٣٢٠.

(٦٩٥) تفسير الرازي ٢٧ : ٢١٦، البحر المحيط ٩ : ٣٧٧، روح المعاني ٢٥ : ٨٦.

(٦٩٦) الكشّاف ٥ : ٤٤٦. وانظر: تفسير النسفي ٢ : ٥٢٥ - ٥٢٦؛ فقد قال بالعبارة عينها دون ذكر للزمخشري!

(٦٩٧) البحر المحيط ٩ : ٣٧٧.

وقال الآلوسي: «ومما يقضى منه العجب ما قيل...» ثم قال: «واسأل من قرأ أبا جاد أيرضى بهذا الكلام ويستحسن تفسير كلام الله تعالى المجيد بذلك؟!».

أقول: لا يرضى به قطعاً.

هذه نماذج من كلمات أئمة القوم.

ولا يخفى اضطراب القوم في تفسير الآية المباركة، إن أبقوها على ظاهرها، فبم يجيبون عن الأسئلة؟!:

وإن أرادوا التخلص من الجواب عنها حملوا الآية على المجاز، وهو باب واسع، وقد رأيت كيف يرد بعضهم على الآخر في ما اختار!

وابن كثير الدمشقي لم يلتفت إلى شيء من هذه الأسئلة، فلم يبين المخاطب بالآية، ولا السؤال، ولا المسؤول... وإمّا قال:

«وقوله سبحانه وتعالى: (واسأل من أرسلنا...) أي: جميع الرسل دعوا إلى ما دعوت الناس إليه من عبادة الله وحده لا شريك له، ونهوا عن عبادة الأصنام والأنداد؛ كقوله جلّت عظمتة: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)»^(٦٩٨).

فهكذا فسّر الآية ليكون في فسحة من المشكلة وطلباً للراحة منها، ثم ذكر القولين الآتين. وبعد... .

فالمهم من هذه الأقوال كلها قولان؛ ولذا لم يذكر غير واحد منهم - كابن كثير والشوكاني - غيرهما: أحدهما: إن المراد سؤال الأنبياء، لما أسري به عند ملاقاته لهم... .

قالوا: وهذا قول المتقدمين منهم، كسعيد بن جبير، والزهري،

وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم؛ ورووا عن عطاء، عن ابن عباس: «فقال: لا أسأل، قد اكتفيت».

والآخر: إن المراد سؤاله الأمم، والمؤمنين من أهل الكتاب، من الذين أرسلت إليهم الأنبياء... .

وهذا القول حكوه عن ابن عباس كذلك، وعن مجاهد وقتادة والضحاك والسدي، في آخرين، كما قال ابن الجوزي، واختاره ابن جرير الطبري، وكثير من المتأخرين - كالآلوسي -، بل في الوسيط للواحيدي^(٦٩٩) وتفسير البغوي نسبته إلى أكثر المفسرين؛ قال البغوي: «يدل عليه قراءة عبدالله وأبي: واسأل الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا»^(٧٠٠)... لكن ابن كثير قال: «وهذا كأنه تفسير لا تلاوة. والله أعلم»^(٧٠١).

(٦٩٨) تفسير القرآن العظيم ٧ : ٢٣٠.

(٦٩٩) الوسيط في تفسير القرآن ٤ : ٧٥.

(٧٠٠) معالم التنزيل ٥ : ١٢٠.

وهذان القولان هما الأوّل والثاني من الأقوال الثلاثة التي ذكرها ابن الجوزي بتفسيره... فهل سأل
صلى الله عليه وآله وسلم أو لا؟! وعلى تقدير السؤال، فما كان الجواب؟!
قال ابن الجوزي: «وعند المفسرين أنّه لم يسأل، على القولين»^(٧٠٢).

أقول:

فلا جواب عندهم عن السؤال، أو أنّ هناك جواباً صحيحاً مطابقاً لظاهر
الآية - ولا خروج فيه عن الحقيقة إلى المجاز - مشتملاً على جميع جوانب المسألة، ولكنهم لا يريدون
التصريح به والإفصاح عنه!؛

إنّ هذا الموقف من ابن الجوزي وأمثاله ليدكرنا بموقفهم من حديث «الأئمة بعدي اثنا عشر، كلّهم
من قريش»؛ إذ يشرّقون ويغرّبون، ويختلفون ويضطربون... حتّى قال ابن الجوزي: «قد أطلت البحث
عن معنى هذا الحديث وتطلّبت مظانّه وسألته عنه، فلم أقع على المقصود»^(٧٠٣)...
وما كلّ ذلك إلّا لأنهم لا يريدون الاعتراف بالحقيقة.

والعجيب، أنّهم في تفسير الآية (واسأل من أرسلنا...) يستدلّون بما يروون عن عبدالله بن مسعود من
أنّه قرأها: «واسأل الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا» ثمّ يتنازعون هل هو قراءة أو تفسير! ولا يعابون
بحديث مسند مرويّ عندهم عن عبدالله بن مسعود عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، في معنى الآية
المباركة!!

بل القائلون بالقول الأوّل - من هذين القولين - لا يستندون في قولهم إلى هذا الحديث، مع أنّهم
بأشدّ الحاجة إليه في بيان معنى الآية وإثبات قولهم في تفسيرها!!
وما كلّ ذلك إلّا لاشتماله على ولاية أمير المؤمنين!!

الحديث رواه جماعة من أكابر المحدثين الحفّاظ:

* رواه الحاكم، قال: «حدّثنا أبو الحسين محمّد بن المظفر الحافظ، قال: حدّثنا عبدالله بن محمّد بن
غزوان، قال: ثنا علي بن جابر، قال: ثنا محمّد بن خالد بن عبدالله، قال: ثنا محمّد بن فضيل، قال: ثنا
محمّد بن سوقة، عن إبراهيم،
عن الأسود، عن عبدالله، قال:

(٧٠١) تفسير القرآن العظيم ٧ : ٢٣٠.

(٧٠٢) زاد المسير ٧ : ٣٢٠.

(٧٠٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري - للحافظ ابن حجر - ١٣ : ١٨١.

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلّم: يا عبدالله! أتاني ملك فقال: يا محمد! (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا) على ما بعثوا؟ قال: قلت: على ما بعثوا؟ قال: على ولايتك وولاية علي بن أبي طالب.

قال الحاكم: تفرّد به علي بن جابر، عن محمد بن خالد، عن محمد بن فضيل، ولم نكتبه إلا عن ابن المظفر، وهو عندنا حافظ ثقة مأمون^(٧٠٤).

فالأية باقية على ظاهرها، والنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلّم سأل، وكان الجواب: بعث الأنبياء على ولايته وولاية علي عليهما وعلى آلهما الصلاة والسلام.

* **ورواه الثعلبي**، قال: «أخبرنا الحسين بن محمد الدينوري، حدّثنا أبو الفتح محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين الأزدي الموصلي، حدّثنا عبدالله بن محمد بن غزوان البغدادي، حدّثنا علي بن جابر، حدّثنا محمد بن خالد بن عبدالله ومحمد بن إسماعيل، قالوا: حدّثنا محمد بن فضيل، عن محمد بن سوقة، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبدالله بن مسعود، قال:

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلّم: أتاني ملك فقال: يا محمد! . . .»^(٧٠٥).

* **ورواه ابن عساكر**، قال: «أخبرنا أبو سعد بن أبي صالح الكرمانى وأبو الحسن مكي بن أبي طالب الهمداني، قالوا: أنبأنا أبو بكر بن خلف، أنبأنا الحاكم أبو عبدالله الحافظ، حدّثني محمد بن مظفر الحافظ...» إلى آخر ما تقدّم عن الحاكم^(٧٠٦).

* **ورواه الحافظ أبو نعيم الأصفهاني**، كما في تنزيه الشريعة عن الحافظ ابن حجر، وفي غير واحد من كتب أصحابنا أنّه روى بإسناده في هذه الآية، أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلّم ليلة أُسري به جمع الله تعالى بينه وبين الأنبياء، ثمّ قال: سلّمهم يا محمد! على ماذا بُعثتم؟ فقالوا: بُعثنا على شهادة أن لا إله إلاّ الله، وعلى الإقرار بنبوتك، والولاية لعلي بن أبي طالب^(٧٠٧).

* **ورواه الحافظ ابن حجر العسقلاني من جهة الحاكم**، قال: ورواه أبو نعيم؛ وستأتي عبارة ابن حجر.

* **ورواه الحافظ ابن عبد البرّ القرطبي**، على ما نقل عنه العلامة الحلي^(٧٠٨)، والشيخ يحيى بن البطريق^(٧٠٩).

(٧٠٤) معرفة علوم الحديث: ٩٦.

(٧٠٥) الكشف والبيان ٨ : ٣٣٧ - ٣٣٨.

(٧٠٦) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٢٤١.

(٧٠٧) الطرائف في معرفة الطوائف ١ : ١٠١، البرهان في تفسير القرآن ٤ : ٧٨١، غاية المرام ٣ : ٥٥، خصائص الوحي المبين: ١٥٣.

(٧٠٨) منهاج الكرامة في معرفة الإمامة: ١٥٦.

* ورواه الحاكم الحسكاني، قال: «حدّثنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ، قال: حدّثنا محمّد بن المظفر... إلى آخر ما تقدّم...» .

قال: «وأخبرناه أبو عثمان الحيري من أصله العتيق، قال: حدّثنا أبو الحسين محمّد بن المظفر... سواءً لفظاً، ولم يذكر علقمة في الإسناد» . .

«حدّثني أبو الحسن الفارسي، حدّثنا عمر بن أحمد، حدّثنا علي بن الحسين بن سفيان الكوفي، حدّثنا جعفر بن محمّد أبو عبد الله الحسني، حدّثنا

علي بن إبراهيم العطار، حدّثنا عبّاد، عن محمّد بن فضيل، عن محمّد بن سوقة» . .

قال: «وحدّثنا أبو سهل سعيد بن محمّد، حدّثنا علي بن أحمد الكرمانی، حدّثنا أحمد بن عثمان الحافظ، حدّثنا عبيد بن كثير، حدّثنا محمّد بن إسماعيل الأحمسي، حدّثنا ابن فضيل، عن محمّد بن سوقة، عن إبراهيم، عن علقمة والأسود، عن ابن مسعود، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم:

لما أسري بي إلى السماء إذا ملك قد أتاني فقال لي: يا محمّد! سل من أرسلنا من قبلك من رسلنا على ما بعثوا. قلت: معاشر الرسل والنبیین! على ما بعثكم الله؟ قالوا: على ولايتك يا محمّد وولاية علي بن أبي طالب...» .

ورواه غير علي، عن محمّد بن خالد الواسطي، وتابعه محمّد بن إسماعيل... .

أخبرني الحاكم أبو عبد الله، حدّثني أبو سعيد أحمد بن محمّد بن رميح النسوي، حدّثنا أبو محمّد الحسن بن عثمان الأهوازي، حدّثنا محمّد بن خالد بن عبد الله الواسطي، حدّثنا محمّد بن فضيل، حدّثنا محمّد بن سوقة، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عبد الله، قال: قال لي النبي... به لفظاً سواءً»^(٧١٠) .

* ورواه الموفق بن أحمد المكي، قال: «وأخبرني شهردار - إجازةً -، أخبرني أحمد بن خلف - إجازةً -، حدّثني محمّد بن المظفر الحافظ، حدّثنا عبد الله بن محمّد بن غزوان، حدّثنا علي بن جابر...» إلى آخر ما تقدّم سواءً^(٧١١) .

* ورواه الحموي، عن شهردار بن شيرويه الحافظ، عن أحمد بن خلف،

عن الحاكم، عن ابن المظفر الحافظ... كما تقدّم سواءً^(٧١٢) .

(٧٠٩) العمدة لابن البطريق: ٣٥٢ / ٦٨٠ .

(٧١٠) شواهد التنزيل ٢: ١٥٦ - ١٥٨ .

(٧١١) المناقب للخوارزمي: ٣١٢ / ٣١٢ . والظاهر سقوط الحاكم بين أبي خلف وابن المظفر.

(٧١٢) فرائد السمطين ١: ٨١ .

* ورواه أبو عبدالله الكنجي، قال: «قرأت على الحافظ أبي عبدالله ابن النجار، قلت له: قرأت على المفتي أبي بكر القاسم بن عبدالله بن عمر الصفار، قال: أخبرتنا الحرّة عائشة بنت أحمد الصفار، أخبرنا أحمد بن علي الشيرازي، أخبرنا الإمام الحافظ أبو عبدالله النيسابوري، حدّثني محمّد بن المظفر الحافظ . . . إلى آخر ما تقدّم سواء»^(٧١٣).

أقول:

هذا في الحديث عن ابن مسعود... .

وهو أيضاً عن عبدالله بن عباس:

* قال القندوزي الحنفي: «أيضاً رواه الديلمي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما»^(٧١٤).

وهو أيضاً عن أبي هريرة:

* قال شهاب الدين أحمد الخنجي: «عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم: لما أُسري بي ليلة المعراج، فاجتمع عليّ الأنبياء، فأوحى الله إليّ: سلّم يا محمّد! بماذا بعثتم؟ قالوا: بعثنا على شهادة أن لا إله إلا الله، وعلى الإقرار بنبوتك، والولاية لعليّ بن أبي طالب. أوردته الشيخ المرتضى، العارف الربّاني، السيّد شرف الدين علي الهمداني في بعض تصانيفه، وقال: رواه الحافظ أبو نعيم»^(٧١٥).

أقول:

هذا، وهو مروى عند أصحابنا عن أمير المؤمنين وأبنائه الطاهرين عليهم الصلاة والسلام^(٧١٦).

وتلخص:

إنّ الصحيح في الآية المباركة إبقاؤها على ظاهرها، وتفسيرها بهذا الحديث المروي في كتب الفريقين عن أمير المؤمنين وعدّة من الأصحاب، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم... . والأشهر من بين الأحاديث في الباب هو حديث عبدالله بن مسعود؛ فقد ورد في كتب كثيرة من كتب أهل السنّة، ولهم به أسانيد عديدة، وفي الرواة عدّة من أعلام الحفاظ، والأئمّة الثقات.

(٧١٣) كفاية الطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب: ٧٥.

(٧١٤) ينابيع المودّة ١: ٢٤٤.

(٧١٥) توضيح الدلائل على تصحيح الفضائل - مخطوط.

(٧١٦) كنز الدقائق في تفسير القرآن ٩: ٣٤٤ - ٣٤٥.

يقول ابن تيمية: «إنّ مثل هذا ممّا اتّفق أهل العلم على أنّه كذب موضوع»... .

وليت شعري! فلماذا اتّفق هذا الجمع من الحفاظ والمحدّثين على روايته؟!

ثمّ يقول ابن تيمية: «إنّ هذا ممّا يعلم من له علم ودين أنّه من الكذب الباطل الذي لا يصدّق به من له عقل ودين، وإنّما يختلق مثل هذا أهل الوقاحة والجرأة في الكذب».

وليت شعري! هل كان هؤلاء الأئمة الرواة لهذا الحديث عاملين بحاله ومع ذلك روه، أو كانوا جاهلين، ومع ذلك يعدّون في كبار أئمة الحديث وحفاظه؟!

ثمّ إنّّي لم أجد هذا الحديث في الموضوعات لابن الجوزي، ولا في العلل المتناهية له.

نعم، أورد ابن عراق حديث ابن مسعود في تنزيه الشريعة المرفوعة، ومحصّل كلامه ثبوت الحديث لا سقوطه، وهذا نصّ ما قال:

«حديث: ابن مسعود، قال لي رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: يا عبدالله! أتاني ملك فقال: يا محمّد! سل من أرسلنا قبلك من رسلنا على ماذا بعثوا؟ قلت: على ما بعثوا؟ قال: على ولايتك وولاية عليّ بن أبي طالب. (٧١٧).

قلت: ولم يبيّن علّته.

وقد أوردته الحافظ ابن حجر في **زهر الفردوس** (٧١٨) من جهة الحاكم، ثمّ قال: ورواه أبو نعيم وقال: تفردّ به علي بن جابر، عن محمّد بن فضيل. انتهى.

وعلي بن جابر ما عرفته. والله أعلم» (٧١٩).

أقول:

ظهر من هذا الكلام رواية ثلاثة من أئمة الحفاظ هذا الحديث بإسنادهم عن عبدالله بن مسعود، من غير أن يبيّنوا علّته له... .

أما الحاكم، فقد تقدّم نصّ روايته للحديث، وهو في مقام ذكر شاهد لنوع من أنواع الحديث، فهو غير معلول عنده، بل هو حديث معتبرٌ يذكر لقاعدة علمية في كتاب علمي.

(٧١٧) هذا رمز للحاكم، كما ذكر في أول الكتاب أيضاً.

(٧١٨) وهو مختصر كتاب فردوس الأخبار للدليمي، أورد فيه ما استجوده من أخباره، كما له كتاب تسديد القوس في مختصر مسند الفردوس.

(٧١٩) تنزيه الشريعة المرفوعة ١ : ٣٩٧.

وأما أبو نعيم، فقد روى هذا الحديث وهو يناسب ذكره في دلائل النبوة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنها كانت ثابتة له منذ القرون السابقة، وفي زمن الأنبياء الماضين، حتى كان عليهم أن يدعوا الناس إلى نبوته ويبشروا أممهم ببعثته، إلا أننا لم نجد فيه.

وأما ابن حجر العسقلاني، فقد أورد هذا الحديث ضمن أحاديث منتخبة من كتاب الفردوس، وأضاف إليه رواية الحاكم، وأبي نعيم.

فظهر إلى هنا من كلام ابن عراق اعتبار هذا الحديث عند القوم.
لكن ابن عراق قال في آخر الكلام: «وعلي بن جابر ما عرفته».

أقول:

فانتهى القدر في سند الحديث عن ابن مسعود إلى أن ابن عراق لم يعرف «علي بن جابر»، وإذا كان الأمر هكذا فهو سهل جداً؛ لأن أكابر الأئمة الحفاظ من المتقدمين قد عرفوا هذا الرجل، ولم يذكروه بجرح... .

ومما يؤكد ذلك، قول غير واحد منهم - كالحاكم وأبي نعيم - بعد روايته: «تفرّد به علي بن جابر، عن محمد بن فضيل» فإنه ظاهر في توثيقهم للرجلين، وإلا لطمعنا فيه قبل أن يقولوا: «تفرّد به...».

على أنه يظهر من روايات الحاكم الحسكاني متابغة غير علي بن جابر له في رواية الحديث عن محمد بن فضيل.

وأما «محمد بن فضيل»: فلم يتكلم فيه أحد؛ فهو من رجال الكتب الستة، قال الحافظ ابن حجر: «محمد بن فضيل بن غزوان، - بفتح المعجمة وسكون الزاي - الضبي، مولاهم، أبو عبدالرحمن، الكوفي، صدوق عارف، رمي بالتشيع، من التاسعة. مات سنة ٩٥. ع»^(٧٢٠).

وتلخص:

إن الحق هو القول الأول، وهو إبقاء الآية المباركة على ظاهرها كما هو مقتضى أصالة الحقيقة، والأخبار الواردة تفسرها بكل وضوح، لا سيما حديث ابن مسعود.

وقد ظهر أن هذه الأخبار متفق عليها بين الفريقين، وهي عن أمير المؤمنين، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن العباس، وأبي هريرة.

(٧٢٠) تقريب التهذيب ٢ : ٢٠٠. و«ع»: رمز للكتب الستة؛ أي مجمع على وثاقته.

آية أَلست بِرَبِّكم

قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ...)

قال السيّد رحمه الله:

بل هي ممّا أخذ الله به العهد من عهد أَلست بِرَبِّكم، كما جاء في تفسير قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلست بِرَبِّكم قَالُوا بلى) (٧٢٤).

فقال في الهامش:

يدلّك على هذا حديثنا عن أهل البيت في تفسير الآية (٧٢٥).

فقليل:

لمّا كان المعنى الذي استشهد المؤلف بالآية من أجله ممّا لا يقوله من عنده أدنى عقل، فقد أحال لتأييد رأيه على حديثهم عن أهل البيت في تفسير الآية. ويلزم من استشهاده هذا أن يكون علي أميراً على الأنبياء كلّهم، من نوح إلى محمّد صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، وهذا كلام المجانين، فإنّ أولئك ماتوا قبل أن يخلق الله عليّاً، فكيف يكون أميراً عليهم. وغاية ما يمكن أن يكون أميراً على أهل زمانه، أما الأمانة على من خلق قبله ومن يخلق بعده، فهذا من كذب من لا يعقل ما يقول ولا يستحي ممّا يقول. أنظر: منهاج السنّة ٤ / ٥٧٨.

أقول:

(٧٢٤) سورة الأعراف ٧ : ١٧٢.

(٧٢٥) المراجعات: ٣١.

لقد استدَلَّ العَلَمَةُ الحَلِيَّ رحمهُ اللهُ تَعَالَى بِهَذِهِ الآيَةِ المَبَارَكَةِ فِي كِتَابِيهِ مَنهَاجِ الكِرَامَةِ فِي مَعْرِفَةِ الإِمَامَةِ وَنَهْجِ الصِّدْقِ، وَرَوَى فِي ذِيهَا فِي الأَوَّلِ مِنْهُمَا عَن كِتَابِ فَرْدُوسِ الأَخْبَارِ لِلحَافِظِ الدِّيَلِمِيِّ الحَدِيثِ التَّالِي:

«عَن حذِيفَةَ بَنِ اليَمَانِ، قَالَ: قَالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآلِهِ] وَسَلَّم: لَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَتَى سَمِّيَ عَلِيٌّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ مَا أَنْكَرُوا فَضْلَهُ: سَمِّيَ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالجَسَدِ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا) قَالَتِ المَلَأَكَةُ: بَلَى. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا رَبُّكُمْ وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّكُمْ وَعَلِيٌّ أَمِيرِكُمْ»^(٧٢٦).

و«شِرويه الدِّيَلِمِيِّ» - المَتَوَفَّى سَنَةَ ٥٠٩ - مِن كِبَارِ الحَفَاطِ المَشْهُورِينَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنَّا قَرِيباً تَرْجُمَتَهُ عَن عِدَّةٍ مِنَ المَصَادِرِ المَعْتَمَدَةِ.

وَكِتَابُهُ فَرْدُوسِ الأَخْبَارِ أَيْضاً مِن أَشْهُرِ كِتَابِيهِمُ الحَدِيثِيَّةِ، نَقَلُوا عَنْهُ وَاعْتَمَدُوا عَلَيْهِ وَاعْتَنُوا بِهِ، وَاسْمُهُ الكَامِلُ: فَرْدُوسِ الأَخْبَارِ بِمَأْثُورِ الخُطَابِ المَخْرُجِ عَلَى كِتَابِ الشَّهَابِ يَعْنِي كِتَابِ شَهَابِ الأَخْبَارِ فِي الحُكْمِ وَالأَمْثَالِ وَالأَدَابِ

لِلقَاضِي أَبِي عَبْدِاللهِ مُحَمَّدِ بَنِ سَلَامَةَ القِضَاعِيِّ المَتَوَفَّى سَنَةَ ٤٥٤.

قَالَ فِي كَشْفِ الظُّنُونِ تَحْتَ عَنوَانِ فَرْدُوسِ الأَخْبَارِ: «ذَكَرَ فِيهِ أَنَّهُ أُورِدَ فِيهِ عَشْرَةُ آلَافِ حَدِيثٍ، وَذَكَرَ أَنَّهُ أُورِدَ القِضَاعِيُّ فِيهِ أَلْفٌ وَمِائَتِي كَلِمَةٍ وَلَمْ يَذْكَرْ رَوَاتِهَا، فَذَكَرَ فِي الفَرْدُوسِ رَوَاتِهَا، وَرَتَّبَ عَلَى حُرُوفِ المَعْجَمِ مَجْرَدَةً عَنِ الأَسَانِيدِ، وَوَضَعَ عِلَامَاتٍ مَخْرُجَةً بِجَانِبِهِ، وَعَدَدَ رَمُوزِهِ عَشْرُونَ»^(٧٢٧).
وَقَدْ رَوَى أَصْحَابُنَا بِأَسَانِيدِهِمْ عَنِ أُمَّةِ أَهْلِ البَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ رَوَايَاتٍ عَدِيدَةً فِي هَذَا البَابِ، فَمِنَ ذَلِكَ:

* مَا أَخْرَجَهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بَنِ يَعْقُوبِ الكَلِينِيِّ بِإِسْنَادِهِ عَنِ جَابِرِ عَنِ أَبِي جَعْفَرِ البَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: «قُلْتُ لَهُ: لَمْ سَمِّيَ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: اللهُ سَمَّاهُ، وَهَكَذَا أَنْزَلَ فِي كِتَابِهِ: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ) وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسولِي وَأَنَّ عَلِيًّا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ»^(٧٢٨).

* وَمَا أَخْرَجَهُ الشَّيْخُ العِيَّاشِيُّ، عَنِ جَابِرِ، قَالَ: «قَالَ لِي أَبُو جَعْفَرٍ: لَوْ يَعْلَمُ الجَهَّالُ مَتَى سَمِّيَ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ، لَمْ يَنْكَرُوا حَقَّهُ. قَالَ قُلْتُ: جَعَلْتَ فِدَاكَ، مَتَى سَمِّيَ؟ فَقَالَ لِي: قَوْلُهُ: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ)»^(٧٢٩).

(٧٢٦) انظر: فردوس الأخبار ٣ : ٣٩٩ / ٥١٠٤.

(٧٢٧) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ٢ : ١٢٥٤.

(٧٢٨) الكافي ١ : ٣٤٠ / ٤.

(٧٢٩) تفسير العيَّاشي ٢ : ١٧٤ / ١٦٥٧.

* وما أخرجه الشيخ أبو جعفر الطوسي، في الدعاء بعد صلاة الغدير، مسنداً عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «ومنت علينا بشهادة الإخلاص لك بموالاتك الهداة، من بعد النذير المنذر والسراج المنير، وأكلمت الدين بموالاتهم والبراءة من عدوهم، وأتممت علينا النعمة التي جدت لنا عهدك وذكرتنا ميثاقك المأخوذ منّا في مبتدأ خلقك إيّانا، وجعلتنا من أهل الإجابة، وذكرتنا العهد والميثاق، ولم تنسنا ذكرك، فإنّك قلت: (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) اللهم بلى شهدنا بمثقتك ولطفك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت ربنا، ومحمد عبدك ورسولك نبينا، وعلي أمير المؤمنين والحجة العظمى وآيتك الكبرى والنبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون»^(٧٣٠).

* وما أخرجه الشيخ الكليني بإسناده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، في حديث: «ثم قال: (ألست بربكم قالوا بلى...) ثم أخذ الميثاق على النبيين فقال: ألست بربكم وأن هذا محمد رسول الله وأن هذا علي أمير المؤمنين؟! قالوا: بلى. فثبتت لهم النبوة وأخذ الميثاق على أولي العزم، إنني ربكم ومحمد رسول الله وعلي أمير المؤمنين وأوصياؤه من بعده ولاة أمري وخزان علمي...»^(٧٣١).

ثم إن بعض العلماء الأعلام من أهل السنّة يروون بإسنادهم عن أئمة أهل البيت عليهم السلام حديثاً في هذا الباب:

* قال المحدث الفقيه الشافعي أبو الحسن ابن المغازلي الواسطي: «أخبرنا أبو الحسن أحمد بن المظفر العطار، حدّثنا أبو عبد الله الحسين بن خلف بن محمد الداودي، حدّثنا أبو محمد الحسن بن محمد التلعكبري، قال: حدّثنا طاهر بن سليمان بن زميل الناقد، قال: حدّثنا أبو علي الحسين بن إبراهيم، قال: حدّثنا الحسن بن علي، حدّثنا الحسن بن حسن السكري، حدّثنا ابن هند، عن ابن سماعة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن

الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه أنه قرأ عليه أصبح بن نباتة: (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم) قال: فبكى علي وقال: إنّي لأذكر الوقت الذي أخذ الله تعالى عليّ فيه الميثاق»^(٧٣٢).

وفي هذا الحديث إشارة - إن لم يكن فيه تحريف - إلى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان أوّل من أجاب في الميثاق، وذاك ما أخرجه الشيخ العياشي بإسناده عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام

(٧٣٠) تهذيب الأحكام ٣: ١٤٦.

(٧٣١) الكافي ٢: ٦ / ١.

(٧٣٢) مناقب عليّ بن أبي طالب: ٢٧١ / ٣١٩.

قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن أمتي عرضت عليّ في الميثاق، فكان أول من آمن بي: علي، وهو أول من صدّقني حين بعثت، وهو الصديق الأكبر والفاروق، يفرق بين الحق والباطل»^(٧٣٣).

كما إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الأنبياء، لأنه أولهم وأسبقهم في الميثاق بالوحدانية، كما في الحديث:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن بعض قريش قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: بأي شيء سبقت الأنبياء وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ قال: إني كنت أول من آمن بربي وأول من أجاب، حين أخذ الله ميثاق النبيين وأشهدهم على أنفسهم (أست برّبكم قالوا بلى)، فكنت أنا أول نبيّ قال بلى، فسبقتهم بالإقرار بالله»^(٧٣٤).

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: بأي شيء سبقت ولد آدم؟ قال: إنني أول من أقرّ بربي، إن الله أخذ ميثاق

النبيين وأشهدهم على أنفسهم (أست برّبكم قالوا بلى) فكنت أول من أجاب»^(٧٣٥).

وهذه أحاديث اتّفق عليها الفريقان:

* أخرج البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إني عبد الله وخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته»^(٧٣٦).

* وأخرج الترمذي: «قالوا: يا رسول الله! متى وجبت لك النبوة؟ قال: وآدم بين الروح والجسد. هذا حديث حسن صحيح، غريب من حديث أبي هريرة»^(٧٣٧).

أقول:

لكنه في بعض المصادر عن أبي هريرة: «قيل: يا رسول الله! متى وجبت لك النبوة؟ قال: قبل أن يخلق الله آدم وينفخ فيه الروح. وقال: (وإذ أخذ ربك من بني آدم...) قالت الأرواح: بلى. فقال: أنا ربكم ومحمد نبيكم وعلي أميركم»^(٧٣٨)

(٧٣٣) تفسير العيّاشي ٢: ١٧٤ / ١٦٥٨.

(٧٣٤) الكافي ١: ٣٦٦ / ٦.

(٧٣٥) الكافي ٢: ٩ / ٣.

(٧٣٦) التاريخ الصغير ١: ٣٩.

(٧٣٧) الجامع الكبير ٦: ٧ / ٣٦٠٩.

(٧٣٨) ينابيع المودة ٢: ٢٧٩ / ٨٠٣، عن المودة في القرني لعلي بن شهاب الدين الهمداني، المتوفى سنة ٧٨٦.

* وعقد الحافظ السيوطي في خصائص النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ باباً عنوانه: «باب خصوصية النبي بكونه أول النبيين في الخلق وتقدم نبوته وأخذ الميثاق» فأورد أحاديث كثيرة جداً. ثم قال:

«فائدة - قال الشيخ تقي الدين السبكي في كتابه: **التعظيم والمنة** في (تؤمنن به ولتنصرته): في هذه الآية من التنويه بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

وسلم وتعظيم قدره العلي، ما لا يخفى، وفيه مع ذلك: أنه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلًا إليهم، فتكون نبوته ورسالته عامّة لجميع الخلق، من زمن آدم إلى يوم القيامة، وتكون الأنبياء واممهم كلهم من أمته، ويكون قوله: بعثت إلى الناس كافة، لا يختص به الناس من زمانه إلى يوم القيامة، بل يتناول من قبلهم أيضاً، ويتبين بذلك معنى قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد...».

(قال): «فعرفنا بالخبر الصحيح حصول ذلك الكمال من قبل خلق آدم لنبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من ربه سبحانه، وأنه أعطاه النبوة من ذلك الوقت، ثم أخذ له المواثيق على الأنبياء، ليعلموا أنه المقدم عليهم، وأنه نبيهم ورسولهم.

وفي أخذ المواثيق - وهي في معنى الاستخلاف، ولذلك دخلت لام القسم في (تؤمنن به ولتنصرته) - لطيفة أخرى، وهي كأنها إيمان للبيعة التي تؤخذ للخلفاء... . إذا عرفت ذلك، فالنبي هو نبي الأنبياء.

ولهذا ظهر في الآخرة جميع الأنبياء تحت لوائه، وفي الدنيا كذلك ليلة الإسراء صَلَّى اللهُ بِهِمْ. ولو اتفق مجيؤه في زمن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وجب عليهم وعلى أممهم الإيمان به ونصرته، وبذلك أخذ الله الميثاق عليهم، فنبوته عليهم ورسالته إليهم معنى حاصل له، وإنما أمره يتوقف على اجتماعهم معه، فتأخر ذلك الأمر راجع إلى وجودهم لا إلى عدم اتصافهم بما يقتضيه...»^(٧٣٩).

وعقد القاضي عياض الحافظ أيضاً بحثاً في الموضوع عنوانه: «السابع - في ما أخبر الله به في كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته على الأنبياء وخطورة رتبته» فذكر الآيات والأخبار وكلمات العلماء^(٧٤٠).

أقول:

(٧٣٩) الخصائص الكبرى ١ : ٤ - ٥.

(٧٤٠) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ١ : ١١١.

ولولا خوف الإطالة لأوردت كلمات القوم بكاملها، لأنها تحقيقات رشيقة متخذة من الأدلة القطعية، من الكتاب والسنة المتواترة عند الفريقين.

وتتلخص تلك الأدلة والأقوال في أفضلية نبينا صلى الله عليه وآله وسلم من سائر الأنبياء، وأنهم لو كانوا في زمانه كانوا من أمته، وذلك لأنه متقدم في الخلق عليهم، وقد أخذ ميثاق نبوته منهم، وإن كان متأخراً زماناً عنهم.

* وعلي خلقه الله مع النبي من نور واحد... كما في حديث النور المشهور^(٧٤١).

* وعلي خلقه الله مع النبي من شجرة واحدة... كما في حديث الشجرة، المشهور^(٧٤٢).

وعلي بعث الأنبياء على ولايته، كما بعثوا على نبوة النبي... كما في الحديث الصحيح المتقدم في قوله تعالى: (واسأل من أرسلنا...).

فظهر أنّ الحديث المذكور عن أئمة أهل البيت، وعن حذيفة، وعن أبي هريرة، في ذيل الآية المباركة، حديث متفق عليه بين الفريقين، معتبر بشواهد الجمّة، والشبهات المذكورة حوله مندفعة. وما اشتمل عليه كلام ابن تيمية ومن تبعه من السب والشتم، فنمرّ عليه مرّ الكرام... .

* * *

(٧٤١) من رواه: أحمد وأبو حاتم وابن مردويه وأبو نعيم وابن عبد البر والخطيب والرافعي وابن حجر العسقلاني. راجع: الجزء الخامس من كتابنا الكبير نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار.

(٧٤٢) من رواه: الحاكم والطبراني وأبو نعيم وابن عساكر والسيوطي والمثقي. راجع: الجزء الخامس من كتابنا الكبير نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار.

قوله تعالى: (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه)^(٧٤٣).

قال السيّد:

«وتلقى آدم من ربه كلمات التوسّل بهم فتاب عليه».

قال في الهامش:

أخرج ابن المغازلي الشافعي، عن ابن عباس، قال: سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه. قال صلى الله عليه وآله وسلم: سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين. فتاب عليه وغفر له... .

وهذا هو المأثور عندنا في تفسير الآية^(٧٤٤).

فقيّل:

الحديث المشار إليه من طريق محمد بن علي بن خلف العطار، عن حسين بن حسن الأشقر، عن عمرو بن ثابت.

وحسين الأشقر شيعي غال، ضعفه كل من البخاري وابن منده وأبو حاتم وأبو زرعة والعقيلي.

وقال الجوزجاني: غال من الشّتامين للخيرة.

وفي الكامل لابن عدي ١ : ٩٧ وليس كل ما يروى عنه من الحديث فيه الإنكار من قبله، وربما كان من قبل من يروي عنه، لأن جماعة من ضعفاء الكوفيين يحيلون بالروايات على حسين الأشقر، على أنّ حسيناً هذا في حديثه بعض ما فيه.

وفي لسان الميزان: أن ابن عدي ذكر في ترجمة حسين الأشقر حديثاً من طريقه وعن محمد بن علي المذكور ثم قال: عند محمد بن علي من هذا الضرب عجائب، وهو منكر الحديث، والبلاء فيه عندي منه لا من حسين.

(٧٤٣) سورة البقرة ٢ : ٣٧.

(٧٤٤) المراجعات: ٣١.

وفي اللسان، في ترجمة المظفر بن سهيل عن الدارقطني أنه قال في محمّد المذكور: مجهول.
والحديث عند ابن الجوزي من طريق الدارقطني.

أما عمرو بن ثابت، فقد قال عنه ابن المبارك: لا تحدّثوا عن عمرو ابن ثابت، فإنّه كان يسبّ السلف. وعن ابن معين: هو غير ثقة. وقال أبو داود: رافضي خبيث. وقال في موضع آخر: رجل سوء، لما^(٧٤٥) مات النبي صلى الله عليه وآله] وسلّم كفر الناس إلّا خمسة، وكذا ضعّفه: أبو زرعة وأبو حاتم والبخاري والنسائي وابن حبان وابن عدي والحاكم وغيرهم. وقال الساجي: مذموم وكان ينال من عثمان ويقدم عليّاً على الشيخين. وقال العجلي: شديد التشييع غال فيه واهي الحديث. وقال البزار: كان يتشييع ولم يترك. (عن التهذيب باختصار).

فتأمّل - رحمك الله - هذا الجريء على الله، المتفقول على كتابه، واحكم على استشهادهاته.»

أقول:

لقد أخرج الحاكم، والبيهقي، والطبراني، وأبو نعيم، وابن عساكر، والقاضي عياض، وغيرهم، بأسانيدهم المعتبرة، حديث توّسل آدم عليه السلام بنبيّنا صلى الله عليه وآله وسلّم:

* قال الحاكم: «حدّثنا أبو سعيد عمرو بن محمّد بن منصور العدل، ثنا أبو الحسن محمّد بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، ثنا أبو الحارث عبدالله بن مسلم الفهري، ثنا إسماعيل بن مسلمة، أنبأ عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جدّه، عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب، أسألك بحق محمّد لما غفرت لي. فقال الله: يا آدم! وكيف عرفت محمّداً ولم أخلقه؟ قال: يا رب! لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك، رفعت رأسي، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمّد رسول الله. فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلّا أحبّ الخلق إليك. فقال الله: صدقت يا آدم! إنّه لأحبّ الخلق إليّ، ادعني بحقه، فقد غفرت لك، ولولا محمّد ما خلقتك.

هذا حديث صحيح الإسناد، وهو أوّل حديث ذكرته لعبدالرحمن ابن زيد بن أسلم، في هذا

الكتاب»^(٧٤٦).

* وقال الطبراني: «حدّثنا محمّد بن داود بن أسلم الصديقي المصري، حدّثنا أحمد بن سعيد المدني الفهري، حدّثنا عبدالله بن إسماعيل المدني، عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه، عن جدّه، عن

(٧٤٥) كذا.

(٧٤٦) المستدرک على الصحيحين ٢ : ٦١٥.

ابن الخطّاب، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: لَمَّا أَذْنَبَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الذَّنْبَ الَّذِي أَذْنَبَهُ، رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى الْعَرْشِ فَقَالَ: أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ إِلَّا غَفَرْتَ لِي، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: وَمَا مُحَمَّدٌ؟ وَمِنْ مُحَمَّدٍ؟ فَقَالَ: تَبَارَكَ اسْمُكَ، لَمَّا خَلَقْتَنِي رَفَعْتَ رَأْسِي إِلَى عَرْشِكَ، فَإِذَا فِيهِ مَكْتُوبٌ لَا إِلَهَ إِلَّا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَعْظَمُ عِنْدَكَ قَدْرًا مِمَّنْ جَعَلْتَ اسْمَهُ مَعَ اسْمِكَ، فَأَوْحَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ: يَا آدَمُ! إِنَّهُ آخِرُ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ، وَإِنَّ أُمَّتَهُ آخِرُ الْأُمَمِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ»^(٧٤٧).

وقد استدلّ الحافظ السبكي بهذه الأحاديث على جواز التوسّل بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في كلّ حال، قبل خلقه وبعد خلقه في مدّة حياته في الدنيا وبعد موته، في مدّة البرزخ وبعد البعث في عرصات القيامة والجنّة... وقال بعد ذكر حديث الحاكم وغيره: «والحديث المذكور لم يقف ابن تيمية عليه بهذا الإسناد، ولا بلغه أنّ الحاكم صحّحه... وكيف يحلّ لمسلم أن يتجاسر على منع هذا الأمر العظيم الذي لا يرده عقل ولا شرع؟...»^(٧٤٨).

هذا، واسم أمير المؤمنين عليه السلام مقرون باسم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على العرش، فليس أحد أعظم عند الله قدرًا ممّن جعل اسمه مع اسمه كما قال آدم عليه السلام، والقوم يحاولون أن يكتسبوا هذه الفضيلة كغيرها من الفضائل، ولكنّ الله شاء أن تروى وتبقى:

* أخرج القاضي عياض عن أبي الحمراء عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: قال: «لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، إِذَا عَلَى الْعَرْشِ مَكْتُوبٌ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ أَيَّدْتَهُ بَعْلِي»^(٧٤٩).

* وأخرج ابن عدي وابن عساكر عن أنس قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا عَرَجَ بِي، رَأَيْتُ عَلَى سَاقِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا: لَا إِلَهَ إِلَّا مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ أَيَّدْتَهُ بَعْلِي»^(٧٥٠).

* وعقد الحافظ محبّ الدين الطبري: «ذكر اختصاصه بتأييد الله نبيّه به وكتبه ذلك على ساق العرش وعلى بعض الحيوان» فأخرج الحديث عن أبي الحمراء برواية المملأ في سيرته.

وأخرج عن ابن عباس: «كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ، إِذَا بَطَّائِرٌ فِي فِيهِ لَوْزَةٌ خَضْرَاءُ، فَأَلْقَاهَا فِي حَجَرِ النَّبِيِّ، فَقَبَلَهَا ثُمَّ كَسَرَهَا، فَإِذَا فِي جَوْفِهَا دَوْدَةُ خَضْرَاءُ مَكْتُوبٌ فِيهَا بِالْأَصْفَرِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ نَصَرْتَهُ بَعْلِي. خَرَجَهُ أَبُو الْخَيْرِ الْقَزْوِينِيُّ الْحَاكِمِيُّ»^(٧٥١).

(٧٤٧) المعجم الصغير ٢ : ٨٢.

(٧٤٨) شفاء الأَسْقَامِ فِي زِيَارَةِ خَيْرِ الْأَنْبَاءِ: ٢٩٤ - ٢٩٧.

(٧٤٩) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ١ : ٣٤٠.

(٧٥٠) الخصائص الكبرى ١ : ٧، الدر المنثور ٥ : ٢١٩.

(٧٥١) الرياض النضرة في مناقب العشرة ٣ : ١٣١.

فسواء صحَّ الحديث الذي أخرجه ابن المغازلي المحدث الفقيه الشافعي في الكلمات التي تلقاها آدم من ربِّه فتاب عليه، أو لم يصحَّ، ففي الأحاديث المذكورة كفاية، لمن طلب الحقَّ والهداية. وأما الحديث المذكور فهذا نصُّه بسنده: «أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الوهاب - إجازة - أخبرنا أبو أحمد عمر بن عبيد الله بن شوذب، حدَّثنا محمد بن عثمان قال: حدَّثني محمد بن سليمان بن الحارث، حدَّثنا محمد بن علي بن خلف العطار، حدَّثنا حسين الأشقر، حدَّثنا عمرو بن أبي المقدم، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن عباس، قال: سئل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربِّه فتاب عليه، قال: سأله بحقَّ محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلاّ تبت عليّ. فتاب عليه»^(٧٥٢).

فهذه رواية ابن المغازلي^(٧٥٣).

وقال شيخ الإسلام الحموي^(٧٥٤): «أخبرني الشيخ الصالح جمال الدين أحمد بن محمد بن محمد المعروف بمذكويه القزويني وغيره إجازة، بروايتهم عن الشيخ الإمام إمام الدين أبي القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي القزويني إجازةً، أنبأنا الشيخ العالم عبد القادر بن أبي صالح الجيلي، قال: أنبأنا أبو البركات هبة الله بن موسى الثقفي قال: أنبأنا القاضي أبو المظفر هناد بن إبراهيم النسفي قال: أنبأنا الحسن بن محمد بن موسى بتكرت - قال: أنبأنا

محمد بن فرحان، حدَّثنا محمد بن يزيد القاضي، حدَّثنا قتيبة، حدَّثنا الليث بن سعد، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى آدَمَ أَبَا الْبَشَرِ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، انْفَتَحَ آدَمُ يَمِينَةَ الْعَرْشِ، فِإِذَا فِي النُّورِ خَمْسَةَ أَشْبَاحٍ سَجْدًا وَرُكْعًا. قَالَ آدَمُ: يَا رَبِّ، هَلْ خَلَقْتَ أَحَدًا مِنْ طِينِ قَبْلِي؟ قَالَ: لَا يَا آدَمَ. قَالَ: فَمَنْ هَؤُلَاءِ الْخَمْسَةُ الْأَشْبَاحِ الَّذِينَ أَرَاهُمْ فِي هَيْئَتِي وَصُورَتِي؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ خَمْسَةٌ مِنْ وَلَدِكَ، لَوْلَاهُمْ مَا خَلَقْتُكَ، هَؤُلَاءِ خَمْسَةٌ شَقِقْتَ لَهُمْ خَمْسَةَ أَسْمَاءٍ مِنْ أَسْمَائِي، لَوْلَاهُمْ مَا خَلَقْتَ الْجَنَّةَ وَلَا النَّارَ وَلَا الْعَرْشَ وَلَا الْكُرْسِيَّ وَلَا السَّمَاءَ وَلَا الْأَرْضَ

(٧٥٢) مناقب علي بن أبي طالب: ٦٣ / ٨٩.

(٧٥٣) توجد ترجمته في: الأنساب - الجلاي، قال: «والمشهور بهذه النسبة: أبو الحسن علي بن محمد بن الطيب الجلاي، المعروف بابن المغازلي، من أهل واسط العراق - كان فاضلاً عارفاً برجال واسط وحديثهم، وكان حريصاً على سماع الحديث وطلبه، رأيت له ذيل التاريخ بواسط، وطالعه وانتخب منه... روى لنا عنه ابنه بواسط».

قلت:

وتاريخه المذكور اعتمده الأكابر ونقلوا عنه، كالذهبي في تذكرة الحفاظ، كما أن كتابه في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام اعتمده كبار الحفاظ، كالسمهودي في جواهر العقدين، وابن حجر المكي في الصواعق المحرقة.

(٧٥٤) توجد ترجمته في غير واحد من المصادر، من أهمها: المعجم المختص للحفاظ الذهبي، فقد ترجم له فيه لكونه من مشايخه في الحديث.

ولا الملائكة ولا الإنس ولا الجن، فأنا المحمود وهذا محمد، وأنا العالي وهذا علي، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا الإحسان وهذا الحسن، وأنا المحسن وهذا الحسين.

آليت بعزّي أنّه لا يأتيني أحد بمثقال حبة من خردل من بغض أحدهم إلّا أدخلته ناري ولا أبالي. يا آدم! هؤلاء صفوتي من خلقي، بهم أنجيهم وبهم أهلكهم، فإذا كان لك إليّ حاجة فبهؤلاء توسّل. فقال النبيّ: نحن سفينة النجاة، من تعلّق بها نجا من حاد عنها هلك، فمن كان له إلى الله حاجة فليسأل بنا أهل البيت»^(٧٥٥).

ورواه أبو الفتح النطنزي^(٧٥٦)، في كتاب الخصائص العلوية.

وقال الحافظ السيوطي: «وأخرج الديلمي في مسند الفردوس بسند واه عن علي، قال: سألت النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلّم عن قول الله: (فتلقّ آدم...) فذكر الحديث إلى قول الله عزّ وجلّ لآدم -: «فعليك بهؤلاء الكلمات فإنّ الله قابل توبتك وغافر ذنبك. قل: اللهمّ إني أسألك بحق محمد وآل محمد... فهؤلاء الكلمات التي تلقّى آدم».

قال السيوطي: «وأخرج ابن النجّار، عن ابن عبّاس، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم عن الكلمات التي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه. قال: سألت بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلّا تبت عليّ. فتاب عليه»^(٧٥٧).

أقول:

فهذا هو الحديث، وقد رواه من أئمة أهل السنّة: الرافعي، وابن النجّار، والديلمي، والنطنزي، والحمويّني، وابن المغازلي، والسيوطي، وغيرهم. وهو أيضاً في كتب أصحابنا بطرقهم، عن أئمة العترة الطاهرة. فهو حديث متّفق عليه بين الطائفتين. مضافاً، إلى أنه في كتب القوم بأسانيد متعدّدة، فيتقوى بعضها على فرض ضعفه بالبعض الآخر. وأمّا الكلام في خصوص سند الرواية عند ابن المغازلي:

(٧٥٥) فرائد السمطين ١ : ٣٦.

(٧٥٦) توجد ترجمته في: الأنساب - النطنزي، ونصّ على قراءته عليه واستفادته منه قال: «قدم علينا بمرو سنة إحدى وعشرين، وقرأت عليه طرفاً صالحاً من الأدب واستفدت منه واغترفت من بحره، ثم لقيته بهمدان، ثم قدم علينا بغداد غير مرة في مدّة مقامي بها، وما لقيته إلّا وكتبته عنه واقتبست منه... سمعت منه أخيراً بمرو الحديث».

(٧٥٧) الدر المنثور في التفسير المأثور ١ : ١٤٧.

فإن «محمد بن علي بن خلف العطار» قد ترجم له الحافظ الخطيب البغدادي وقال: «سمعت محمد بن منصور يقول: كان محمد بن علي بن خلف ثقة مأموناً حسن العقل»^(٧٥٨).

فقد ذكر توثيقه ولم يذكر جرحاً فيه أبداً.

وبما ذكرنا يندفع ما عن ابن عدي أنه قال فيه: «عنده عجائب» إن كان مثل هذا القول جرحاً. على أن ابن عدي إنما قال هذا عقيب حديث رواه وفيه: «أنّ عمار بن ياسر - رضي الله تعالى عنه - قال لأبي موسى الأشعري: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله [وآله] وسلّم يلعنك. فقال أبو موسى: إنه قد استغفر لي. قال عمار: قد شهدت اللعن ولم أشهد الإستغفار»!!^(٧٥٩) فكان من الطبيعي الطعن في مثل هذا.

ولكنه - مع ذلك - لم يطعن في «محمد بن علي العطار» إلا أن قال «عنده عجائب».

ويؤكّد ذلك أن ابن عدي لم يورد الرجل في كتابه (الكامل) وإنما قال هذا بترجمة «الأشقر»، وقد نبّه الحافظ ابن حجر على ذلك^(٧٦٠) أيضاً، مع أنه يدخل فيه من تكلم فيه بأدنى شيء كما قال الحافظ الذهبي^(٧٦١).

وأما «حسين بن حسن الأشقر» فهو من رجال سنن النسائي، وقد ذكروا بترجمة النسائي أن له في الصحيح شرطاً أشد من شرط البخاري ومسلم^(٧٦٢).

وكّل من تكلم فيه فإنما تكلم لأجل تشييعه، وقد تقرّر عندهم: أن الجرح المفسّر ليس بمانع من قبول الرواية^(٧٦٣)، هذا بصورة عامّة. وفي خصوص التشييع، فقد تقرّر عندهم أنه لا يضر بالوثاقة^(٧٦٤).

ومن هنا، فقد ذكر الحافظ ابن حجر عن ابن الجنيد: سمعت ابن معين ذكر الأشقر فقال: كان من الشيعة الغالية. قلت: فكيف حديثه؟ قال: لا بأس به. قلت: صدوق؟ قال: نعم، كتبت عنه^(٧٦٥).

(٧٥٨) تاريخ بغداد ٣ : ٥٧.

(٧٥٩) الكامل في الضعفاء ٣ : ٢٣٦.

(٧٦٠) لسان الميزان ٥ : ٢٨٩.

(٧٦١) سير أعلام النبلاء ١٦ : ١٥٥.

(٧٦٢) تذكرة الحفاظ - ترجمة النسائي.

(٧٦٣) انظر مثلاً: مقدمة فتح الباري: ٤٣٠.

(٧٦٤) مقدمة فتح الباري: ٣٨٢، ٣٩٨، ٤١٠.

(٧٦٥) تهذيب التهذيب ٢ : ٢٩٢.

ومن هنا نصّ الحافظ على أنه صدوق، مع ذكره أنه يغلو في التشيع^(٧٦٦).

وقد سبق وأن ترجمنا للأشقر في كتابنا، فليراجع.

وأما «عمرو بن ثابت أبي المقدم» فهو من رجال أبي داود وابن ماجه في التفسير، والكلام فيه كالكلام في سابقه، فعن ابن المبارك: «لا تحدّثوا عن عمرو بن ثابت فإنه كان يسب السلف» وعن أبي داود قال: «رافضي خبيث» وقال في موضع آخر: «رجل سوء قال: لمّا مات النبي كفر الناس إلّا خمسة. وجعل أبو داود يذمه ويقول: قد روى عنه سفیان وهو المشوم، ليس يشبه حديثه أحاديث الشيعة وجعل يقول ويعني: أن أحاديثه مستقيمة» وعنه أيضاً: «رافضي خبيث وكان رجل سوء ولكنه كان صدوقاً في الحديث» وعن البزار: «كان يتشيع ولم يترك».

فالرجل كان يشتم عثمان، وكان يقدم علياً على الشيخين^(٧٦٧).

إلّا أن ذلك لا يضرّ بوثاقته، ولذا نرى أنّ أبا داود يراه صدوقاً في الحديث ويروي عنه ومع ذلك

يقول: «كان رجل سوء» وكذا البزار يقول: «يتشيع» ثم يقول: «لم يترك»!!

وأبو حاتم وإن قال: «كان ردئ الرأي شديد التشيع» فقد نصّ على أنه «يكتب حديثه».

وتلخص:

أنّ استدلال السيّد رحمه الله بالآية المباركة والحديث الوارد في ذيلها صحيح، ولا يتطرق إليه أيّ إشكال. وأما السبب والشتائم فترجع على أهلها اللئام، ونحن نمرّ عليها مرّ الكرام.

* * *

(٧٦٦) تقريب التهذيب ١ : ١٧٥.

(٧٦٧) تهذيب التهذيب ٨ : ٩.

قوله تعالى: (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم)^(٧٦٨).

قال السيّد:

«وما كان الله ليعذبهم وهم أمان أهل الأرض ووسيلتهم إليه».

قال في الهامش:

راجع من الصواعق المحرقة لابن حجر تفسير قوله تعالى: (وما كان الله ليعذبهم) وهي الآية السابعة من آيات فضلهم التي أوردتها في الباب ١١ من ذلك الكتاب، تجد الاعتراف بما قلناه^(٧٦٩).

فقليل:

بالرجوع إلى الأحاديث التي اعتمدها لتفسير الآية الكريمة تبين أنها أحاديث هالكة وضعفة، حتى ابن حجر الهيتمي - وهو ليس من رجال هذا الشأن (أعني علم الحديث) - حكم عليها بالضعف، ولكن المؤلف أوهم ولبس على عاداته.

هذا، فضلاً عن أنّ أحداً من المفسرين الذين يعتد برأيهم لم يقل بمثل هذا القول. على أن سبب نزولها ما رواه البخاري عن أحمد ومحمد بن النضر، كلاهما عن عبدالله بن معاذ، عن أبيه، عن شعبة، عن عبدالحميد صاحب الزيادي، عن أنس بن مالك، قال هو أبو جهل بن هشام قال (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارةً من السماء أو أتنا بعذاب أليم) فنزلت (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) ابن كثير ٢ : ٣٠٤.

أقول:

لا يخفى أنّ السيد طاب ثراه بصدد الإشارة إلى آيات فضل أهل البيت عليهم السلام، بالنظر إلى الأحاديث الواردة في تفسيرها أو المناسبة لها، إستناداً إلى كتب القوم المعروفة المشهورة.

(٧٦٨) سورة الأنفال ٨ : ٣٣.

(٧٦٩) المراجعات: ٣١.

والمقصود هنا - جمعاً بين قوله تعالى: (وما كان الله ليعذبهم...) وبين قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أهل بيتي أمان لأمتي» - : أن من فضلهم عليهم السلام هو أن الله تعالى وعد الأمة المحمدية بعدم الزوال والضلال ما دام أهل البيت فيهم وكانت الأمة متبعة لهم... كما وعدهم بذلك ما داموا يستغفرون... .

فهم أمان للأمة، كما أن الاستغفار أمان... .

فليس المقصود بيان سبب نزول الآية، أو أن أحداً من المفسرين فسرها بأهل البيت. وعلى الجملة، فإن الجمع بين الآية والرواية يثبت فضيلة لأهل البيت عليهم السلام، لا توجد لغيرهم، فلذا كان علي وأولاده الطاهرون أفضل الناس - بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم - عند الله، وأقربهم إليه.

وهذا الحديث قد تقدمت الإشارة إليه بالاجمال في ذيل حديث السفينة، وهو مروى في كتب القوم المعتمدة بالفاظ عديدة، وله شواهد أخرى أيضاً، وكل ذلك من رواية أعلام الحديث وأئمة الحفاظ من المتقدمين والمتأخرين.

* * *

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة) (٧٧٠).

وقوله تعالى: (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته) (٧٧١).

وإلى هاتين الآيتين - أو إحداهما - أشار السيّد رحمه الله بقوله: «ووسيلتهم إليه».

قال الشيخ الطبرسي بتفسير آية الأولى: «روى سعد بن طريف، عن الأصبخ بن نباتة، عن علي عليه السلام قال: في الجنة لؤلؤتان إلى بطنان العرش، إحداهما بيضاء والأخرى صفراء، في كلّ واحدة منهما سبعون ألف غرفة، أبوابها وأكوابها من عرق واحد، فالبيضاء الوسيلة لمحمّد صلى الله عليه وآله - وأهل بيته، والصفراء لإبراهيم - عليه السلام - وأهل بيته» (٧٧٢).

ورواه الشيخ أبو إسحاق الثعلبي في تفسير الآية (٧٧٣).

وروى الحاكم الحسكاني في الآية الثانية قال:

«أخبرنا محمّد بن عبد الله بن أحمد، قال: أخبرنا محمّد بن أحمد ابن محمّد، قال: حدّثنا عبدالعزيز بن يحيى بن أحمد، قال: حدّثني أحمد بن عمّار، قال: حدّثنا الحماني، قال: حدّثنا علي بن مسهر، قال: حدّثنا علي بن بزيم، عن عكرمة، في قوله تعالى: (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) قال: هم النبيّ وعلي وفاطمة والحسن والحسين» (٧٧٤).

* * *

(٧٧٠) سورة المائدة ٥ : ٣٥.

(٧٧١) سورة الإسراء ١٧ : ٥٧.

(٧٧٢) مجمع البيان ٢ : ١٨٩.

(٧٧٣) الكشف والبيان في تفسير القرآن ٤ : ٥٩.

(٧٧٤) شواهد التنزيل ١ : ٣٤٢ / ٤٧٤.

قوله تعالى: (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله).

قال السيّد:

فهم الناس المحسودون الذين قال الله فيهم: (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) (٧٧٥).

فقال في الهامش:

كما اعترف به ابن حجر، حيث عدّ هذه الآية من الآيات النازلة فيهم، فكانت الآية السادسة من آياتهم التي أوردها في الباب ١١ من صواعقه. وأخرج ابن المغازلي الشافعي - كما في تفسير هذه الآية من الصواعق - عن الإمام الباقر أنّه قال: نحن الناس المحسودون والله. وفي الباب ٦٠ والباب ٦١ من غاية المرام ثلاثون حديثاً صحيحاً صريحاً بذلك (٧٧٦).

فقبل:

كلام المؤلّف في الحاشية يوهّم أنّ كلام ابن حجر وكلام ابن المغازلي الشافعي، دليلان يعضد أحدهما الآخر على أنّ هذه الآية في أهل البيت، بينما هما دليل واحد، فابن حجر ناقلاً عن ابن المغازلي الشافعي، كما هو مصرّح به في صواعقه ١٢٥، فضلاً عن أنّه دليل أوهى من بيت العنكبوت.

أقول:

لقد روى نزول الآية المباركة في أهل البيت عليهم السلام غير واحد من أعلام أهل السُّنة، قبل الفقيه ابن المغازلي الشافعي.

(٧٧٥) سورة النساء ٤ : ٥٤.

(٧٧٦) المراجعات: ٣١.

منهم: أبو عبدالله المرزباني: قال الحافظ ابن شهرآشوب السروي^(٧٧٧): «حدثني أبو الفتوح الرازي في روض الجنان بما ذكره أبو عبدالله المرزباني، بإسناده عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، في قوله: (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) نزلت في رسول الله وفي علي عليهما السلام»^(٧٧٨).

ومنهم: الحافظ الحسكاني، رواه بأسانيد له عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام^(٧٧٩). فهم يروونه بأسانيدهم عن ابن عباس، وعن أئمة أهل البيت عليهم السلام، كما يرويه أصحابنا الإمامية سواء.

ورواه الفقيه ابن المغازلي عن طريق الحافظ ابن عقدة، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال - في هذه الآية - : «نحن الناس»^(٧٨٠).

ورواه عنه ابن حجر المكي في الصواعق، وأبو بكر الحضرمي في رشفة الصادي، والقندوزي في ينابيعه، كما في الهامش.

وأرسله ابن أبي الحديد ارسال المسلم حيث قال: - في سياق جملة من مناقب الإمام عليه السلام - : «وجاء في تفسير قوله تعالى: (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) أنها انزلت في علي وما خص به من العلم»^(٧٨١).

هذا، والمقصود - كما أشرنا مراراً - إثبات أن هذه الفضائل والمناقب متفق عليها بين الفريقين، رواها كل فريق بأسانيد الخاصة ونقلها في كتبه المعروفة، لئلا يقال أنها قضايا تفرّد بها الإمامية فلا يجوز إلزام الغير بها ولا تكون حجة عليه.

هذا، وابن حجر المكي صاحب الصواعق المحرقة من أكابر علماء القوم المشهورين، توجد ترجمته في كثير من المصادر، ك النور السافر في أعيان القرن العاشر وغيره، ومنهم من أفرد ترجمته بالتأليف، وكتابه من الكتب المؤلفة ضد الإمامية - كما صرح به في ديباجته - ولذا أمكن لأصحابنا أن يستدلوا بما جاء فيه من المناقب والفضائل، غير أن أتباع ابن تيمية يكرهون الحافظ ابن حجر المكي، لكونه من أشد الناس على شيخهم، وفتياه بضلالتة معروفة موجودة.

* * *

(٧٧٧) من أعلام علماء الإمامية في القرن السادس، وتوجد ترجمته في كتاب بغية الوعاة للسيوطي، وكتاب الوافي بالوفيات للصفدي، والبلغة في طبقات علماء النحو واللغة للفيروزآبادي، وغيرها من كتب أهل السنة. توفي سنة ٥٨٨.

(٧٧٨) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٢٤٦.

(٧٧٩) شواهد التنزيل ١ : ١٤٣ - ١٤٤ / ١٩٥ و ١٩٧.

(٧٨٠) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٦٧ / ٣١٤.

(٧٨١) شرح نهج البلاغة ٧ : ٢٢٠.

قوله تعالى: (... والراسخون في العلم...)

قال السيّد:

وهم الراسخون في العلم، الَّذِينَ قال: (والراسخون في العلم يقولون آمنا به)^(٧٨٢).

فقال في الهامش:

أخرج ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب بسنده الصحيح، عن الإمام الصادق، قال: نحن قوم فرض الله عزّ وجلّ طاعتنا، ونحن الراسخون في العلم، ونحن المحسودون، قال الله تعالى: (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله).

وأخرجه الشيخ في التهذيب، بسنده الصحيح، عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً^(٧٨٣).

فقليل:

تخصيص الآيات وقصرها على بعض من تتناوله بمدلولها، من غير دليل صحيح يدل على ذلك، من التفسير المذموم الذي يجب أن ينأى المسلمون بالقرآن الكريم عنه، بل هو نوع من أنواع التحريف الذي وقع فيه أهل الكتاب، الذين نهينا أن نكون مثلهم أو نشابههم في أعمالهم.

أقول:

هذا التخصيص وغيره ممّا ورد به الخبر الصحيح، ليس تحريفاً ولا يشمله النهي، وعلماؤنا لا يرتكبون التحريف، ولا يشابهون أهل الكتاب في شيء من أباطيلهم. بل الذي وجدناه أن أُمَّة هذا القائل كثيراً ما يحاولون تخصيص الآيات الكريمة وقصرها على أشخاص معيّنين، من غير دليل صحيح يدلّ على ذلك، كقول غير واحد منهم في الآية: (وسيجنبها الأتقى) أنها

(٧٨٢) سورة آل عمران ٣ : ٧.

(٧٨٣) المراجعات: ٣١.

نزلت في أبي بكر^(٧٨٤) فشابهوا أهل التحريف في نوع من أنواعه، بل لقد وجدنا أكابر أممّتهم من الصحابة يقولون بتحريف القرآن الكريم، بمعنى نقصانه، الذي هو أقبح أنواع التحريف، ومن شاء فليرجع إلى مظانّ ذلك^(٧٨٥).

* * *

(٧٨٤) شرح المواقف في علم الكلام، شرح المقاصد للتفتازاني، وغيرهما، في مباحث الإمامة.
(٧٨٥) ولعلّ خير ما أُلّف في الموضوع كتاب: التحقيق في نفي التحريف عن القرآن الشريف، وهو مطبوع موجود في الأسواق.

قوله تعالى: (وعلى الأعراف رجال يعرفون...).

قال السيّد:

وهم رجال الأعراف الذين قال: (وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم)^(٧٨٦)

فقال في الهامش:

أخرج الثعلبي في معنى هذه الآية من تفسيره عن ابن عباس قال: الأعراف موضع عال من الصراط، عليه العباس وحمزة وعلي وجعفر ذو الجناحين، يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضهم بسواد الوجوه.

وأخرج الحاكم بسنده إلى علي قال: نقف يوم القيامة بين الجنة والنار، فمن نصرنا عرفناه بسيماها فأدخلناه الجنة، ومن أبغضنا عرفناه بسيماها. وعن سلمان الفارسي: سمعت رسول الله يقول: يا علي، إنك والأوصياء من ولدك على الأعراف... الحديث.

ويؤيده حديث أخرجه الدارقطني - كما في أواخر الفصل الثاني من الباب ٩ من الصواعق: إن علياً قال للستة الذين جعل عمر الأمر شورى بينهم، كلاماً طويلاً، من جملته: أنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله: يا علي! أنت قسيم الجنة والنار يوم القيامة، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال ابن حجر: معناه ما رواه عنتره، عن علي الرضا، أن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلّم قال له: يا علي أنت قسيم الجنة والنار، فيوم القيامة تقول للنار هذا لي وهذا لك.

قال ابن حجر: وروى ابن السماك: إن أبا بكر قال لعلي: سمعت رسول الله يقول: لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له علي الجواز^(٧٨٧).

(٧٨٦) سورة الأعراف ٧ : ٤٦.

(٧٨٧) المراجعات: ٣١ - ٣٢.

فَقِيلَ:

نقل ابن الجوزي في تفسيره تسعة أقوال في رجال الأعراف، وليس من هذه الأقوال قول واحد ينطبق على ما أراده المؤلف ومن على شاكلته، وهناك سبعة من هذه الأقوال لو رضينا بوصف أهل البيت بواحد منها لكان قدحاً بهم لا مدحاً، وهناك قولان هما مدح محض لرجال الأعراف وهما:
الرابع: إنهم قوم صالحون فقهاء علماء. قاله الحسن ومجاهد.
والسابع: إنهم أنبياء. حكاه ابن الأنباري.
ولا يخفى ما فيهما من بعد عما أراده المؤلف.

أَقُولُ:

نقل القرطبي بتفسير الآية جميع الأقوال، ومنها ما رواه الثعلبي فقال:
«وذكر الثعلبي بإسناده عن ابن عباس في قوله عزَّ وجلَّ: (وعلى الأعراف رجالٌ) قال: الأعراف موضع عال على الصراط، عليه العباس وحمزة وعلي بن أبي طالب وجعفر ذو الجناحين، رضي الله عنهم، يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضهم بسواد الوجوه»^(٧٨٨).

فكان على ابن الجوزي أيضاً أن ينقل هذا القول، ولكننا ما رأينا الخير منه إلا قليلاً جداً!!
على أنه أي بعد للقول الرابع من الأقوال التي نقلها ابن الجوزي عن ذلك؟
ثم إن تفسير الآية بما ذكر عن ابن عباس، قد حكاه عنه الضحَّاك، وقد أكثر ابن الجوزي من ذكر أقوال الضحَّاك في تفسيره.

هذا، وقد وردت الرواية بذلك من طرق القوم عن أمير المؤمنين عليه السلام، فقد ذكر الحاكم الحسكاني بإسناده أن ابن الكواء سأله عن الآية هذه فقال: «ويحك يا ابن الكواء، نحن نوقف يوم القيامة بين الجنة والنار، فمن ينصرنا عرفناه بسيماه فأدخلناه الجنة، ومن أبغضنا عرفناه بسيماه فأدخلناه النار»^(٧٨٩).

وأما الشواهد والمؤيِّدات لهذا التفسير فكثيرة، وقد أشار السيد إلى بعضها، كحديث «لا يجوز أحد الصَّراط...» وقد ذكرناه في بحوثنا السابقة.

* * *

(٧٨٨) الجامع لأحكام القرآن ٧ : ٢١٢.

(٧٨٩) شواهد التنزيل ١ : ١٩٨ / ٢٥٦.

قوله تعالى: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه...).

قال السيّد:

ورجال الصدق الذين قال: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً)^(٧٩٠).

فقال في الهامش:

ذكر ابن حجر في الفصل الخامس من الباب ٩ من صواعقه، حيث ذكر وفاة علي، أنه عليه السلام سئل - وهو على المنبر بالكوفة - عن قوله تعالى: (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) فقال: اللهم غفراً، هذه الآية نزلت فيّ وفي عمّي حمزة وفي ابن عمّي عبيدة بن الحارث بن المطلب... وأخرج الحاكم - كما في تفسيرها من مجمع البيان - عن عمرو بن ثابت عن أبي إسحاق عن علي عليه السلام قال: فينا نزلت...^(٧٩١).

فقبل:

قال البخاري ٦ / ٣٦١... قال أنس: كنا نظن أن هذه الآية نزلت فيه (أي في

أنس بن النضر) وفي أشباهه (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه...).

وهذا الحديث ذكره أيضاً في كتاب التفسير ١٠ / ١٣٦ مختصراً بسند آخر ينتهي إلى أنس، وقال الحافظ في الفتح ٦ / ٣٦١ وابن كثير في التفسير ٣ / ٤٧٥: وقد أخرجه مسلم والترمذي والنسائي من رواية ثابت عن أنس. وأخرجه أحمد في مسنده ٣ / ١٩٤ والطيالسي ٢ / ٢٢ وابن جرير ٢١ / ١٤٧ وأبو نعيم في الحلية ١ / ١٢١ وعبدالله بن المبارك في الجهاد ٦٨. أنظر الصحيح المسند من أسباب النزول للوادعي ١١٧.

أقول:

(٧٩٠) سورة الأحزاب ٣٣ : ٢٣.

(٧٩١) المراجعات: ٣١ - ٣٢.

لا خلاف في أنّ الآية المباركة نزلت بعد واقعة أحد، فقسّم الله سبحانه الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ورسوله على قسمين، فقال:

(فمنهم من قضى نحبه) والمراد - كما في بعض الروايات - هم الشهداء في أحد وعلى رأسهم سيدنا حمزة رضي الله تعالى عنه، وفيهم أنس بن النضر الأنصاري. أو حمزة الشهيد بأحد وعبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب الشهيد ببدر، كما في الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام وعن محمد بن اسحاق كما في تفسير البغوي^(٧٩٢). أو حمزة وجعفر، كما في الرواية عن ابن عباس^(٧٩٣).

(ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً) فقال أمير المؤمنين: «فأنا - والله - المنتظر وما بدلت تبديلاً» ذكره الحاكم الحسكاني بإسناده عن عمرو بن ثابت

عن أبي اسحاق، عن الإمام عليه السلام^(٧٩٤) وأرسله الحافظ الذهبي إرسال المسلم^(٧٩٥)، وعدّه غير واحد من الأعلام في مناقبه عليه السلام كالخوارزمي، وسبط ابن الجوزي، وابن الصبّاح المالكي، والشبلنجي المصري، والقندوزي الحنفي^(٧٩٦) ...

هذا، والمقصود: أنّ المراد بصادق العهد المنتظر في الآية المباركة هو علي عليه السلام، وكفى به تفضيلاً له على غيره... .

* * *

(٧٩٢) معالم التنزيل ٤ : ٤٥١.

(٧٩٣) شواهد التنزيل ٢ : ٢ / ٦٢٨.

(٧٩٤) شواهد التنزيل ٢ : ١ / ٦٢٧.

(٧٩٥) نقله عنه عبدالمملك العصامي بترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من كتابه سمط النجوم العوالي ٣ : ١٩، وأورده الشيخ المحمودي في هامش شواهد التنزيل.

(٧٩٦) المناقب للخوارزمي: ٢٧٩ / ٢٧٠، تذكرة الخواص: ٢٦، الفصول المهمة: ١٢٥، كفاية الطالب: ٢٤٩، ينابيع المودة ٢ : ٤٢١ / ١٦٢.

قوله تعالى: (... يَسْبِحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ...)^(٧٩٧).

قال السيّد:

ورجال التسييح الذين قال الله تعالى: (يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب في القلوب والأبصار). وبيوتهم هي التي ذكرها الله عز وجل فقال: (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه)^(٧٩٨).

فقال في الهامش:

عن تفسير مجاهد ويعقوب بن سفيان عن ابن عباس في قوله تعالى: (وإذا رأوا تجارةً أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً)^(٧٩٩) أن دحية الكلبي جاء يوم الجمعة من الشام بالميرة، فنزل عند أحجار الزيت، ثم ضرب بالطبول ليؤذن الناس بقدمه، فنفر الناس إليه وتركوا النبي قائماً يخطب على المنبر، إلاً علياً والحسن والحسين وفاطمة وسلمان وأبا ذر والمقداد. فقال النبي: لقد نظر الله إلى مسجدي يوم الجمعة، فلولا هؤلاء لأضرمت المدينة على أهلها ناراً وحصبوا بالحجارة

كقوم لوط. وأنزل الله فيمن بقي مع رسول الله في المسجد قوله تعالى: (يسبح له فيها...).

(وقال): أخرج الثعلبي في معنى الآية من تفسيره الكبير، بالإسناد إلى أنس بن مالك وبريد قال: قرأ رسول الله هذه الآية (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله، هذا البيت منها - وأشار إلى بيت علي وفاطمة - قال: نعم من أفاضلها. وفي الباب ١٢ من غاية المرام تسعة صحاح ينشق منها عمود الصباح^(٨٠٠).

ف قيل:

(٧٩٧) سورة النور ٢٤ : ٣٦ - ٣٧.

(٧٩٨) سورة النور ٢٤ : ٣٦ - ٣٧.

(٧٩٩) سورة الجمعة ٦٢ : ١١.

(٨٠٠) المراجعات: ٣٢ - ٣٣.

سبب نزول هذه الآية أن رسول الله كان يخطب يوم الجمعة، إذ أقبلت غير قد قدمت، فخرجوا إليها، حتى لم يبق معه إلا اثنا عشر رجلاً، فنزلت هذه الآية. أخرج ذلك البخاري ٤٩٣ / ٨ ومسلم ٥٩٠ / ٢ من حديث جابر بن عبد الله. وقال الحافظ أبو يعلى: حدّثنا زكريا بن يحيى، حدّثنا هشيم، عن حصين عن سالم بن أبي الجعد وأبي سفيان، عن جابر بن عبد الله قال: بينما النبي يخطب يوم الجمعة فقدمت غير إلى المدينة، فابتدراها أصحاب رسول الله حتى لم يبق مع رسول الله إلا اثنا عشر رجلاً. فقال رسول الله: والذي نفسي بيده لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادي ناراً. ونزلت هذه الآية: (وإذا رأوا تجارة أو لهواً).

وليس يصح ما ادّعاه المؤلّف، من أنه لم يبق في المسجد إلا علي والحسن والحسين وفاطمة وسلمان وأبو ذر والمقداد. وعلائم الوضع بادية على هذا الكلام لا تحتاج إلى علم غزير أو طول بحث، ولم يكن الحسن والحسين ممّن تجب عليهم الجمعة في حياة الرسول. وهؤلاء الشيعة من دأبهم أنهم يعمدون إلى حادثة مشهورة أو حديث معروف، فيحرفونه بالحذف والزيادة بشكل سافر مكشوف بعيد عن الكياسة والذوق، من أجل نصره حججهم ودعوايهم.

أقول:

ما كان من فرق بين نقل السيد ونقل هذا المفتري، في سبب نزول الآية المباركة، وقد جاء في كلا النقلين خروج الأصحاب من المسجد والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يخطب، وأنه لم يبق معه إلا عدّة قليلة، وأنّ النبي أخبر أن لو خرجت تلك العدّة أيضاً لجرى في المدينة كذا وكذا. لقد ذكرت أحاديث القوم الصحيحة عندهم أنه لم يبق إلا اثنا عشر، ولم يصرّح فيها بأسمائهم. وجاء الخبر الذي ذكره السيّد مصرّحاً بأسماء من بقي معه صلى الله عليه وآله وسلم. وهذا هو الفرق، وهذا ما لا يطيقه اتباع بني أمية!

والعجيب أنه يتهمون الإمامية بتحريف مثل هذا الخبر بزيادة الأسماء فيه، مع أنّهم المتهّمون بتحريفه، بعدم ذكر أسماء الاثني عشر الذين رووا أنّهم بقوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وبالله عليك! هل كانوا يكتمون الأسماء لو كان في الباقيين مع رسول الله واحد من أوليائهم في خبر صحيح، من أخبار القضيّة؟! من أخبار القضيّة؟! من أخبار القضيّة!؟

وأما الخبر في تفسير «البيوت» فقد أخرج السيوطي عن ابن مردويه عن أنس بن مالك وبريدة، قال: «قرأ رسول الله هذه الآية (في بيوت أذن الله أن ترفع) فقام إليه رجل فقال: أي بيوت هذه يا رسول الله؟

قال: بيوت الأنبياء. فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله، هذا البيت منها؟ لبيت علي وفاطمة. قال: نعم من أفاضلها»^(٨٠١).

وذكره الآلوسي بتفسير الآية فقال: «وهذا إن صح لا ينبغي العدول عنه»^(٨٠٢).

أقول:

ولو كان عنده دليل على عدم صحته لجا به!!
هذا، وقد علم أن روايته لا تنحصر بالثعلبي، مع أن في روايته الكفاية، في مقام الاحتجاج، لكونه من كبار مفسريهم السابقين.

* * *

(٨٠١) الدر المنثور في التفسير المأثور ٦ : ٢٠٣.

(٨٠٢) روح المعاني ١٨ : ١٧٤.

قوله تعالى: (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح...) (٨٠٣).

قال السيّد:

وقد جعل الله مشكاتهم في آية النور مثلاً لنوره (وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم).

فقال في الهامش:

إشارة إلى قوله تعالى: (مثل نور كمشكاة) الآية. فقد أخرج ابن المغازلي الشافعي في مناقبه بالإسناد... وهذا التأويل مستفيض عن أهل بيت التنزيل (٨٠٤).

ف قيل:

هذا نموذج للتفسير المذموم الذي تفسره الباطنية والإمامية للقرآن الكريم به، والقرآن الكريم أجل من أن يفسر بمثل هذه الترهات.

أقول:

إن هذا من الجري والتطبيق، ونظائره في تفاسير القوم أيضاً كثيرة جداً. ونحن نكتفي بهذه الإشارة لقوم يعلمون، ولكن المنافقين لا يفقهون. وابن المغازلي الشافعي روى هذا الخبر مسنداً، وهو عندهم علم من أعلام الفقه والحديث، لا مجال للطعن فيه.

* * *

(٨٠٣) سورة النور ٢٤ : ٣٥.

(٨٠٤) المراجعات: ٣٣.

قوله تعالى: (والسابقون السابقون أولئك المقربون).

قال السيّد:

وهم (السابقون السابقون أولئك المقربون)^(٨٠٥).

فقال في الهامش:

أخرج الديلمي كما في الحديث ٢٩ من الفصل الثاني من الباب ٩ من الصواعق المحرقة لابن حجر عن عائشة، والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: سبق ثلاثة، فالسابق إلموسى يوشع بن نون، والسابق إلى عيسى صاحب ياسين، والسابق إلى محمد علي بن أبي طالب. وأخرجه الموفق بن أحمد والفقهاء ابن المغازلي بالإسناد إلى ابن عباس^(٨٠٦).

ف قيل:

هذا الحديث الذي يفسر به قوله تعالى (والسابقون السابقون أولئك المقربون) الواقعة ١٠ - ١١، رواه الطبراني ٣ / ١١١ / ٢ عن الحسين بن أبي السري العسقلاني، نا حسين الأشقر، نا سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، مرفوعاً.

قال الألباني: وهذا سند ضعيف جداً إن لم يكن موضوعاً، فإن حسين الأشقر شيعي.

أقول:

هذه الآية من أدلة أصحابنا على إمامة أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام:

قال العلامة الحلي، في البراهين الدالة على إمامته من الكتاب العزيز:

(٨٠٥) سورة الواقعة ٥٦ : ١٠ - ١١.

(٨٠٦) المراجعات: ٣٣.

«البرهان السادس عشر: قوله تعالى: (والسابقون السابقون أولئك المقربون). روى أبو نعيم الحافظ، عن ابن عباس في هذه الآية: سابق هذه الأمة علي بن أبي طالب. وروى الفقيه ابن المغازلي الشافعي، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله تعالى: (والسابقون السابقون) قال: سبق يوشع بن نون إلى موسى عليه السلام، وسبق موسى إلى فرعون، وصاحب يس إلى عيسى عليه السلام، وسبق علي إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم^(٨٠٧).

وهذه الفضيلة لم تثبت لغيره من الصحابة.

فيكون أفضل.

فيكون هو الإمام».

وقال العلامة أيضاً: «الثالثة عشرة: قوله تعالى: (والسابقون السابقون أولئك المقربون). روى الجمهور عن ابن عباس قال: سابق هذه الأمة علي بن أبي طالب»^(٨٠٨).

من أشهر رواة الحديث

أقول: لقد أخرج الرواية بتفسير الآية المباركة جمع غفير من أكابر علماء أهل السنة، في التفسير

والحديث، نذكر منهم:

- ١ - أبو إسحاق السبيعي المتوفى سنة ١٢٧.
- ٢ - سفيان بن عيينة المتوفى سنة ١٩٨.
- ٣ - ابن أبي حاتم المتوفى سنة ٣٢٧.
- ٤ - أبو جعفر مطين، المتوفى سنة ٢٩٧.
- ٥ - أبو القاسم الطبراني، المتوفى سنة ٣٦٠.
- ٦ - أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، المتوفى سنة ٤٠٥.
- ٧ - أبو بكر بن مردويه الإصفهاني، المتوفى سنة ٤١٠.
- ٨ - أبو نعيم الإصفهاني، المتوفى ٤٣٠.
- ٩ - الحاكم الحسكاني، من أعلام القرن الخامس.
- ١٠ - ابن المغازلي الواسطي، المتوفى سنة ٤٨٣.
- ١١ - شيرويه بن شهردار الديلمي، المتوفى سنة ٥٠٩.

(٨٠٧) منهاج الكرامة في إثبات الإمامة: ١٥٤.

(٨٠٨) نهج الحق وكشف الصدق: ١٨١.

- ١٢ - الخطيب الخوارزمي، المتوفى سنة ٥٦٨.
- ١٣ - الفخر الرازي، المتوفى سنة ٦٠٦.
- ١٤ - سبط ابن الجوزي الحنفي، المتوفى سنة ٦٥٤.
- ١٥ - محب الدين الطبري، المتوفى سنة ٦٩٤.
- ١٦ - صدر الدين الحموي، المتوفى سنة ٧٢٢.
- ١٧ - ابن كثير الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤.
- ١٨ - نور الدين الهيتمي، المتوفى سنة ٨٠٧.
- ١٩ - جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١.
- ٢٠ - ابن حجر المكي، المتوفى سنة ٩٧٣.
- ٢١ - علي المتقي الهندي، المتوفى سنة ٩٧٥.
- ٢٢ - قاضي القضاة الشوكاني، المتوفى سنة ١٢٥٠.
- ٢٣ - شهاب الدين الآلوسي، المتوفى سنة ١٢٧٠.
- فهؤلاء من أشهر رواة هذا الحديث، من علماء الجمهور.
رووه عن ابن عباس وغيره من الصحابة.

من أسانيدہ في الكتب المعتمدة

وهذه نبذة من أسانيدهم في رواية هذا الحديث:

- * قال الحافظ ابن كثير: «وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس (والسابقون السابقون) قال: يوشع بن نون سبق إلى موسى، ومؤمن آل يس سبق إلى عيسى، وعلي بن أبي طالب سبق إلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- رواه ابن أبي حاتم، عن محمد بن هارون الفلاس، عن عبدالله بن إسماعيل المدائني البزاز، عن شعيب بن الضحاك المدائني، عن سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، به»^(٨٠٩).
- * وقال الحافظ الطبراني: «حدثنا الحسين بن إسحاق التستري، حدثنا الحسين بن أبي السري العسقلاني، حدثنا حسين الأشقر، حدثنا سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: السابق ثلاثة...»^(٨١٠).

(٨٠٩) تفسير القرآن العظيم ٧ : ٥١٦.

(٨١٠) المعجم الكبير، مسند عبدالله بن عباس ١١ : ٩٣ / ١١١٥٢.

* وقال الحافظ الحاكم الحسكاني: «أخبرنا أبو بكر الشيباني، حدثنا محمد بن عبدالرحيم حدثنا ابن عائشة.

وحدثني الحاكم أبو عبدالله الحافظ - من خط يده - حدثنا أحمد بن حمدويه البيهقي حدثنا أبو يحيى عبيدالله بن محمد بن حفص القرشي، حدثنا الحسين بن الحسن الفزاري الأشقر، عن سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس... .

أخبرنا محمد بن عبدالله بن أحمد الصوفي، حدثنا محمد بن أحمد بن محمد الحافظ، حدثنا عبدالعزيز بن يحيى بن أحمد، حدثنا إبراهيم بن فهد، حدثنا عبدالله بن محمد التستري، حدثنا سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس...»^(٨١١).

* وقال الحافظ ابن حجر - بترجمة الفيض بن وثيق - :

«عن أبي عوانة وغيره. قال ابن معين: كذاب خبيث. قلت: قد روى عنه أبو زرعة، وأبو حاتم، وهو مقارب الحال إن شاء الله تعالى. انتهى»^(٨١٢).

وقد ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه.

وأخرج له الحاكم في المستدرک محتجاً به.

وذكره ابن حبان في الثقات.

وقال العقيلي في ترجمة الحسين الأشقر: حدثنا الحسين بن إسحاق التستري، حدثنا الحسين بن أبي السري، حدثنا فيض بن وثيق، حدثنا سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد عن ابن عباس...»^(٨١٣).

* وقال الفقيه ابن المغازلي: «أخبرنا أحمد بن محمد بن عبدالوهاب - إجازةً - أخبرنا عمر بن عبدالله بن شوذب، حدثنا محمد بن أحمد بن منصور، حدثنا أحمد بن الحسين، حدثنا زكريا، حدثنا أبو صالح ابن الضحاك، حدثنا سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس...»^(٨١٤).

من أسانيد المعتمدة

ثم إن غير واحد من أسانيد هذا الخبر معتبر بلا كلام:

* فطريق الحافظ ابن أبي حاتم الرازي صحيح:

(٨١١) شواهد التنزيل ٢ : ٢١٣ - ٢١٤.

(٨١٢) أي كلام الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال.

(٨١٣) لسان الميزان ٤ : ٤٥٥.

(٨١٤) مناقب علي بن أبي طالب: ٣٢٠ / ٣٦٥.

«محمد بن هارون» الفلاس، المتوفى سنة ٢٦٥، وثقه ابن أبي حاتم، والحافظ الذهبي^(٨١٥).

و«عبدالله بن إسماعيل» ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه^(٨١٦)، وتابعه الخطيب في تاريخه^(٨١٧).

و«شعيب بن الضحّاك» أبو صالح، حدّث عن سفيان بن عيينة، وعنه

عبدالسلام بن صالح أبو الصلت الهروي، وعبدالله بن إسماعيل المدائني البرزّاز، ذكره ابن أبي حاتم عن أبيه ولم يجرحه^(٨١٨)، وكذا الخطيب^(٨١٩).

و«سفيان بن عيينة» الإمام الكبير، من رجال الصحاح الستّة، وفوائده كثيرة عندهم جدّاً^(٨٢٠).

و«عبدالله بن أبي نجيح» من رجال الصحاح الستّة^(٨٢١).

و«مجاهد» من رجال الصحاح الستّة أيضاً^(٨٢٢).

هذا، مضافاً إلى أن مثل ابن تيمية يشهد بأنّ تفسير ابن أبي حاتم من التفاسير المعتمدة، وأنه خال

عن الموضوعات^(٨٢٣).

* وطريق الحافظ ابن حجر صحيح كذلك.

فهو طريق الحافظ الطبراني نفسه، الذي لم يتكلّم فيه إلّا من جهة «الأشقر» وقد تابعه - وفي

الرواية عن «سفيان» - في طريق الحافظ ابن حجر «الفيض بن وثيق» الذي وثقه كبار الأئمّة، كالحاكم

وابن حبان، وروى عنه مثل أبي حاتم وأبي زرعة، وذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه، وقال الذهبي: هو

مقارب الحال.

* وطريق الحافظ الطبراني صحيح على التحقيق، وكذا كلّ طريق لم يتكلّم فيه إلّا من جهة «حسين

الأشقر»، قال الحافظ الهيثمي - بعد روايته عن الطبراني -: «وفيه حسين بن حسن الأشقر، وثقه

ابن حبان وضعّفه الجمهور،

وبقية رجاله حديثهم حسن أو صحيح»^(٨٢٤) وذلك لما تقدّم منّا - في ترجمة «الأشقر» - من أنّه صدوق

عند: أحمد، والنسائي، ويحيى بن معين، وابن حبان، وابن حجر العسقلاني، وغيرهم، وإنّما ذنبه الوحيد هو

(٨١٥) سير أعلام النبلاء ١٢ : ٣٢٧.

(٨١٦) الجرح والتعديل ٥ : ٤.

(٨١٧) تاريخ بغداد ٩ : ٤١٠.

(٨١٨) الجرح والتعديل ٤ : ٣٤٨.

(٨١٩) تاريخ بغداد ٩ : ٢٤٢.

(٨٢٠) أنظر مثلاً: سير أعلام النبلاء ٨ : ٤٥٤.

(٨٢١) تقريب التهذيب ١ : ٤٥٦.

(٨٢٢) تقريب التهذيب ٢ : ٢٢٨.

(٨٢٣) منهاج السنّة ٧ : ١٣.

(٨٢٤) مجمع الزوائد ٩ : ١٠٢.

التشييع، قال ابن حجر: «الحسين بن الحسن الأشقر الفزاري الكوفي، صدوق، يهيم، ويغلو في التشيع، من العاشر، مات سنة ٢٠٨»^(٨٢٥)، وقد تقرّر عندهم أنّ التشيع لا يضرّ بالوثاقة.

● مع ابن تيمية:

وإذا عرفنا رواية هذا الحديث، وصحّة غير واحد من طرقه في كتب القوم المعروفة المشهورة، فلا نعبأ بقول ابن تيمية في جواب العلّامة الحلّي: «إنّ هذا باطلٌ عن ابن عباس، ولو صحّ عنه لم يكن حجّة إذا خالفه من هو أقوى منه»^(٨٢٦).

فقد ظهر أنّ هذا الحديث صحيح، فهو حجّة، وبه يتمّ الاستدلال؛ لأنّ هذه الفضيلة لم تثبت لغير أمير المؤمنين عليه السلام من الصحابة، فيكون هو الإمام، ومن ادّعى مخالفة ما هو أقوى منه، فعليه البيان! وعلى فرض وجود المخالف، فهو ممّا تفرّد به الخصم، وهذا حديث صحيح متّفق عليه بين الطرفين، فكيف يكون المخالف المزعوم أقوى؟

● مع ابن روزبهان

وابن روزبهان في ردّه على العلّامة الحلّي، لم ينكر وجود الحديث في الباب، ولم يناقش في سنده، قال: «هذا الحديث جاء في رواية أهل السنّة، ولكن بهذه العبارة: سبّاق الأمم ثلاثة، مؤمن آل فرعون، وحبیب النجار، وعلي بن أبي طالب». قال: «ولا شك أنّ عليّاً سابق في الإسلام وصاحب السابقة والفضائل التي لا تخفى، ولكن لا تدلّ الآية على نصّ إمامته، وذلك المدّعى»^(٨٢٧).

أقول:

وهذا الكلام - كما ترى - اعتراف بما يذهب إليه الإماميّة، من دلالة الآية المباركة على الإمامة، لأنّ طريق إثبات إمامة أمير المؤمنين عليه السلام غير منحصر بالنصّ، بل الأفضلية أيضاً من أدلّة إثباتها، وقد ظهرت دلالة الآية على ذلك.

● مع شاه عبدالعزیز الدهلوي:

(٨٢٥) تقریب التهذیب ١ : ١٧٥.

(٨٢٦) منهاج السنّة ٧ : ١٥٤.

(٨٢٧) انظر: دلائل الصدق لنهج الحقّ ٢ : ١٥٦.

وهلمّ لننظر ما يقوله العالم الهندي، صاحب كتاب التحفة الاثنا عشرية في الجواب عن الاستدلال بالآية الشريفة على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام.

قال: «ومنها: (السابقون السابقون * أولئك المقربون):

قالت الشيعة: روي عن ابن عباس مرفوعاً أنه قال: السابقون ثلاثة، فالسابق إلى موسى يوشع بن نون، والسابق إلى عيسى صاحب ياسين، والسابق إلى محمد صلى الله عليه [وآله] وسلّم علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه.

ولا يخفى أنّ هذا أيضاً تمسك بالرواية لا بالآية.

ومدار إسناد هذه الرواية على أبي الحسن الأشقر وهو ضعيف بالإجماع، قال العقيلي: هو شيعي متروك الحديث.

ولا يبعد أن يكون هذا الحديث موضوعاً؛ إذ فيه من أمارات الوضع أنّ صاحب ياسين لم يكن أوّل من آمن بعيسى بل برسله كما يدلّ عليه نصّ الكتاب، وكلّ حديث يناقض مدلول الكتاب في الأخبار والقصاص فهو موضوع كما هو المقرّر عند المحدثين.

وأيضاً انحصار السبّاق في ثلاثة رجال غير معقول؛ فإنّ لكلّ نبيّ سابقاً بالإيمان به لا محالة.

وبعد اللتيا والتي، أية ضرورة أن يكون كلّ سابق صاحب الزعامة الكبرى وكلّ مقرب إماماً؟

وأيضاً، لو كانت هذه الرواية صحيحة لكانت مناقضة للآية صراحة، لأنّ الله تعالى قال في حقّ

السابقين: (ثلة من الأولين * وقليل من الآخرين)^(٨٢٨) والثلّة هو الجمع الكثير ولا يمكن أن يطلق على الاثنين جمع

كثير ولا على الواحد قليل أيضاً، فعلم أنّ المراد بالسبق من الآية عرني أو إضافي شامل للجماعة الكثيرة،

لا حقيقي بدليل الآية الأخرى: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار)^(٨٢٩)، والقرآن يفسّر بعضه بعضاً.

وأيضاً، ثبت بإجماع أهل السنّة والشيعة أنّ أوّل من آمن حقيقة خديجة رضي الله تعالى عنها، فلو كان

مجرد السابق بالإيمان موجباً لصحة الإمامة، لزم أن تكون سيّدتنا المذكورة حرّية بالإمامة، وهو باطل

بالإجماع. وإن قيل: إنّ

المانع كان متحقّقاً قبل وصول إمامته في خديجة وهو الأنوثة، قلنا: كذلك في الأمير، فقد كان المانع

متحقّقاً قبل وصول وقت إمامته، ولمّا ارتفع المانع صار إماماً بالفعل، وذلك المانع هو إمّا وجود الخلفاء

الثلاثة الذين كانوا أصلح في حقّ الرياسة بالنسبة إلى جنبه عند جمهور أهل السنّة، أو إبقاؤه بعد

الخلفاء الثلاثة وموتهم قبله عند التفضيلية فإنّهم قالوا: لو كان إماماً عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلّم

(٨٢٨) سورة الواقعة ٥٦ : ١٣ - ١٤.

(٨٢٩) سورة التوبة ٩ : ١٠٠.

لم ينل أحد من الخلفاء الإمامة وماتوا في عهده، وقد سبق في علم الله تعالى أن الخلفاء أربعة فلزم الترتيب على الموت»^(٨٣٠).

أقول:

ولا يخفى ما في هذا الكلام من أكاذيب وأباطيل:

أولاً: إن هذا تمسك بالآية بعد تفسير الرواية لها، وإلا فلا ذكر صريح في القرآن الكريم لا لاسم أمير المؤمنين عليه السلام ولا لاسم غيره، وإذا كان الاستدلال في مثل هذه المواضع بالرواية لا بالآية، فكيف يستدل القوم بمثل قوله تعالى: (وسيجنبها الأتقى * الذي يؤتي ماله يتزكى)^(٨٣١) باعتباره من أدلة الكتاب على إمامة أبي بكر بن أبي قحافة، كما ذكرنا قريباً؟ فبطل قوله: «إن هذا تمسك بالرواية لا بالآية».

وثانياً: قوله: «مدار إسناد هذه الرواية على أبي الحسن الأشقر...» يشتمل على كذبتين:

الأولى: أن مدار إسنادها على الأشقر؛ فقد عرفت عدم تفرّد الأشقر بهذه الرواية.

وقد سبقه في هذه الكذبة غيره، كابن كثير الدمشقي، فإنه قال: «حديث لا يثبت، لأن حسيناً هذا متروك وشيعي من الغلاة، وتفرّده بهذا مما يدل على ضعفه بالكلية»^(٨٣٢).

والثانية: دعواه الاجماع على ضعف الأشقر؛ فإنها دعوى كاذبة، لا تجدها عند أحد.

بل قد عرفت أن كبار الأئمة يوثقونه، وتكلم من تكلم فيه ليس إلا لتشيّعه، وإلا فلم يذكر له جرح أبداً.

وثالثاً: قوله: «ولا يبعد أن يكون هذا الحديث موضوعاً، إذ فيه من أمارات الوضع...».

وهذا ردّ على السنّة الثابتة، وتكذيب للحديث الصحيح، تعصّباً للباطل واتّباعاً للهوى:

أما أولاً: فلأنّ الإيمان برسلي عيسى إيماناً بعيسى وسبق إليه، وهذا ما يفهمه أدنى الناس من أهل اللسان! وهل من فرق بين الإيمان به والإيمان برسله؟! وكلّ أهل الإيمان بالله سبحانه وتعالى قد آمنوا برسله وصدّقوهم!

وأما ثانياً: فإنّ كلّ خبر خالف الكتاب بالتباين والتناقض، فإنّه مردود، سواء كان في القصص أو في

الأحكام، ولكن الاختلاف بين مدلول خبرنا ومدلول الكتاب، فضلاً عن أن يكون بينهما مناقضة.

(٨٣٠) التحفة الاثنا عشرية: ٢٠٧، وأنظر مختصر التحفة الاثني عشرية: ١٧٨ - ١٧٩.

(٨٣١) سورة الليل ٩٢: ١٧ - ١٨.

(٨٣٢) البداية والنهاية ١: ٢٣١.

وأما ثالثاً: فإنَّ محلَّ الاستدلال بالرواية هو الفقرة الأخيرة المتعلّقة بأمر المؤمنين عليه السلام، ولذا فقد جاءت الرواية في بعض ألفاظها خاليةً عن الفقرتين السابقتين.

ورابعاً: قوله: «وأيضاً، انحصار السبّاق في ثلاثة...».

ردّ للحديث الصحيح والنصّ الصريح بالاجتهاد، نظير تكذيب إمامه ابن تيميّة حديث المؤاخاة، حتّى ردّ عليه الحافظ ابن حجر العسقلاني^(٨٣٣).

وخامساً: قوله: «وبعد اللتيا والتي، أيّة ضرورة أن يكون كلّ سابق صاحب الزعامة الكبرى وكلّ مقرباً إماماً؟».

جهل أو تجاهل، فقد تقدّم منّا في كلام العلامة الحلي أنّ هذه فضيلة لم تثبت لغير أمير المؤمنين عليه السلام، فهو الأفضل، فيكون هو الإمام.

وسادساً: قوله: «وأيضاً لو كانت هذه الرواية صحيحة لكانت مناقضة للآية صراحة...».

فقد سبقه فيه ابن تيميّة إذ قال في الوجوه التي ذكرها بعد دعوى بطلان الحديث عن ابن عباس: «الثالث: إنّ الله يقول: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعدّ لهم جنّات تجري تحتها الأنهار)^(٨٣٤) وقال تعالى: (ثمّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله)^(٨٣٥) والسابقون الأولون هم الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، الذين هم أفضل ممّن أنفق من بعد الفتح وقاتل، ودخل فيهم أهل بيعة الرضوان، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة، فكيف يقال: إنّ سابق هذه الأمة واحد؟»^(٨٣٦).

أقول:

مقتضى الحديث الصحيح المتفق عليه أن سابق هذه الأمة واحد، وهو أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا لا ينافي سياق الآية المباركة، ولا الآيات الأخرى، كالأيتين المذكورتين، ونحن أيضاً نقول: بمقتضى الجمع بين قوله تعالى: (والسابقون الأولون من المهاجرين...) وقوله تعالى: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين)^(٨٣٧) أنّ كلّ من سبق غيره إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، وبقي من بعده على ما عاهد الله عليه ورسوله، ولم ينقلب على عقبيه، فله أجره عند الله وقربه منه، ونحن نحترمه ونقتدي به.

(٨٣٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٧ : ٢١٧.

(٨٣٤) سورة التوبة ٩ : ١٠٠.

(٨٣٥) سورة التوبة ٩ : ١٠٠.

(٨٣٦) منهاج السنّة ٧ : ١٥٤ - ١٥٥.

(٨٣٧) سورة آل عمران: ٣ : ١٤٤.

وسابغاً: قوله: «وأيضاً ثبت بإجماع أهل السُّنة والشيعة أنَّ أوَّل من آمن حقيقةً خديجة...».

أقول:

وهذا كذب، فلا إجماع من أهل السُّنة والشيعة أنَّ أوَّل من آمن خديجة، بل عندنا أن أمير المؤمنين عليه السلام سابق عليها، وكيف كان، فقد ثبت في الصحيح عندهم أن أبا بكر إنما أسلم بعد خمسين رجلاً، وهل آمن حقيقةً؟ وتفصيل الكلام في محله.

وثامناً: قوله: «كذلك في الأمير، فقد كان المانع متحققاً قبل وصول وقت إمامته...».

أقول:

قد عرفت وجه الاستدلال بالآية المباركة على ضوء الحديث الصحيح المتفق عليه، وهذا الكلام لا علاقة له بالاستدلال أصلاً.

على أنَّ كون وجود الخلفاء الثلاثة مانعاً عن خلافة أمير المؤمنين عليه السلام دعوى عريضة لا دليل عليها، لا من الكتاب ولا من السُّنة المقبولة ولا من العقل السليم. ودعوى كونهم أصلح في حقِّ الرئاسة هي أوَّل الكلام، فإنَّ هذه الأصلحية يجب أن تنتهي إلى الأدلة المعتمدة من النقل والعقل، وليس، بل هي لدى التحقيق دالة على العكس.

* * *

آية الصديقون

قوله تعالى: (والَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ...) (٨٣٨).

قال السيّد:

وهم الصديقون والشهداء والصالحون.

قال في الهامش:

أخرج ابن النجار - كما في الحديث ٣٠ مما أشرنا إليه من الصواعق - عن ابن عباس، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الصديقون ثلاثة: حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبیب النجار صاحب ياسين، وعلي بن أبي طالب.

وأخرج أبو نعیم وابن عساکر - كما في الحديث ٣١ ممّا أشرنا إليه من الصواعق - عن ابن أبي ليلى: إن رسول الله قال: الصديقون ثلاثة: حبیب النجار مؤمن آل ياسين قال (يا قوم اتبعوا المرسلين) وحزقيل مؤمن آل فرعون قال: (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) وعلي بن أبي طالب، وهو أفضلهم. والصّاح في سبقه وكونه الصديق الأكبر والفاروق الأعظم، متواترة^(٨٣٩).

فقیل:

الحديث المذكور في الحاشية موضوع، أخرجه السيوطي في الجامع الصغير من رواية أبي نعیم في المعرفة، وابن عساکر عن ابن أبي يعلى (والصواب: أبي ليلى) ولم يتكلم شارحه المناوي بشيء غير أنه قال: رواه ابن مردويه والديلمي.

لكن قال شيخ الإسلام ابن تيمية: هذا حديث كذب.

وأقره الذهبي في مختصر المنهاج (٣٠٩).

وكفى بهما حجة.

(٨٣٨) سورة الحديد ٥٧ : ١٩.

(٨٣٩) المراجعات : ٣٣.

ولمّا عزاه ابن المطهّر الشيعي لرواية أحمد، أنكره عليه شيخ الإسلام في ردّه عليه فقال: لم يروه أحمد، لا في المسند ولا في الفضائل، ولا رواه أبداً، وإنّما زاده القطيعي عن الكديمي: حدّثنا الحسن بن محمّد الأنصاري، حدّثنا عمرو بن جميع^(٨٤٠)، حدّثنا ابن أبي ليلى، عن أخيه، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه، مرفوعاً.

فعمرو هذا قال فيه ابن عدي الحافظ: يتّهم بالوضع.

والكديمي معروف بالكذب.

فسقط الحديث.

ثم قد ثبت في الصحيح تسمية غير علي صديقاً، ففي الصحيحين: إنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم صعد أحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: أثبت أحد، فما عليك إلّا النبي وصديق وشهيدان.

وأقرّه الذهبي في مختصره (٤٥٢ - ٤٥٣).

(سلسلة الأحاديث الضعيفة ١ : ٣٥٨).

وليس العجب من عبدالحسن الشيعي في إيراد هذا الحديث، بل العجب كلّ العجب من ابن حجر الهيتمي، في سوجه هذا الحديث وأمثاله في فضائل علي، من صواعقه، وقوله قبل سردها: واقتصرت هنا على ذكر أربعين حديثاً لأنّها من غرر فضائله. (الصواعق - ١٢١).

وقول المؤلف: والصّاح في سبقه وكونه الصديق الأكبر والفاروق الأعظم متواترات، مجازفة منه كعادته.

والكلمة الحق في هذا الصدد هي قول شيخ الإسلام ابن تيمية: والناس قد رووا أحاديث مكذوبة في فضل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية وغيرهم، لكن المكذوب في فضل علي أكثر، لأنّ الشيعة أجزأ على الكذب من النواصب.

وقال أبو الفرج بن الجوزي: فضائل علي الصحيحة كثيرة، غير أنّ الرافضة لم تقنع، فوضعت له ما يضع لا ما يرفع، وحوشيت حاشيته من الاجتياح للباطل. (قال) واعلم أنّ الرافضة على ثلاثة أصناف:

١ - صنف منهم سمعوا أشياء من الحديث، فوضعوا أحاديث وزادوا ونقصوا.

٢ - وصنف لم يسمعوا، فتراهم يكذبون على جعفر الصادق ويقولون: قال جعفر وقال فلان.

٣ - وصنف ثالث عوام جهلة، يقولون ما يريدون ممّا يسوغ في العقل وما لا يسوغ. (منهاج

السنة ٤ / ١١٩).

(٨٤٠) كذا، والصحيح : جميع.

أقول:

هذا تمام كلام المتقول على السيّد في هذا المقام، وسننّبّه على ما فيه، بعد الفراغ عن الردّ على ما ذكره أمّته... .

فاعلم: أنّه قد استدلّ العلامة الحليّ، الحسن بن المطهر، بقوله تعالى: (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) وجعله «البرهان السادس والعشرون» من براهين الكتاب على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، وقال في ذيل الآية ما نصّه:

«روى أحمد بن حنبل بإسناده عن ابن أبي ليلى عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: الصديقون ثلاثة: حبيب بن موسى النجّار مؤمن آل ياسين الذين قال: (يا قوم اتبعوا المرسلين) وحزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال: (اتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) وعلي بن أبي طالب الثالث وهو أفضلهم. ونحوه رواه ابن المغازلي الفقيه الشافعي، وصاحب كتاب الفردوس.

وهذه فضيلة تدلّ على إمامته»^(٨٤١).

وأورد الحديث فيما استدلّ به من السنّة على إمامته عليه السلام، قائلاً: «وعن ابن أبي ليلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: الصديقون ثلاثة: حبيب النجّار مؤمن آل ياسين وحزقيل مؤمن آل فرعون وعلي بن أبي طالب وهو أفضلهم»^(٨٤٢).
فهنا مطالب:

المطلب الأوّل: في رواية الحديث المذكور من أمة أهل السنّة وحفّاظهم، فإنّ من يراجع كتبهم المشهورة يجد الجَمّ الغفير منهم يروونه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، ومنهم:

١ - أحمد بن حنبل، المتوفى سنة ٢٤١ كما في (فضائل الصحابة) له ٢ : ٦٢٧، ٦٥٥، ورواه غير واحد عن كتاب (المناقب) له، كالمحبّ الطبري في الرياض النضرة.

٢ - محمّد بن إسماعيل البخاري، صاحب الصحيح المتوفى سنة ٢٥٦، رواه في التاريخ الكبير كما في الدر المنثور ٧ : ٥٣.

٣ - أبو داود السجستاني، صاحب الصحيح المتوفى سنة ٢٧٥ كما في الدر المنثور.

٤ - محمّد بن سليمان الحضرمي المعروف بالمطّين، المتوفى سنة ٢٩٧، كما في شواهد التنزيل.

٥ - أبو القاسم الطبراني، المتوفى سنة ٣٦٠، كما في الدر المنثور.

(٨٤١) منهاج الكرامة : ١٦٢ - ١٦٣.

(٨٤٢) منهاج الكرامة : ١٠٥.

- ٦ - أبو أحمد عبدالله بن عدي الجرجاني، المتوفى سنة ٣٦٥، كما في الدر المنثور.
- ٧ - أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، المتوفى سنة ٣٨٥، في كتابه المؤلف والمختلف ٢ : ٧٧٠.
- ٨ - أبو بكر ابن مردويه الإصبهاني، المتوفى سنة ٤١٠، كما في الدر المنثور.
- ٩ - أبو نعيم الإصبهاني، المتوفى سنة ٤١٠، كما في الدر المنثور.
- ١٠ - أبو بكر الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣، في تاريخ بغداد ١٤ : ١٥٥.
- ١١ - ابن المغازلي الواسطي الشافعي، المتوفى سنة ٤٨٣، في كتابه مناقب علي بن أبي طالب.
- ١٢ - الحاكم الحسكاني، المتوفى بعد سنة ٤٩٠، في شواهد التنزيل.
- ١٣ - شيرويه بن شهردار الديلمي، صاحب فردوس الأخبار المتوفى سنة ٥٠٩، كما في الدر المنثور وغيره.
- ١٤ - الموفق بن أحمد المعروف بالخطيب الخوارزمي، المتوفى سنة ٥٦٨، في كتاب مناقب علي بن أبي طالب.
- ١٥ - أبو القاسم ابن عساكر الدمشقي، المتوفى سنة ٥٧١، كما في تاريخ دمشق.
- ١٦ - الفخر الرازي، المتوفى سنة ٦٠٦، أرسله في تفسيره ٢٧ : ٥٧ ارسال المسلمات.
- ١٧ - ابن النجار البغدادي، المتوفى سنة ٦٤٣، كما في الدر المنثور.
- ١٨ - محب الدين الطبري الشافعي، المتوفى سنة ٦٩٤، رواه في الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشرة ٣ : ١٠٤. وذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى ١٠٨.
- ١٩ - جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١، رواه في الدر المنثور في التفسير المأثور ٧ : ٥٣.
- ٢٠ - ابن حجر المكي، المتوفى سنة ٩٧٣، في الصواعق المحرقة.
- ٢١ - الشيخ علي المتقي الهندي، المتوفى سنة ٩٧٥، صاحب كنز العمال. و منتخب كنز العمال.
- ٢٢ - المناوي المتوفى سنة ١٠٣١ صاحب فيض القدير في شرح الجامع الصغير رواه في كتابه المذكور ٤ : ٢٣٧ - ٢٣٨.

المطلب الثاني: في مواضع ذكر هذا الحديث وألفاظه، فقد أوردوه تارةً بتفسير الآية: (واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية...) (٨٤٣) وأخرى بتفسير الآية: (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه...) (٨٤٤) وثالثة بتفسير الآية: (والذين آمنوا بالله ورسوله...) (٨٤٥).

(٨٤٣) سورة يس ٣٦ : ١٣، أنظر: الدر المنثور في التفسير المأثور ٧ : ٥٢.

(٨٤٤) سورة يس ٣٦ : ١٣، أنظر: الدر المنثور في التفسير المأثور ٧ : ٥٢.

(٨٤٥) سورة يس ٣٦ : ١٣، أنظر: الدر المنثور في التفسير المأثور ٧ : ٥٢.

وهو في لفظ: «الصدّيقون ثلاثة: حبيب النجّار مؤمن آل يس الذي قال: (يا قوم اتبعوا المرسلين) وحزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) وعلي بن أبي طالب. وهو أفضلهم».

رواه أبو نعيم في المعرفة وابن عساكر، عن ابن أبي ليلى^(٨٤٦).

وفي لفظ: «عن أبي الزبير، عن جابر، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ثلاثة ما كفروا بالله قط: مؤمن آل ياسين وعلي بن أبي طالب، وآسية امرأة فرعون»^(٨٤٧).

وقد أورد الحافظ السيوطي في الدر المنثور اللفظين المذكورين عن عدّة من المصادر، بتفسير الآية من سورة يس، و أورد قبلهما عن الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«السَّبَقُ ثلاثة: فالسابق إلى موسى يوشع بن نون، والسابق إلى عيسصاحب يس، والسابق إلى محمّد علي بن أبي طالب»^(٨٤٨) ممّا يدلّ على اتّحاد مضمون الحديث وإنّ اختلفت ألفاظه، مضافاً إلى أن «الحديث يفسّر بعضه بعضاً».

وعلى هذا، فإنّ لقب «الصدّيق» يختصّ بسيدنا «علي» عليه الصلاة والسلام، لأنّه الذي «لم يكفر بالله قط» ولأنّه «السابق إلى رسول الله».

وأما «ابوبكر» فقد قضى أكثر عمره في «الكفر» وأسلم بعد «خمسين» رجل كما في الخبر الصحيح^(٨٤٩) فلا يجوز أن يلقّب بلقب «الصدّيق».

وفي بعض المصادر جمع بين عنواني «السبق» و«لم يكفروا بالله طرفة عين» فقد حكى الحلبي عن (الإمتاع): «وأما علي بن أبي طالب، فلم يكن مشركاً بالله أبداً، لأنّه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في كفاله كأحد أولاده، يتبعه في جميع أموره، فلم يحتج أن يدعى للإسلام فيقال أسلم» ثم قال الحلبي: «ثم رأيت في الحديث ما يدلّ لما في الإمتاع وهو: ثلاثة ما كفروا بالله قط: مؤمن آل ياسين وعلي بن أبي طالب وآسية امرأة فرعون.

والذي في العرائس: روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: سبّاق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين: حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجّار صاحب يس وعلي بن أبي طالب، رضي الله تعالى عنهم، وهو أفضلهم»^(٨٥٠).

(٨٤٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٤ : ٢٣٨.

(٨٤٧) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٣١٣.

(٨٤٨) الدر المنثور في التفسير المأثور ٧ : ٥٢.

(٨٤٩) تاريخ الطبري ٢ : ٣١٦.

(٨٥٠) السيرة الحلبية ١ : ٢٦٩ - ٢٧٠.

ومن هنا يظهر: إنَّ كلَّ كلام جاء فيه وصف أبي بكر بـ «الصدِّيق» فهو ليس من كلام رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم، وإنَّ نسب إليه في كتبهم ولو بسند صحيح عندهم، كما هو الحال في وصف عمر بـ «الفاروق» فإنَّه ليس من رسول الله، بل لقد نصَّ بعضهم على أن «اليهود» هم الذين لقَّبوه بهذا اللُّقب!

المطلب الثالث: في اعتبار هذا الحديث سنداً، فقد أرسله بعضهم كالفخر الرازي إرسال المسلَّم، ووضع الحافظ السيوطي علامة «ح» على أحد لفظيه إشارةً إلى حسنه، وهو ظاهر العلامة المناوي أيضاً، وجعله الحافظ ابن حجر المكي من غرر مناقب علي عليه السلام.

أقول:

ومن أسانيده في الكتب المعتمدة: رواية الحافظ الدارقطني، وهذا نصُّ كلامه: «وأما خربيل، فهو مؤمن آل ياسين، ذكره في حديث ابن أبي ليلى عن أبيه عن النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: الصَّدِّيقون ثلاث: حبيب بن مري النجَّار مؤمن آل فرعون، وخربيل مؤمن آل ياسين، والثالث علي بن أبي طالب عليه السلام وهو أفضلهم. حدَّثنا بذلك محمَّد بن القاسم بن بشار الأنباري وآخرون قالوا: حدَّثنا محمَّد بن يونس الكديمي، حدَّثنا عبدالرحمن بن أبي ليلى، حدَّثنا عمرو بن جميع، عن ابن أبي ليلى عن أخيه عيسى عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن أبيه عن النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم بذلك»^(٨٥١). وهذا السند لا كلام في رجاله إلَّا في «الكديمي» و«عمرو بن جميع». أمَّا «محمد بن يونس الكديمي» فقد ذكروا أنَّه من رجال صحيح أبي داود، وترجم له الخطيب ترجمة مطوَّلة فقال: «كان حافظاً كثير الحديث، سافر وسمع بالحجاز واليمن، ثم انتقل إلى بغداد فسكنها وحدَّث بها، فروى عنه من أهلها...» فذكر جمعاً كثيراً من الأكابر. وروى بإسناده عن عبدالله بن أحمد قال: سمعت أبي يقول: كان محمَّد بن يونس الكديمي حسن الحديث، حسن المعرفة، ما وجد عليه إلَّا صحبته لسليمان الشاذكوني. وروى أيضاً عن ابن خزيمة أنَّه قال: كتبت عنه بالبصرة في حياة أبي موسى وبندار. وعن أبي الأحوص محمَّد بن الهيثم أنَّه سئل عن الكديمي فقال: تسألوني عنه؟ هو أكبر مني وأكثر علماً، ما علمت إلَّا خيراً.

(٨٥١) المؤتلف والمختلف ٢ : ٧٧٠.

وعن عبدان الأهوازي أنه سئل عنه فقال: رجل معروف بالطلب والسماع الكثير، فاتني عن محمد بن معمر بعض التفسير فسمعتة من الكديمي.

وعن جعفر الطيالسي: الكديمي ثقة ولكن أهل البصرة يحدثون بكل ما يسمعون.

وعن الخطيبي: كان ثقة.

وأورد الخطيب كلمات في الطعن عليه بل رمية بالكذب، إلا أنه قال ما نصّه: «قلت: لم يزل الكديمي معروفاً عند أهل العلم بالحفظ مشهوراً بالطلب، مقدماً في الحديث، حتى أكثر من روايات الغرائب والمناكير، فتوقّف إذ ذاك بعض الناس عنه ولم ينشطوا للسماع منه».

أقول:

هذه خلاصة كلماتهم في الرجل، لكنّ السبب في قبح الرجل: صحبته لسليمان الشاذكوني، كما عن أحمد بن حنبل، أو تحديثه بكل ما سمع كما عن الطيالسي، أو إكثاره من الغرائب والمناكير كما قال الخطيب. ولذا أورده الذهبي في ميزانه وجعل من مناكيره: إن رسول الله قال لعلي: سلام عليك يا ريحانتي، أوصيك بريحانتي من الدنيا خيراً، فعن قليل يهدّ ركنك، فلما قبض النبي صلى الله عليه وسلم قال: هذا أحد الركنين، فلما ماتت فاطمة عليها السلام قال: هذا الركن الآخر.

لكن الحافظ ابن حجر لم يذكره في (لسانه) لكونه من رجال أبي داود، وقد قرّر أن لا يدخل في هذا الكتاب من أخرج له في الصحاح الستة^(٨٥٢).

والإنصاف بالنظر إلى ما تقدّم: إن الرجل ثقة.

ثم إنهم قد رووا الحديث من غير طريق الكديمي، كما ستعلم.

ومن أسانيد: الروايتان في كتاب فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل:

«حدّثنا محمد قال: حدّثنا الحسن بن عبدالرحمن الأنصاري قال: حدّثنا عمرو بن جميع، عن ابن أبي ليلى، عن أخيه عيسى، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الصديقون ثلاثة حبيب بنموسى النجار مؤمن آل يس، وخرتيل مؤمن آل فرعون، وعلي بن أبي طالب وهو أفضلهم»^(٨٥٣).

قال محقّقه: «موضوع لأجل عمرو بن جميع».

(٨٥٢) راجع: تاريخ الخطيب ٣: ٤٣٥، سير أعلام النبلاء ١٣: ٣٠٢، تهذيب التهذيب ٩: ٤٧٥، ميزان الاعتدال ٤: ٧٤.

(٨٥٣) فضائل الصحابة ٢: ٦٢٧ رقم ١٠٧٢.

«وفيما كتب إلينا عبدالله بن غنم الكوفي، يذكر أنّ الحسن بن عبدالرحمن ابن أبي ليلى المكفوف حدّثهم قال: أنا عمرو بن جميع البصري، عن محمّد بن أبي ليلى عن عيسى بن عبدالرحمن، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه أبي ليلى قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الصديقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل يس الذي قال (يا قوم اتبعوا المرسلين) وحزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) وعلي بن أبي طالب الثالث وهو أفضلهم»^(٨٥٤).

قال محققه: «موضوع. والمتهم به: عمرو بن جميع».

لكن قد عرفت تحسين الحافظ السيوطي - وموافقة المناوي له - رواية أبي نعيم وابن عساكر،

وهذا هو السند:

«أنبأنا أبو سعد المطرز وأبو علي الحسن بن أحمد قالوا: أنبأنا أبو نعيم الحافظ، أنبأنا إبراهيم بن أحمد بن أبي حصين، أنبأنا عبيد بن غنم، أنبأنا الحسن بن عبدالرحمن، أنبأنا عمرو بن جميع، عن ابن أبي ليلى، عن أخيه عيسى، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الصديقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل ياسين وحزيب مؤمن آل فرعون وعلي ابن أبي طالب وهو أفضلهم»^(٨٥٥).

ولو كان موضوعاً لما اتفق هذا الجم الغفير من الأكابر على روايته، وهو في فضل علي عليه السلام،

وبلا تنبيه على أنّه موضوع... .

ولما فسروا به آيات القرآن الكريم... .

ولما اعتمده مثل الدارقطني في تعيين اسم مؤمن آل فرعون المختلف في اسمه... .

ولما اضطرّ بعضهم إلى تحريفه بوضع اسم «أبي بكر» موضع اسم علي^(٨٥٦)!!!

وكيف؟ وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا الصديق الأكبر، آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر،

وأسلمت قبل أن يسلم»^(٨٥٧).

وقال في حديث: «اللهم لا أعرف عبداً من هذه الأمة عبدك قبلي غير نبيك ثلاث مرّات - لقد

صليت قبل أن يصلي الناس سبعا».

قال الحافظ الهيثمي: «رواه أحمد وأبو يعلى باختصار، والبزار والطبراني في الأوسط.

وإسناده حسن»^(٨٥٨).

(٨٥٤) فضائل الصحابة ٢ : ٦٥٥ رقم ١١١٧.

(٨٥٥) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٣١٣.

(٨٥٦) الجامع لأحكام القرآن ١٥ : ٣٠٦.

(٨٥٧) الكنى والأسماء ٢ : ٨١.

وأخرج ابن ماجة والحاكم بالإسناد عنه عليه السلام: «إني عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كاذب، صليت قبل الناس بسبع سنين قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة». في الزوائد: هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، رواه الحاكم في المستدرک عن المنهال وقال: صحيح على شرط الشيخين»^(٨٥٩).

قلت: ومن هذا اللفظ الوارد في كثير من الكتب يظهر أنّ المراد من كلمة «بعدي» هو البعدية الرتبة لا الزمانية، أي: لا يقولها «غيري» إلا كاذب، ولذا جاءت كلمة «غيري» بدل «بعدي» في بعض المصادر المعتبرة.

وفي بعض المصادر بالإسناد عن عبد الله بن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ستكون فتنة فمن أدركها فعلية بخصلتين: كتاب الله وعلي بن أبي طالب، فإني سمعت رسول الله يقول - وهو أخذ بيد علي - هذا أول من آمن بي وأول من يصفحني يوم القيامة، وهو فاروق هذه الأمة، يفرق بين الحق والباطل، وهو يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الظلمة، وهو الصديق الأكبر، وهو خليفتي من بعدي».

فيكون الحديث نصاً في الإمامة والخلافة لأمير المؤمنين بعد رسول الله مباشرة، من وجوه عديدة... ومن هنا لم تتحمّله نفس الذهبي فقال بعد إيراده بترجمة «داهر بن يحيى الرازي»: «فهذا باطل. ولم أر أحداً ذكر داهراً حتى ولا ابن أبي حاتم بلديّه»^(٨٦٠).

قلت: فانظر كيف يبطل الحديث مع اعترافه بأن أحداً لم يذكر رواية «داهراً» بجرح؟! وانظر من الكاذب؟ ومن المتعصّب؟ واحكم بما يقتضيه الدين والإنصاف.

* * *

(٨٥٨) مجمع الزوائد ٩ : ١٠٢.

(٨٥٩) سنن ابن ماجة ١ : ٨٩ / ١٢٠. المستدرک على الصحيحين ٣ : ١١٢.

(٨٦٠) ميزان الاعتدال ٢ : ٣.

الآيات النازلة

في أهل البيت وأوليائهم وفي أعدائهم^(٨٦١)

١ - قوله تعالى:

(وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون)

قال السيّد:

وفيهم وفي أوليائهم قال الله تعالى: (وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون)^(٨٦٢).

فقال في الهامش:

نقل صدر الأئمة الموفق بن أحمد، عن أبي بكر بن مردويه، بسنده إلى علي قال: تفترق هذه الأمة ثلاثاً وسبعين فرقة، كلّها في النار، إلا فرقة، فإنّها في الجنة، وهم الذين قال الله عز وجل في حقّهم (وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) وهم أنا وشيعتي^(٨٦٣).

ف قيل:

الحديث الذي نقله المؤلّف عن ابن مردويه، رواه أيضاً الإمام أحمد في المسند ٣ / ١٤٥ عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: إنّ بني اسرائيل تفرّقت إحدى وسبعين فرقة، فهلكت سبعون فرقة وخلصت فرقة واحدة، وإنّ أمتي ستفترق على اثنين وسبعين فرقة، فهلك احدى وسبعين وتخلص فرقة. قالوا: يا رسول الله، من تلك الفرقة؟ قال: الجماعة الجماعة. ورواه أيضاً عن أبي هريرة بلفظ: افتترقت اليهود على احدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة.

المسند ٢ : ٣٢٢.

(٨٦١) هذا العنوان وأرقام الآيات منّا.

(٨٦٢) سورة الأعراف ٧ : ١٨١.

(٨٦٣) المراجعات: ٣٣ - ٣٤.

وقد رواه الترمذي والنسائي وأبوداود وابن ماجه، بألفاظ متقاربة.
وليس في رواية منها قوله: وهم أنا وشيعتي. وهذه الزيادة من الكذب البين على علي رضي الله
عنه.

٢ - قوله تعالى:

(لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة)

قال السيّد:

وقال في حزبهم وحزب أعدائهم (لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون)^(٨٦٤).

فقال في الهامش:

أخرج الشيخ الطوسي في أماليه بإسناده الصحيح عن أمير المؤمنين عليه السلام أن رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلّم تلا هذه الآية (لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة) فقال: أصحاب الجنة من أطاعني وسلّم
لعلي بن أبي طالب بعدي وأقرّ بولايته. فقليل: وأصحاب النار؟ قال: من سخط الولاية ونقض العهد وقتله
بعدي.

وأخرجه الصدوق عن علي عليه السلام.

وأخرج أبو المؤيد موفق بن أحمد عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: والذي
نفسى بيده إن هذا - يعني عليّاً - وشيعته هم الفائزون يوم القيامة»^(٨٦٥).

فقليل:

إن من عنده أدنى علم بالتفسير والرواية يعلم أنّ هذه الرواية التي أخرجها الشيخ الطوسي كذب
واضح، وقول المؤلف: بإسناده الصحيح، دعوى عريضة لا تقبل من غير دليل.

٣ - قوله تعالى:

(أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين...)

قال السيّد:

(٨٦٤) سورة الحشر ٥٩ : ٢٠.

(٨٦٥) المراجعات : ٣٣ - ٣٤.

وقال في الحزبين أيضاً (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار)^(٨٦٦).

فقال في الهامش:

راجع معنى الآية في تفسير علي بن إبراهيم إن شئت، أو الباب ٨١ والباب ٨٢ من غاية المرام^(٨٦٧).

فقليل:

ذكر السيوطي في الدر المنثور ٥ : ٣٠٨ من رواية ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض) قال: الذين آمنوا. علي وحمزة وعبيدة بن الحارث. والمفسدين في الأرض: عتبة وشيبة والوليد. قال: وهم الذين تبارزوا يوم بدر. وفي سند هذه الرواية: محمد بن السائب الكلبي الذي أجمع الناس على ترك حديثه. راجع هامشنا ١٣ من هذه المراجعة. على أن سورة ص - التي منها هذه الآية - مكّية بالإجماع، وغزوة بدر إنّما وقعت في السنة الثانية من الهجرة.

٤ - قوله تعالى:

(أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا...)

قال السيّد:

وقال فيهما أيضاً: (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون)^(٨٦٨).

فقال في الهامش:

حيث نزلت هذه الآية في حمزة وعلي وعبيدة، لمّا برزوا لقتال عتبة وشيبة والوليد، فالذين آمنوا: حمزة وعلي وعبيدة، والذين اجترحوا السيئات: عتبة وشيبة والوليد. وفي ذلك أحاديث صحيحة^(٨٦٩).

فقليل:

(٨٦٦) سورة ص ٣٨ : ٢٨.

(٨٦٧) المراجعات: ٣٤.

(٨٦٨) سورة الجاثية ٤٥ : ٢١.

(٨٦٩) المراجعات : ٣٤.

قوله: حيث نزلت هذه الآية في حمزة وعلي وعبيدة... من جنس ما قبله، إذ يعتمد في مثل ذلك على الكلبي في الرواية، ومعلوم من هو الكلبي؟ وسورة الجاثية مكية بالاتفاق. وروي عن ابن عباس أنها مكية إلا آية وهي قوله: (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله). زاد المسير ٧ : ٣٥٤.
وعلى كل حال، فالحيلة معدومة فيمن يصحح أمثال أحاديث ابن الكلبي.

٥ - قوله تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ)

قال السيّد:

وقال فيهم وفي شيعتهم: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ)^(٨٧٠).

فقال في الهامش:

حسبك في ذلك أنّ ابن حجر قد اعترف بنزولها فيهم، وعدّها من آيات فضلهم، فهي الآية ١١ من آياتهم التي أوردها في الفصل الأوّل من الباب ١١ من صواعقه، فراجعها. وراجع ما أورده من الأحاديث المتعلقة بهذه الآية في فصل بشائر السنّة للشيعة من فصولنا المهمّة^(٨٧١).

فقل:

ليس مجرد ذكر ابن حجر لها في كتابه هو اعتراف منه بنزولها فيهم.
والعجب هنا عجبان، عجب من عبدالحسين وعجب من ابن حجر.
أمّا العجب من عبدالحسين، فلأنّه أغمض عينيه عن قول ابن حجر آخر الحديث: فيه كذاب، وكذلك أهمل قوله: واستحضر ما مرّ من صفات شيعته، واستحضر أيضاً الأخبار السابقة في المقدمات أوّل الباب في الرفضة.

هذا، ومما جاء في تلك المقدمات قوله: ومما يرشدك إلى أنّ ما نسبوه - أي الرفضة - إليهم - إلى الصحابة - كذب مختلق عليهم: أنّهم لم ينقلوا شيئاً منه بإسناد عرفت رجاله ولا عدّلت نقلته، وإمّا هو شيء من إفكهم وحمقهم وجهلهم وافترائهم على الله سبحانه وتعالى، فإنّك أن تدع الصحيح وتتبع السقيم ميلاً إلى الهوى والعصبيّة، وسيتلى عليك عن علي كرم الله وجهه وعن أكابر أهل بيته من تعظيم الصحابة سيّما الشيخان وعثمان، وبقية العشرة المبشرين بالجنة، ما فيه مقنع لمن ألهم رشده، وكيف

(٨٧٠) سورة البينة ٩٨ : ٧.

(٨٧١) المراجعات: ٣٤.

يسوغ لمن هو من العترة النبوية أو من المتمسكين بحبلهم أن يعدل عمّا تواتر عن إمامهم علي رضي الله عنه من قوله: إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر». الصواعق: ٧.

وأما العجب من ابن حجر، فلأنه حشد هذه الآية ضمن الآيات النازلة فيهم، فهل يعتقد أنها كذلك؟ وإذا كان يرى هذا فما فائدة قوله بعد الرواية التي ساقها تأييداً لذلك: فيه كذاب؟ فهل تراه يحتجّ بأمثال هذه الرواية؟ سامحه الله وعفا عنه!

٦ - قوله تعالى:

(هذان خصمان اختصموا في ربهم...)

قال السيّد:

وقال فيهم وفي خصومهم: (هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعتم لهم نيب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم)^(٨٧٢).

قال في الهامش:

أخرج البخاري في تفسير سورة الحج ص ١٠٧ من الجزء ٣ من صحيحه بالإسناد إلى علي قال: أنا أوّل من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة.

قال البخاري قال قيس: وفيهم نزلت (هذان خصمان اختصموا في ربهم) قال: هم الذين بارزوا يوم بدر: علي وصاحبه حمزة وعبيدة، وشيبة بن ربيعة وصاحبه عتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة.

وأخرج في الصفحة المذكورة عن أبي ذر أنّه كان يقسم أن هذه الآية (هذان خصمان اختصموا في ربهم) نزلت في علي وصاحبيه، وعتبة وصاحبيه، يوم برزوا في يوم بدر^(٨٧٣).

فقليل:

يشمّ من كلام المؤلف أنه يعني بأعداء وخصوم علي: أهل السنة، وإلا فالآية تعني الكفار الذين قاتلهم علي رضي الله عنه في غزوة بدر، وأمثالهم، وحتى الذين قاتلهم علي يوم الجمل وصفين، ليسوا معنيين بهذه الآية، فقد قال فيهم علي نفسه: اخواننا بغوا علينا.

٧ - قوله تعالى:

(٨٧٢) سورة الحج ٢٢ : ١٩.

(٨٧٣) المراجعات: ٣٤.

(أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً...)

قال السيّد:

وفيههم وفي عدوّهم نزل (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستونون * أمّا الذين آمنوا وعملوا الصّالحات فلهم جنّات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون * وأمّا الذين فسقوا فمأواهم النّار كلّما أرادوا أن يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النّار الذي كنتم به تكذبون)^(٨٧٤).

قال في الهامش:

نزلت هذه الآية في أمير المؤمنين والوليد بن عقبة بن أبي معيط، بلا نزاع، وهذا هو الذي أخرجه المحدّثون وصرّح به المفسّرون. أخرج الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي في معنى الآية من كتابه أسباب النزول، بالإسناد إلى سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال: قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط لعلي بن أبي طالب: أنا أحدّ منك سناناً وأبسّط منك لساناً وأملاً للكتيبة منك. فقال له علي: اسكت فإنّما أنت فاسق، فنزل (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستونون) قال: يعني بالمؤمن عليّاً وبالفاسق الوليد بن عقبة^(٨٧٥).

فقيّل:

الحديث الذي ذكره الواحدي في أسباب النزول: ٢٣٦ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، في سنده: محمّد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى.

قال يحيى بن معين: ليس بذاك. وقال أبو حاتم: محله الصدق كان سيّء الحفظ، شغل بالقضاء فساء حفظه، لا يتّهم بشيء من الكذب، إمّا ينكر عليه كثرة الخطأ، يكتب حديثه ولا يحتجّ به. وقال ابن حبان: كان فاحش الخطأ رديء الحفظ فكثرت المناكير في روايته. وقال ابن جرير الطبري: لا يحتجّ به. وعبيدالله بن موسى، راجع ترجمته في المراجعة ١٦ تحت رقم ٥٥.

وعلى هذا فالرواية ضعيفة لا يحتجّ بها.

وأخرج ابن عدي والخطيب في تاريخه عن طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس مثله. وانظر هذه المراجعة، الحاشية رقم ١٣ بخصوص هذا السند.

وذكره ابن جرير الطبري في تفسيره ٢١: ١٠٧ عن عطاء بن يسار بمثله، وفي سنده جهالة.

(٨٧٤) سورة السجدة ٣٢: ١٨ - ٢٠.

(٨٧٥) المراجعات: ٣٥.

وذكره السيوطي عن عطاء بن يسار، وزاد نسبه لابن إسحاق.

قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف ١٣١ بعد أن أخرجه من رواية ابن مردويه والواحدي، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: وله طريق أخرى عند ابن مردويه من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

والخلاصة: إن كلاً من هذه الطرق ضعيف.

على أن السورة مكّية، وحين نزلت لم يكن الوليد بن عقبة قد أسلم، فقد أسلم يوم الفتح، وبعثه رسول الله على صدقات بني المصطلق، فلما وصل إليهم هابهم فانصرف عنهم وأخبر أنهم ارتدوا، فبعث إليهم خالد بن الوليد يأمره أن يتثبت فيهم، فأخبروا أنهم متمسكون بالسلام، فنزل قوله عزّوجل: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا...) (٨٧٦).

أقول:

لا يخفى أن هذا الموضوع من المواضع التي يتبين فيها عقيدة القوم في أهل البيت عليهم السلام وموقفهم من أعدائهم، فقد كشفوا هنا عن حقدهم بالنسبة لأهل البيت، وحبهم ودفاعهم عن أعدائهم، وإلا فأى معنى لإنكار ورود آيات المدح في رجالات الإسلام الذين بارزوا يوم بدر، وورود آيات الذم في رجال الكفر الذين قتلوا في ذلك اليوم؟ هب أنهم لا يريدون الإعراف بكون المراد علي عليه السلام، لأن مثل هذه المدائح لم ترد في حق غيره من مشايخ القوم، لأنهم لم يفعلوا شيئاً في سبيل الإسلام يمدحون عليه، ولكن ما معنى إنكار ورود آيات الذم في الذين قتلوا من الكفار يوم بدر؟ ولنتكلم حول هذه الآيات بالترتيب باختصار، مع التعرّض لنقد كلام هذا المتقول:

أما الآية الأولى:

فمن أين عرف هذا المتقول أن هذه الجملة «من الكذب البين على علي»؟

قال الحافظ الحسكاني: «أخبرنا عقيل بن الحسين قال: أخبرنا علي بن الحسين، قال: حدثنا محمّد بن عبيدالله قال: حدثنا أبو بكر محمّد بن سليمان العطاردي بالبصرة قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله عزوجل (وممن خلقنا أمة) قال: يعني: من أمة محمّد أمة يعني: علي بن أبي طالب (يهدون بالحق) يعني: يدعون بعدك - يا محمّد - إلى الحق (وبه يعدلون) في الخلافة بعدك...»

(٨٧٦) سورة الحجرات ٤٩ : ٦.

وفي كتاب فهم القرآن عن جعفر الصادق، في معنى قوله: (وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) قال: هذه الآية لآل محمّد.

وجدت بخط أبي سعد بن دوست، في أصله^(٨٧٧).

وقال الحافظ الخوارزمي: «أخبرني الشيخ الإمام شهاب الدين أبو النجيب سعد ابن عبد الله بن الحسن الهمداني، المعروف بالمروزي، في ما كتب إليّ من همدان، أخبرني الحافظ أبو علي الحسن بن أحمد بن الحسن الحدّاد، بإصبهان، في ما أذن لي في الرواية عنه، قال: أخبرني الشيخ الأديب أبو يعلى عبدالرزاق بن عمر ابن إبراهيم الطهراني سنة ٤٧٣ أخبرني الإمام الحافظ طراز المحدثين أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الإصبهاني...»

وبهذا الإسناد عن أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه هذا، حدّثني أحمد بن محمّد السري، حدّثني المنذر بن محمّد بن المنذر، حدّثني أبي، حدّثني عمي الحسين بن سعيد، حدّثني أبي، عن أبان بن تغلب، عن فضيل، عن عبد الملك الهمداني، عن زاذان عن علي قال: تفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة وهم الذين قال الله عز وجل: (وممن هدينا^(٨٧٨) أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) وهم أنا وشيعتي^(٨٧٩).

فهذان سندان من أسانيد هذا الخبر.

أمّا الحاكم الحسكاني، فقد ترجمنا له في الكتاب، فلا نعيد.

وأما الخوارزمي، فقد ترجموا له التراجم الحسنة، ووصفوه بالأوصاف الجميلة، وأثنوا عليه الشاء الجميل، واعتمدوا عليه ونقلوا عنه، فراجع من كتبهم: جامع مسانيد أبي حنيفة ١ : ٣١، بغية الوعاة ٢ : ٣٠٨، الجواهر المضيّة في طبقات الحنفية ٣ : ٥٢٣، العقد الثمين في أخبار البلد الأمين ٦ : ١٤٢، كتائب أعلام الأخيار في طبقات فقهاء مذهب النعمان المختار للكفوي.

فالرجل من أعلام علمائهم في الحديث والفقّه والأدب، وإن حاول ابن تيمية وأتباعه الحطّ من شأنه والتقليل من منزلته عندهم.

وفي روايته:

١ - الأعمش.

٢ - أبو معاوية.

٣ - أبان بن تغلب.

(٨٧٧) شواهد التنزيل ١ : ٢٠٤ / ٢٦٦ - ٢٦٧.

(٨٧٨) كذا.

(٨٧٩) المناقب للخوارزمي: ٣٣١ / ٣٥١.

٤ - ابن مردويه.

٥ - أبو علي الحدّاد.

وغير هؤلاء من الأئمة وكبار الحفاظ الثقات، فكيف يقال أنّ الرواية «من الكذب البيّن»؟
والحقيقة، إنّ هذا الخبر من أصدق الأخبار وأثبتها، وذلك لأنّ المراد ليس مطلق الأمة، لعدم
كونهم جميعاً «يهدون بالحق» بل المراد، أمة من أمة محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم - كما في الخبر
أيضاً - .

وللأخبار في أنّ أمة محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم تفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة، فرقة واحدة
ناجية وما عداها هالكة في النار.

إذن، ليس كلّها بهاد بالحق، بل البعض، ولا بدّ وأن تكون هي النّاجية، وقد عيّنت الأحاديث
المتواترة كحديث الثقلين وحديث السفينة الفرقة الناجية من بين الفرق.

وذكر العلامة الحليّ عن استاذه الشيخ نصير الدين الطوسي أنّه سئل عن المذاهب فقال: بحثنا
عنها وعن قول رسول الله: ستفترق أمتي... وقد عيّن عليه السلام الفرقة الناجية والهالكة في حديث آخر
صحيح متفق عليه، وهو قوله عليه وآله السلام: مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن
تخلّف عنها غرق. فوجدنا الفرقة الناجية هي الفرقة الإمامية، لأنهم باينوا جميع المذاهب، وجميع
المذاهب قد اشتركت في أصول العقائد.

وأما الآية الثانية:

فالحكم على رواية بأنّها «كذب واضح» لا بدّ وأن يستند إلى دليل، والدليل يرجع إمّا إلى السند وإمّا
إلى المدلول وإمّا إلى كليهما، هذه هي القاعدة عند من «عنده أدنى علم بالتفسير والرواية»، وهذا المتقول
لم يذكر أيّ دليل، فلا يسمع كلامه.

بل كان عليه أن يوضّح موضع الكذب، هل هو في دخول من أقرّ بولاية علي الجنّة، أو في دخول
«من سخط ولايته ونقض عهده وقاتله النار»؟

فهل الباعث على تكذيبه لهذا الحديث بغضه لعلي، أو حبه لمن عاداه، أو كلا الأمرين؟

وأما الآية الثالثة والآية الرابعة:

فإنّهما واردتان - بحسب الرواية عند الفريقين - في علي وحمزة وعبيدة بن الحارث بن
عبدالمطلب، من جهة. وفي الوليد وعتبة وشيبة، من جهة أخرى.

فما الباعث على تكذيب الخبر؟ وهل من شك في أن «المتقين» هم علي وصاحبه، و«الفجار» هم:
الوليد وصاحبه؟ وهل من شك في أن الله تعالى لا يجعل «المتقين كالفجار»؟
وأيضاً: هل من شك في أن الوليد وعتبة وشيبة «اجترحوا السيئات» وأن علياً وحمزة وعبيدة
«عملوا الصالحات»؟ وأن الله لا يجعل «سواء محياهم ومماتهم»؟
ساء ما يحكم النواصب!!

وأما التذرع بما قيل في «محمد بن السائب الكلبى» فلا يفيد، لأن هذا الرجل من رجال صحيحي: الترمذي
وابن ماجة في التفسير - كما في تهذيب التهذيب الذي أحال إليه المتقول - وقد ذكر ابن حجر عن
ابن عدي: «هو معروف

بالتفسير، وليس لأحد أطول من تفسيره، وحدّث عنه ثقات من الناس ورضوه في التفسير، وأما في الحديث
فيه مناكير ولشهرته فيما بين الضعفاء يكتب حديثه».

ونقل عن الساجي قوله: «متروك الحديث، وكان ضعيفاً جداً، لفرطه في التشيع، وقد اتفق ثقات
أهل النقل على ذمّه وترك الرواية عنه في الأحكام والفروع»^(٨٨٠).

وعلى الجملة، فإن الرجل مرضي عندهم في التفسير، وبحسنا في التفسير لا الأحكام، وإن كان من ذم
فهو «لفرطه في التشيع»!!

على أنه لا بد من التحقيق في أن للخبر المذكور طريقاً آخر ليس فيه الكلبى أو لا؟
لكن ما ذكرناه كاف للإتماد على هذا الخبر.

وقال الآلوسى بتفسير الآية: «وفي رواية أخرى عن ابن عباس أخرجها ابن عساكر أنه قال: الذين
آمنوا: علي وحمزة وعبيدة بن الحارث - رضي الله تعالى عنهم - والمفسدين في الأرض: عتبة والوليد بن
عتبة وشيبة. وهم الذين تبارزوا يوم بدر.

قال الآلوسى: «ولعله أراد أنهم سبب النزول»^(٨٨١).

فلم يناقش لا من جهة السند ولا من جهة أخرى.

هذا في الآية الثالثة.

وفي الآية الرابعة، أورد الفخر الرازي كلام الكلبى فقال: «قال الكلبى:

نزلت هذه الآية في علي وحمزة وأبي عبيدة بن الجراح^(٨٨٢) رضي الله عنهم، وفي ثلاثة من المشركين: عتبة
وشيبة والوليد بن عتبة. قالوا للمؤمنين: والله ما أنتم على شيء، ولو كان ما تقولون حقاً لكان حالنا أفضل

(٨٨٠) تهذيب التهذيب: ٩ : ١٥٧.

(٨٨١) روح المعاني ٢٣ : ١٨٩.

(٨٨٢) هذا غلط أو تصحيف، فهو عبيدة بن الحارث.

من حالكم في الآخرة، كما أننا أفضل حالاً منكم في الدنيا، فأنكر الله عليهم هذا الكلام، وبين أنه لا يمكن أن يكون حال المؤمن المطيع مساوياً لحال الكافر العاصي، في درجات الثواب ومنازل السعادات»^(٨٨٣). فلم يناقش لا من جهة السند ولا من جهة أخرى.

وأما الآية الخامسة:

فإننا لا نقول بأن مجرد وجود خبر في كتاب دليل على صحة الخبر، حتى لو كان في كتابي البخاري ومسلم. أما ابن حجر المكي، فقد ذكر الآية فيما نزل في أهل البيت عليهم السلام، ولذا تعجب منه هذا المتقول، فكان بين كلاميه في صدر التعليقة وذيلها تناقض.

على أن محل الإستشهاد هو رواية مثل ابن حجر المكي المتعصب الخبر في مثل كتاب الصواعق الذي ألفه في رد الامامية - كما نص عليه في ديباجته - ليكون دليلاً على أنه خبر متفق عليه بين الفريقين ووارد من طرفهما جميعاً، فقله في خبر: «فيه كذاب» لا يضر بالمقصود، كما لا يخفى على الفهيم المنصف، على أن رواية هذا الخبر من كبار الأئمة وحفاظ أهل السنة كثيرون.

قال ابن جرير الطبري: «وقد حدثنا ابن حميد قال: حدثنا عيسى بن فرقد،

عن أبي الجارود، عن محمد بن علي: أولئك هم خير البرية. فقال النبي: أنت يا علي وشيعتك»^(٨٨٤).

وقال ابن عساکر: «أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنبأنا عاصم بن الحسن، أنبأنا أبو عمر بن مهدي، أنبأنا أبو العباس بن عقدة، أنبأنا محمد بن أحمد بن الحسن القطواني، أنبأنا إبراهيم بن أنس الأنصاري، أنبأنا إبراهيم بن جعفر بن عبدالله بن محمد بن مسلمة، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فأقبل علي بن أبي طالب، فقال النبي: قد أتاكم أخي. ثم التفت إلى الكعبة فضربها بيده ثم قال: والذي نفسي بيده أن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة. ثم قال: إنه أولكم إيماناً معي وأوفاكم بعهد الله وأقومكم بأمر الله وأعدلكم في الرعية وأقسمكم بالسوية وأعظمكم عند الله مزية. قال: ونزلت (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) فكان أصحاب محمد إذا أقبل علي قالوا: قد جاء خير البرية.

أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنبأنا أبو القاسم بن مسعدة، أنبأنا حمزة بن يوسف، أنبأنا أبو أحمد بن عدي، أنبأنا الحسن بن علي الأهوازي، أنبأنا معمر بن سهل، أنبأنا أبو سمرة أحمد بن سالم، أنبأنا شريك، عن الأعمش، عن عطية، عن أبي سعيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: علي خير البرية.

(٨٨٣) تفسير الرازي ٢٧ : ٢٦٦.

(٨٨٤) جامع البيان ٣٠ : ١٧١.

قال أبو أحمد: وهذا قد رواه غير أبي سمرة عن شريك. وروي عن غير شريك أيضاً عن الأعمش عن عطية عن جابر بن عبد الله: كنّا نعدّ عليّاً من خيارنا. ولا يسنده هكذا إلا أبو سمرة»^(٨٨٥).
وهكذا ذكر الروايات كلّ من السيوطي^(٨٨٦) والشوكاني^(٨٨٧) وغيرهما، وفي أسانيدها كبار الأئمة والحفاظ.

فإن كان عجباً، فمن هؤلاء كلّهم، لا من ابن حجر وحده!!

وأما الآية السادسة:

فالحديث في نزولها في أمير المؤمنين وحمزة وعبيدة، وفي عتبة وشيبة والوليد، مخرّج في كتاب البخاري^(٨٨٨)، والجمهور يرون صحته من أوّله إلى آخره! فهل من مجال لتقول واقتراء؟
ثم إنّ كلام أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا أوّل من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة» مطلق، فإنّه يجثو للخصومة والمطالبة بحقه من كلّ من ظلمه ويظلمه في نفسه وأهل بيته وشيعته، بأيّ نحو من أنحاء الظلم، إلى يوم القيامة، إبتداءً بمن أسّس أساس ذلك، وانتهاءً بآخر فرد تبعه على ذلك، والله أحكم الحاكمين.

وأما الآية السابعة:

فهي نازلة في علي والوليد بلا نزاع كما ذكر السيّد، والعجب من هذا المفتري المتقول أنه طالما يستند إلى تفسير ابن كثير، وزاد المسير في التفسير لابن الجوزي، وأمثالهما من المتعصبين، أمّا هنا فلا يأخذ بما جاء في تلك الكتب من الحق المبين!!

أمّا رواية نزول الآية المباركة في القضية المذكورة، فكثيرون جدّاً، نكتفي بذكر أسماء من نقل عنهم الحافظ السيوطي في الدر المنثور^(٨٨٩) وهم:

١ - ابن إسحاق.

٢ - ابن جرير.

(٨٨٥) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٣٧١.

(٨٨٦) الدر المنثور ٨ : ٥٨٩.

(٨٨٧) فتح القدير ٥ : ٤٧٧.

(٨٨٨) مرتين في غزوة بدر، وفي تفسير سورة الحج.

(٨٨٩) الدر المنثور ٦ : ٥٥٣.

٣ - ابن أبي حاتم.

٤ - الخطيب البغدادي.

٥ - ابن مردويه الاصفهاني.

٦ - أبو الحسن الواحدي.

٧ - أبو أحمد ابن عدي.

٨ - ابن عساكر.

أما ابن الجوزي، فهذا نصّ كلامه:

«في سبب نزولها قولان، أحدهما: إنّ الوليد بن عقبة بن أبي معيط قال لعلي ابن أبي طالب: أنا أحدّ منك سناناً، وأبسط منك لساناً، وأملأً للكتيبة منك. فقال له علي: اسكت فإنّما أنت فاسق، فنزلت هذه الآية، فعنى بالمؤمن عليّاً وبالفاسق الوليد.

رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال عطاء بن يسار وعبدالرحمن بن أبي ليلى، ومقاتل.

والثاني: أنّها نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل. قاله شريك.

قوله تعالى: (لا يستويون) قال الزجاج: المعنى: لا يستوي المؤمنون والكافرون، ويجوز أن يكون لاثنين، لأنّ معنى الأثنين جماعة، وقد شهد الله بهذا الكلام لعلي عليه السلام بالإيمان وأنّه في الجنّة، لقوله (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنّات المأوى) وقرأ ابن مسعود وطلحة بن مصرف: جنّة المأوى، على التوحيد» انتهى^(٨٩٠).

فانظر كيف ذكر القولين، مقدّمًا القول الحق، ثمّ طبّق الآية على أمير المؤمنين عليه السلام، دون غيره.

وقد ذكر «عبدالرحمن بن أبي ليلى» في أصحاب القول الأوّل، ممّا يدلّ على جلاله الرجل والإعتماد عليه.

وأما ابن كثير، فقال بعد ذكر الآيات: «وقد ذكر عطاء بن يسار والسدي وغيرهما أنّها نزلت في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة بن أبي معيط، ولهذا فصل حكمهم فقال: (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي: صدّقت قلوبهم بآيات الله وعملوا بمقتضاها وهي الصّالحات (فلهم جنّات المأوى) أي التي فيها المساكن والدور والغرف العالية (نزلاً) أي ضيافةً وكرامةً (بما كانوا يعملون)»^(٨٩١).

فقد ذكر القول الصحيح ولم يناقش فيه، ولم يذكر غيره أصلاً.

(٨٩٠) زاد المسير ٦ : ٣٤٠ - ٣٤١.

(٨٩١) تفسير القرآن العظيم ٦ : ٣٦٩.

ثم إن من رواة هذا الخبر: ابن أبي حاتم، وقد رواه عن «عبدالرحمن بن أبي ليلى» قال السيوطي: «وأخرج ابن أبي حاتم عن عبدالرحمن بن أبي ليلى رضي الله عنه في قوله (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستونون) قال: نزلت في

علي بن أبي طالب رضي الله عنه والوليد بن عقبة»^(٨٩٢).

وقد أثنى ابن تيمية على (تفسير ابن أبي حاتم) ووافق على رواياته فيه، فأتباعه ملزمون بذلك!!
ثم إن الرواية في أسباب النزول بسنده عن «عبيدالله بن موسى قال: «أخبرنا ابن أبي ليلى عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس» و«ابن أبي ليلى» هو «عبدالرحمن بن أبي ليلى» كما عرفت من (تفسير ابن أبي حاتم) و (زاد المسير) أيضاً، وهذا الرجل من رجال الصحاح الستة^(٨٩٣).

فقول المتقول: «وفي سنده محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى» من خياناته أو جهالاته!!

و«عبيدالله بن موسى» - وهو العبسي الكوفي - من رجال الصحاح الستة أيضاً^(٨٩٤).

فأين ضعف هذا السند يا منصفون؟

ولاحظوا كيف نتكلم؟ وكيف أعداء أهل البيت يتكلمون؟

(أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستونون...).

والله أحكم الحاكمين

* * *

(٨٩٢) الدر المنثور ٦ : ٥٥٣.

(٨٩٣) تقريب التهذيب ١ : ٤٩٦.

(٨٩٤) تقريب التهذيب ١ : ٥٣٩.

المحتويات

سورة الدهر الفصل الأول

سند الحديث ورواته

من رواته من الصحابة والتابعين
من رواته من أئمة التفسير والحديث
ومن نصوص الحديث بالأسانيد
من كلمات العلماء حول الحديث
الحديث في الأشعار
فوائد في الحديث وكلمات العلماء
من أسانيد الحديث المعتمدة

الفصل الثاني

الدلالة

هل سورة الدهر مكّية؟
النظر في كلام ابن حجر في تخريج الكشاف
موجز ترجمة الحكيم الترمذي
النظر في كلام ابن الجوزي في الموضوعات
ترجمة أبي عبد الله الحميدي
كلمات في ابن الجوزي والموضوعات
ترجمة الأصبغ بن نباتة
ترجمة محمد بن كثير
مكابرات أخرى

آية الاعتصام بحبل الله

قوله تعالى: (واعتصموا بحبل الله)

هل يطعن مسلم في الإمام الصادق عليه السلام؟!
مطابقة تفسير الإمام للكتاب والسنة
رجوع المعاني كلها إلى معنى واحد

موجز ترجمة الثعلبي
رواية أبي نعيم
موجز ترجمة أبي نعيم
رواية الحاكم الحسكاني
موجز ترجمة الحاكم الحسكاني
تفسير سعيد بن جبير عن ابن عباس
تفسير العزّ الرسعني
«حبل الله» وشعر الشافعي

آية الكون مع الصادقين

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)

الفصل الأوّل

الفصل الثاني

١ - الإمام الصادق عليه السلام

٢ - ابن عباس

٣ - عبدالله بن عمر

الفصل الثالث

الفصل الرابع

آية اتّباع الصراط المستقيم

قوله تعالى: (وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله)

آية إطاعة اولى الأمر

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر...)

آية سؤال أهل الذكر

قوله تعالى: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)

آية اتّباع سبيل المؤمنين

قوله تعالى: (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوّه ما تولى ونصله جهنّم)

آية الإنذار

قوله تعالى: (إنّما أنت منذرٌ ولكلّ قوم هاد)

الفصل الأوّل

نصوص الحديث ورواته في كتب السُنّة

رواته من الصحابة

من رواته من الأئمّة والحفّاط

من ألفاظ الحديث في أشهر الكتب

الفصل الثاني

في بيان صحّة الحديث

من أسانيده الصحيحة

الفصل الثالث

في دفع شبهات المخالفين

١ - ابن الجوزي

٢ - الذهبي

٣ - ابن كثير

٤ - أبو حيّان

٥ - ابن روزبهان

٦ - ابن تيميّة

٧ - الدهلوي

٨ - الآلوسي

١ - كلماتهم في ما يتعلّق بالسند

تنبيهات

٢ - مناقشاتهم في الدلالة

معنى الآية المباركة

المؤكّدات في ألفاظ الحديث

أحاديث أخرى

عليّ راية الهدى

عليّ العَلَم

يأخذ بكم الطريق المستقيم

طاعته طاعة رسول الله

من فارقه فارق رسول الله

عليّ منه بمنزلته من ربّه

باب حطّة

نتيجة البحث

الفصل الرابع

في الجواب عن المعارضة

١ - حديثُ الاقتداء بالشيخين

التحقيق في أسانيده

كلمات الأئمة في بطلانه

٢ - حديث الاقتداء بالصحابة

التحقيق في أسانيده

كلمات الأئمة في بطلانه

٣ - لا أوتينَّ بأحد يفضّلني على أبي بكر وعمر إلاّ جلدته حدّ المفترى والتحقيق في سنده ومدلوله

آية الهداية إلى الصراط المستقيم

قوله تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم)

آية الكون مع الذين أنعم الله عليهم

قوله تعالى: (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم...)

آية الولاية

قوله تعالى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ

يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ)

إجماع المفسرين

الأخبار

آية المغفرة لمن اهتدى

قوله تعالى: (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى)

شواهد تفسير الآية

شواهد أخرى

آية عرض الأمانة

قوله تعالى: (إِنَّا عرضنا الأمانة...)

آية الدخول في السلم

قوله تعالى: (يا أيّها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان)

آية السؤال عن النعيم

قوله تعالى: (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم)

آية التبليغ

قوله تعالى: (يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته...)

١ - رواية الحبري

٢ - رواية أبي نعيم

٣ - رواية ابن عساكر

٤ - رواية الواحدي

* ترجمة عطية

مع ابن تيمية الحرّاني

محاولات يائسة

آية إكمال الدين

قوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)

١ - رواية أبي نعيم الأصفهاني

٢ - رواية الخطيب البغدادي

٣ - رواية ابن عساكر

مع ابن تيمية الحرّاني

مع ابن كثير الدمشقي في تاريخه

مع ابن كثير في تفسيره

آية سأل سائل

قوله تعالى: (سأل سائل بعذاب واقع)

القضية كما في الروايات

رواة هذا الخبر من الأئمة عليهم السلام والأصحاب

من رواته من الأعلام

نقل القوم عن تفسير الثعلبي واعتمادهم عليه

رواية الحموي الجويني عن الثعلبي بالإسناد

الحموي شيخ الذهبي

كلمات في الثعلبي وتفسيره

أسانيد الخبر في شواهد التنزيل

دلالة الخبر على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام

مع ابن تيمية

قوله تعالى: (وقفوهم إنهم مسؤولون)

قوله تعالى: (واسأل من أرسلنا من قبلك)

أما قوله تعالى: (وقفوهم إنهم مسؤولون)

موجز ترجمة الديلمي صاحب «الفردوس»

موجز ترجمة الديلمي صاحب «مسند الفردوس»

موجز ترجمة الواحدي

١ - رواية الحبري

٢ - رواية أبي نعيم الأصبهاني

٣ - رواية الحاكم الحسكاني

الشواهد

حديث السؤال عن الكتاب والعترة

حديث السؤال عن أربع

حديث: لا يجوز الصراط إلّا مع كتاب ولاية عليّ

الشاهد لحديث الجواز

مناقشات باطلة ومحاولات يائسة

مع ابن تيميّة

مع ابن روزبهان

مع الآلوسي

مع صاحب مختصر التحفة الاثني عشرية

وأما قوله تعالى: (واسأل من أرسلنا من قبلك)

الحديث رواه جماعة من أكابر المحدثين الحفاظ

قوله تعالى: (وإذ أخذ ربك من بني آدم...)

قوله تعالى: (فتلقّى آدم من ربه كلمات فتاب عليه)

قوله تعالى: (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم)

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة)

وقوله تعالى: (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته)

قوله تعالى: (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله)

قوله تعالى: (... والراسخون في العلم...)

قوله تعالى: (وعلى الأعراف رجال يعرفون...)

قوله تعالى: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه...)

قوله تعالى: (... يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال...)

قوله تعالى: (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح...)

قوله تعالى: (والسابقون السابقون أولئك المقربون)

من أشهر رواة الحديث
من أسانيده في الكتب المعتمدة
من أسانيد المعتمدة
مع ابن تيمية
مع ابن رزبهان
مع شاه عبدالعزيز الدهلوي

قوله تعالى: (والَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ...)

الآيات النازلة في أهل البيت وأوليائهم وفي أعدائهم

(وممّن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون)
(لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة)
(أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين...)
(أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا...)
(إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية)
(هذان خصمان اختصموا في ربهم...)
(أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً...)

أما الآية الأولى

وأما الآية الثانية

وأما الآية الثالثة والآية الرابعة

وأما الآية الخامسة

وأما الآية السادسة

وأما الآية السابعة

المحتويات